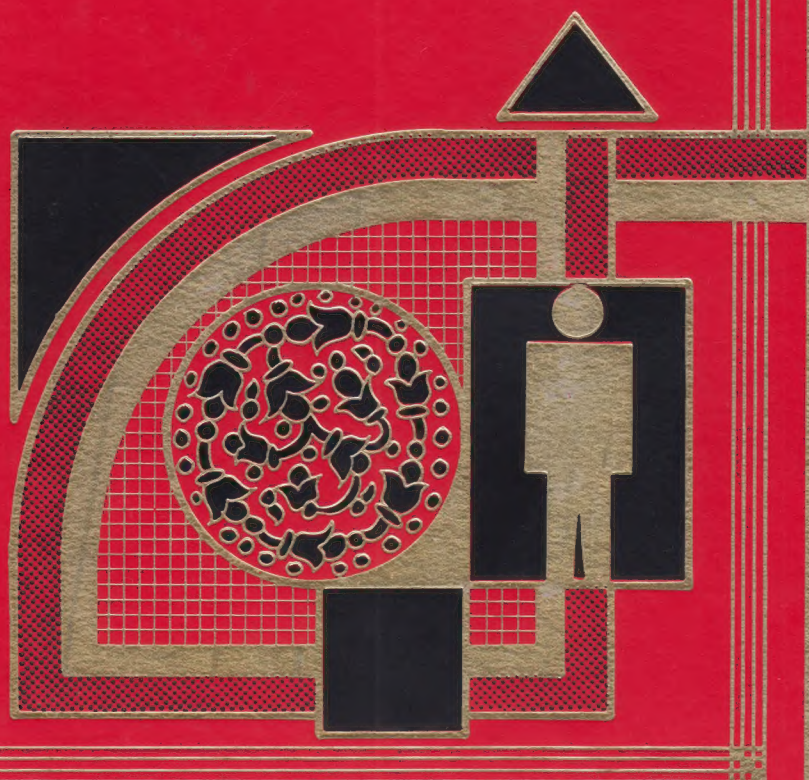


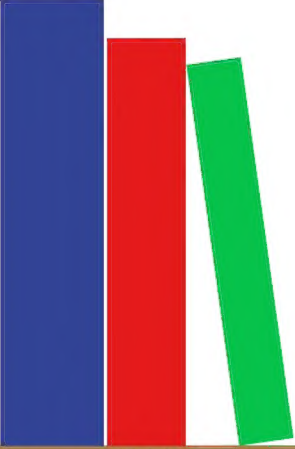
محمّد أمين نرين الدين

الجزء الأول

الطبعة الأولى



مؤسسة الأمل للطبوعات
بيروت - لبنان



مكتبة مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه
(الإمام الصادق (ع))

moamenquraish.blogspot.com

محمد الأمين زوين الدين

إلى الطليعة المؤمنة

منشورات
مؤسسة الأُعلمى للطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الثالثة

حقوق الطبع محفوظة للنّاشِر

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله بجميع محامده كلها على جميع نعمه كلها ، وصلواته المباركة
الدائمة على سيد الدعاة وأفضل المخلوقات محمد وآله المطهرين .
رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والديّ وان
أعمل صالحاً ترضاه ، وأصلح لي في ذريتي ، إني تبت اليك ، وإني
من المسلمين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الى الازهار المتطلعة الى النور . العابقة بالشذا ،
الى الاذهان المفتوحة بالوعي ، المعتصمة بالرشد ، الشاعرة بالمسؤولية ،
الجديرة بحمل الاعباء .

الى الطليعة المؤمنة من شباب الجيل .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وجميل رعايته وروافد توفيقه .
هذه آثار متفرقة ، شاء الأدب أن يقارب ما بينها في لون ، وشاء
الاسلام أن يجمع ما بينها في غاية ، وشاء واجب التربية أن يشدها في اطار
وأن يضمها في منهج ، وتآزرت هذه العوامل ، فكان منها هذا المجهود
الذي أضعه بأيديكم اليوم .

آثار متفرقة ، حررت أجوبة خاصة لبعض الأعضاء من شباب الجيل ، ثم
حذفت منها المخصصات والمعينات لتقدم بحوثاً عامة الى الشباب المؤمنين
برسالتهم المستمسكين بدينهم ، لعلها تؤدي أمانة وفقى بحق وتسهم في بناء ،
فهي منكم واليكم ايها الميامين ، ومن الله لي ولكم هداية السبيل

وبلوغ الغاية ،

والأحاديث محاولة عملية في التربية قبل ان تكون اجوبة وحلولا
لبعض المشكلات .

محاولة عملية في التربية على ضوء مناهج الاسلام ، وفي اشعاع نظريته ،
والى بعض آماده .

والتربية في الاسلام عميقة الجذور بعيدة الأطراف ، بحيث تشمل في
سلطانها جميع آفاق النفس ومشاعرها وعواطفها وأحاسيسها وغرائزها .

عميقة الجذور بعيدة الأطراف عمق الاسلام وبعد أطرافه .

والتربية في الاسلام منهج حافل شامل ، لا يترك ناحية من نواحي
النفس الانسانية لا يوليها عنايته ، ولا يتناولها رشده ، ولا يعمها توجيهه ،
وهذه احدى مميزات الاسلام لا يشاركه ولا يدانيه فيها سواه .

ان الاسلام يريد من كل أحد يدين به ويؤمن بدعوته أن يكون مسلم
الفكر ، مسلم النفس ، مسلم القلب ، مسلم الضمير ، مسلم الحب والبغض ،
مسلم الخوف والأمل ، مسلم العواطف والمشاعر .

يريد منه أن يستقبل الإيمان يقظاً واعياً بكل مشاعره وبكل أحاسيسه
حتى يشع الإيمان على جميع الآفاق من عقله وروحه ونفسه ، وحتى تقبس
كل ناحية منه - على انفرادها - نصيبها من الإيمان ، وتستجيب له في
سلوكها ، وتخضع لموجهه في اتجاهاتها وفي ميادين عملها .

ويتنقص حظ الفرد من الإيمان الكامل اذا شذ بعض لواحيه النفسية
عن مجرى الإيمان فلم تنل من اشعاعه ولم تصب من رشده ، أو انخرفت

فلم تستوف من عطاء الإيمان نصيبها الذي تبلغ به الغاية وتدرك المقصود ، وكثير من مؤمني الفكر يعيشون في مشاعر كافرة ، أو هي أقرب الأشياء الى الكفر ، وكثير من الناس لهم عقول نيرة بالعقيدة عامرة بالإيمان والبرهان ، ولكنهم يعيشون في ظلمات نفسية مطبقة دونها ظلمة الجحود ، والإيمان كالنور لا ينفذ من وراء حجاب ، وموضع العجب أن أكثر هؤلاء لا يجدون تعارضاً بين هذا النشاط النفسي وبين الإيمان .

ان الاسلام يريد من كل فرد من أتباعه أن يتلقى الإيمان بجميع مشاعره وأحاسيسه حتى يعم الإيمان جميع جهاته ويضيء جميع آفاقه ، والاسلام بعد العدة لهذه الغاية ، ويضع لها المناهج ويتخذ الوسائل .

وعلى هذه الركيزة من الإيمان الشامل المشرق البناء يقيم الاسلام شخصية الفرد المسلم ، ويصوغ الخلق المسلم ، ويؤسس بناء المجتمع المسلم . على هذه الركيزة يقيم الاسلام شخصية الفرد المسلم ويعين مقوماتها ويحدد أبعادها وسماتها .

وعلى هذه الركيزة يبدأ ويتم صياغة الخلق المسلم ، يشتق منها موازين الخلق الكريم ، ويضع عليها أسسه ، ويربط بها حدوده وغايته . وعلى هذه الركيزة يؤسس بناء المجتمع المسلم وينشئ صلاته ويشد علاقاته ، ولتفصيل هذا الاجمال بحوث وكتب أخرى .

وأكثر الناس حاجة الى هذا الرصيد من الإيمان هم الدعاة الذين يبنون العقائد ويشعرون الإيمان في قلوب الآخرين ، فان بناء العقيدة التي تضيء النفس وتعمر الحياة لا يكون بحشد البراهين المجردة عليها ، وان

أوجبت اليقين أو الاقتناع بها ، وما اكثرت النتائج الفكرية التي يثبتها البرهان حتى لا يشك العقل في ثبوتها ولا يرتاب ، ثم هي لا تبلغ بذلك مبلغ العقائد ولا تدانيها .

ان بناء العقيدة لا يكون بحشد البراهين المجردة عليها ، وان أوجبت اليقين أو الاقتناع بثبوتها ، ولا بد للفكر وللنفس من عملية أخرى وراء الاقتناع بها تكون الفكرة عقيدة .

لا بد من ركون نفسي ثابت لا يتزلزل ، واستمسك فكري واثق لا يضعف ، هذا هو العمل الذي يقوم به العقل والنفس بعد الاقتناع بالفكرة ، فتكون عقيدة ، وضروري ان ايمان الداعي واخلاصه في الدعوة وصدقه في النصيحة وصدقه في العاطفة لها الأثر الأعظم في توجيه عقل المدعو ونفسه لذلك . واكثر الدعاة حاجة الى هذا الرصيد الكامل من الايمان هم المربون . هم الذين يصوغون الضمائر وينشثون الأخلاق ، ويوجهون العواطف والمشاعر . ان هذه المهمة دقيقة عميقة ، فلا بد فيها من مناغاة العواطف ، ولا بد فيها من مناجاة الضمائر والمشاعر ، ولا بد وأن تكون المناجاة في ظلال الايمان وتحت رعايته ، ليسري الايمان والتهذيب من طريق الحب ، ويسري من طريق القدوة ، ويسري من طريق الاشعاع .

وأنجح المربين في مهمته وامكنهم من بلوغ غايته من استطاع أن يتحدث الى العاطفة بلسان العاطفة كما يتحدث الى الفكر بلسان الفكر والى الوجدان بلسان الوجدان ، من استطاع أن يتغلغل الى هذه الأعماق فيوجه بالعمل كما يوجه بالقول .

وعدته في الوصول الى هذا المدى هو الايمان الشامل الذي يطبق أرجاء النفس ويضيء أطرافها .

هو الفكر المؤمن والنفس المؤمنة، والضمير المؤمن ، والعاطفة المؤمنة ، والمشاعر المؤمنة ، والخلق المؤمن .

وبهذه العدة أحرز العظماء من قادة الاسلام ورعائهم اشواطهم في مهمتهم التربوية ، نعم ، وبهذه العدة بلغوا آمادهم في مهمتهم القيادية :

هذه هي طريقة الاسلام في التربية ، انه يتصل بالفكر من طريق الفكر ، ويتصل بالقلب من طريق القلب ، ويتصل بالوجدان من طريق الوجدان ، ويتصل بالعاطفة من طريق العاطفة وبالمشاعر من طريق المشاعر ، ثم يلقن مبادئه وتعاليمه بالجديد ، ويلقنها بالعمل ، ويلقنها بالايحاء ، ويلقنها بالواقع المجسد المحسوس ، وان الكلمة في ظل هذا الايمان المشع يكون لها اكثر من مدلول ، وان الائمة يكون لها اكثر من أثر :

والشرط الأول والمهم في نجاح هذه الطريقة وتركيز أثرها أن يقدر الشاب أو الناشئ هذا الجهد من مربيه ، فيبادله حباً بحب ، ويكافئه قلباً بقلب وشهوراً بشعور ، أن ينقح هذه الفرصة المواتية فيصل به عاطفته ومشاعره ليسري الاثر ويمتد الاشعاع .

وقد تحدثت الى أحد الشباب النجباء فقلت له في جواب كتابه :
(ورسائي اليكم ايها الاعزاء محاولات في التربية العملية الاسلامية ، فلا يستغني قارئها عن تكرارها اكثر من مرة ، ولا يستغني عن أن يتفعل بأحاسيس كاتبها ويصطبغ بمشاعره ، ويكثف مع أساليبه ، ويكون رهن إشارته مادام قارئاً له .

(وكلما تعددت الفرص وامتدت به في تملي هذه الدروس واستبطنها
كان أقرب الى النجاح . . .) .

وأضيف هنا ان إستقرار الإيمان ومد نفوذه وعطاءه العطاء الكامل
يفتقر الى طول تعهد وممران ، والى مزيد يقظة ومحاذرة من خداع الوهم
وخداع العاطفة والتواءات الغريزة .

هذه طريقة الاسلام في التربية العملية ، أشير اليها هنا بقدر ما يوضح
للقراء خطتي التي اتبعتها في هذه الرسائل ، اما تفصيل المنهج وتبيين حدوده
وخطوطه فموعه يوم يسعدني التوفيق ان شاء الله فاضع الحلقة الخاصة
بالتربية من كتاب الاسلام .

ومعذرة مضاعفة الى الاعزاء الذين حررت اليهم الرسائل ، أن تستدعي
الرسالة التربوية العامة أن أحذف منها الأسماء والمخصصات والمعينات ، معذرة
مضاعفة اليهم ، فهذا هو حكم الواجب الذي لا بد أن يؤدي .

وأوقن أنهم سيكونون أشد خبطة بها حين يرونها بهذه الصيغة ، فتتاح
الفرصة فيها - مجمعة - لهم ولاخوانهم على السواء .
ونحياتي وطيب أمانتي لكم جميعاً في مطلع الحديث وفي ختامه .

النجف الأشرف ٢٦ جماد الثاني سنة ١٣٨٧ محمد أمين زين الدين

بسم الله وله الحمد

ولدي الحبيب ضياء الدين زين الدين :

أضع على ناظرتيك بعض طبعات الأبوة ، وأبثك اشواق العاطفة
البرة ، ومن الله أسأل أن يقر عين أليك بشفائك ، ويجدد له هبتك ،
ويبوثك المقام الذي يرجوه لك في صفوف الداعين الى الله المجاهدين في سبيله ؛
بني : هذه أضمامة من أحاديث العاطفة المؤمنة ومن بلاغ الفكر المؤمن ،
كنت أنت السبب في لها ، يوم بدأت رد علي رسائل اخوانك ، يطلبون
فيها أجوبة لبعض المسائل وحلولا لبعض المشاكل ، فكنت تطلب مني أن
أحتفظ بصورة من كل جواب ، لتدون في مجموعة ثم تنشر في كتاب .
من احاديث العاطفة المؤمنة ، ومن بلاغ الفكر المؤمن ، ومن اقباس
الحق الذي شعت به العاطفة ، وضاء به الفكر ، واستنار به السبيل ، ومن
هدى القرآن العظيم بذبوع الحق ومصدر اشعاعه ، ومبعث قوته وانطلاقه .
(وبالحق انزلناه وبالحق نزل) . (١٠٥ : بني اسرائيل) .

من أحاديث العاطفة المؤمنة ، وستعجب من قولي هذا ، وستسأل
عن صلة العاطفة بالإيمان ، وعن صلتها بالدعوة الى الله ، ففي سبيل الدعوة
الى الله حررت هذه الرسائل !! .

والواقع ان العاطفة من أشد المؤثرات على الحق اذا هي تدخلت أو الفردت في الحكم به ، والإيمان الصحيح أحوج الاشياء الى الاهتمام عن العاطفة قدر المستطاع عند النظر في أدلته وحججه،والاسلام اكثر الأدبان تأكيداً على لزوم التجرد عن اي مؤثر على التفكير السليم عند النظر في أدلته ومثبتاته .

نعم ، والحكم في هذه المرحلة حتى خالص للفكر المجرد والموازنة الدقيقة ، ولا مساغ فيه لعاطفة ، ولا لأي شعور نفسي آخر ، سوى الشعور بالحق ووجوب الانقياد له .

وبعد ان يتم هذا الدور الفكري الخالص ، وبعد أن ينظر الفكر المجرد في ما يقدمه الاسلام من أدلة ومثبتات ويقنع اقتناعاً كاملاً بأن النتائج التي دلت عليها تلك الأدلة حتى لا ريب فيه .

أقول : وبعد أن يتم هذا الدور الذي لاحكم فيه الا للفكر المجرد ، ولا أثر الا للبرهان المنير ، يأتي دور الإيمان : دور الإيمان بهذه النتائج : وهو عملية يشترك فيها العقل والنفس .

والاسلام - في هذا الدور - يحرص أشد الحرص على أن يستقبل الانسان دفعة الإيمان بجميع نواحي شعوره ، وبجميع جهات نفسه ، يحرص على ذلك اشد الحرص ، ويؤكد عليه ابلغ التأكيد ، ليعم الإيمان جميع آفاق النفس ، وتعمق ركائزه فيها ، ونمتد أنواره وآثاره ، وسيأتي لهذا تكرار وتوضيح .

وتؤمن العاطفة وتؤمن المشاعر ، كما يؤمن الفكر والقلب ، ومعنى

إيمان للعاطفة أن تخضع لقيادة الإيمان ورقابته ، فلا تنبسط لأحد من الناس ولا تنقبض عنه الاوفق مقاييس الإيمان وفي ضمن حدوده .

أن يكون الحب الانساني قيساً من حب الله العظيم ، فلا ينطلق به المؤمن الا حيث يرضى الله وحيث تحدد شريعته .

وكذلك إيمان سائر العواطف والمشاعر والأحاسيس ، أن تصطبغ بصبغة الإيمان وتقف عند حدوده .

ولواحي النفس هذه التي قلت عنها : ان الاسلام يحرص أشد الحرص على أن يستقبل الانسان بها دفعة الإيمان : هي النواحي التي تخضع للاختيار ، أو تخضع له بعض آثارها ، اما النواحي التي لا تخضع هي ولا آثارها للارادة فلا يتسنى ذلك فيها .

بلى قد يهم اشعاع الإيمان حتى هذه النواحي غير الاختيارية ويشملها هداه ، حين يطول مران النفس على الإيمان وتعمق آثاره وتقوى فعاليتها فيها ، حتى تنفذ الى منطقة اللاشعور .

ان العاطفة - كما قلت - من أشد الأخطار على الحق ، اذا هي تدخلت أو انفردت في الحكم به ، وما في ذلك من شك ، ولكنها - بعد أن تنساق مع الإيمان الصحيح وتصطبغ بصبغته ، وتقف عند حدوده ، وتزود بمناهجه - تعود من العناصر المهمة في الشخصية الاسلامية المتكاملة ، ومن أكثر العوامل جدوى في ميادين التربية العملية على ضوء مناهج الاسلام ، وما في هذا من شك كذلك .

من أحاديث العاطفة المؤمنة ومن هلاغ الفكر المؤمن ، وليس أدنى

الى القلب ، ولا أنفذ في أعماقه ، ولا أقدر على توجيئه من بلاغ الفكر ،
تمده اقباس الايمان وأنوار القرآن ، وتنديه نجوى الحب في الله والولاء
في دينه .

هذا ما رجوت حين ما كتبت هذه الرسائل ، وهذا ما رجوت حين
ما جمعتها في هذا الديوان ، وهذا ما أرجوه حين تنشر ان شاء الله ، والله
هو المسؤول المأمول لتحقيق الرجاء .

ولدي ضياء : أما الثقة الغالية التي أولاني اياها اخوانك الأعزاء
فأرجو أن يوفقني الله سبحانه لدفع ثمنها كاملا غير منقوص ، يؤدي الأمانة
ويوفي بالامنية لي ولهم على السواء ، والله الذي كلفني واياهم بالتواصي
بالحق والصبر عليه ، والتأزر على حمل أعبائه .

ووصيتي الأولى التي أقدمها في مطلع الحديث لك ولكل قارئ معك
من الطليعة المؤمنة : أن تعيش أسلوب الرسالة التي تقرأها ، وتصغي الى
همساتها وهتافاتنا ، وأن تستشعر في أعماق نفسك وأعماق قلبك انك انت
المقصود بها .

أجل ، أنت المقصود بها ايها القارئ العزيز ، ومادونت هذه الآثار المفارقة ،
وما استبدلت عن طابعها الخاص بهذا الطابع العام الانثوي رسالتها اليك .
أنت المقصود بالحديث ، والايمان الذي وصلني بك وشدك الي هو
الذي جعل مستقبلك أحد مسؤولياتي التي يجب علي أن أفكر فيها وان
أعمل لها ، والله سبحانه هو الذي حملني لك هذه الأمانة ، فهل تعدني انت
بقبولها ؟ .

ان المسؤولية مشتركة ومقسمة ايها الحبيب .

أن تعيش اسلوب الرسالة وتصغى الى همساتها وهتافاتنا ، ولست أعني
أن تنفرد الى أسلوبها الايدي تختبر طوابه ومزاياه ، ولكن الى أسلوبها في التوجيه ،
أما الاسلوب الايدي فأفضل مزاياه ان يؤدي دور الرائد الامين .

وسيجد القارىء تكراراً لبعض المعاني وللبعض التوجيهات في غضون
هذه الرسائل ، وسبب ذلك أن الرسائل - كما تعلم - كتبت متفرقة لآحاد
متفرقين ، وقد تنفق الحال أو تتشابه في اكثر من واحد ممن كنت أرسلهم ،
وذلك يستدعي وحدة المعنى ووحدة التوجيه ، ولما جمعت الرسائل أصبح
ذلك تكراراً ، على أنه في الاكثر لمعان مهمة تستوجب التكرار والتأكيد .
وقد فاتني أن أحتفظ بتاريخ اكثر هذه الرسائل ، ومن أجل ذلك
اوردته مهملاً بغير تاريخ ، وفاتني كثير من الرسائل التي تنتظم في هذا
السلك ، فلم أحتفظ منه بصورة ، وبعض هذه مهم أسفت لفوته ، ووفرة
الاعمال وتوزع الهال هما المسؤولان عن ذلك .

والدي ضياء الدين : وختاماً أزجي شكري الى اخوانك الاحباء الذين
أناحوا لي بمراسلاتهم هذه الفرصة وفتحوا أمامي هذا الباب ، فهياؤوا لي
أن أسوق اليهم والى الطليعة المؤمنة من ورائهم بعض نصائح الابوة .

ولك ولهم وافر تحياتي ، وطيب أمنياتي ، ومن الله أسأل ان يريني
نتاج الغرس ثمرأ شهياً وعملاً رضيعاً ، وأجدد دعوتي الى الله سبحانه بشفائك
العاجل ، وصحتك الكاملة ، وسلمت .

لايلك

محمد أمين زين الدين

٢٥ جماد الثاني سنة ١٣٨٧ .

الاسلام دين الثبات والصدق . ولكن المنتسبين اليه
هم المتزلزلون . الاسلام لا ينتفع من اتباعه شيئاً .
والناس هم الذين ينتفعون به . ضعفاء العقيدة
والنفوس .

١

البحرين

نحية كريمة وثناء جميلاً وشوقاً كبيراً .

حيي الله روحك المسلمة ، ومشاعرك المؤمنة ، ووفقك لبلوغ امانيك
وبارك في غر مساعيك .

تلقيت رسالتك ورأيت ما أودعته اياها من الم مبرح ، وقرأت ما
كتبته فيها من شكوى مريرة ، ولا عجب ، فالمسلم الصحيح بأسى حقاً اذا
رأى انهيار الاخلاق والدين في ابناء امته الزكية ، كأنما هم ينحدرون
من صلب .

والاسلام اشجع من أن يتزلزل في موقف ، أو تضطرب له قدم ،
أو يتأخر عن غاية ، وهو دين الثبات ودين الصدق منذ اول يوم من
ايامه الى ان تنطوي آخر ساعة من ساعات الحياة .

الثبات على الحق ، والصدق في الدعوة ، والصدق في العقيدة ، والصدق في القول ، والصدق في العمل ، والصدق في المعاملة ، والصدق في النية ، والصدق في الخلق ، والصدق في كل مجال يمدح فيه الصدق ، والثبات الجازم الحاسم في كل اولئك : (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون) (١٥ : الحجرات) .

نعم ، الاسلام أقوى من أن يزلزل أو تضطرب له قدم ، ولكن المتسبين اليه الذين لم ينطبعوا بجوهره ولم يتشربوا روحه ولم يتعرفوا حقيقته . وبالاخرى الذين لم يعرفوا منه غير ألفاظ تردد وطقوس تجدد ، هؤلاء هم الذين لا يعرفون الثبات ولا يعرفون الصدق ، ولو انهم فقهوا من دينهم شيئاً لما زلزلت لواحد منهم في موقف قدم ، ولما رغب أن يخلم عقله كما يخلم نعله ، ولما اضطربت بهم الالهواء كالورقة الجافة في ملاعب الرياح . ان الشجرة العظيمة الثابتة اصولها ، الساقمة فروعها ، لن تزلزلها الاغصير مهما كانت عادية عاتية ، ولن تستطيع ان تقتلعها من جذورها ، وهي تمد كل غصن من غصونها وكل ورقة من اوراقها وكل زهرة وكل ثمرة فيها بالغذاء الكافي الذي يضمن لها الحياة ويبلغها الغاية ، وبالقوة الشديدة التي تصمد امام الحوادث وتكافح الطوارئ ، ولكن الورقة المسكينة التي تنخرها الجراثيم ، هي وحدها التي تصفر ويهي موضع اتصالها في الغصن ، وتسقط ضعيقة حقيرة غير مأسوف عليها ، ثم تتلاقفها الرياح حتى تمزقها شر ممزق ، وتسقط في التراب تداس بالالعل ، والبقية الصالحة

منها تكون علفاً للحيوانات .

هذا مثل قريب للاسلام ولمن ينفصل عنه من أبنائه ، واقرأ معي اذا شئت قوله سبحانه : (الم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كسل حين باذن ربها ، ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) : (٢٤ ، ٢٥ : ابراهيم) ، ان الاسلام لن ينتفع من احد شيئاً ابداً ، وان توهم ذلك القاصرون في التفكير الجاهلون بالغايات والمرامي ، ولكن الناس هم الذين ينتفعون بدينهم حق الانتفاع ويحيون بآتباعه حق الحياة ، اذا هم فهموا حقائقه حق الفهم وطبقوها على واقعهم حق التطبيق ، دون نقص ودون التواء : (بمنون عليك ان اسلموا ، قل : لا تمنوا علي اسلامكم ، بل الله بمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين) . (١٧ : الحجرات) .

الاسلام دين الحياة ، والقرآن كتاب الحياة ، ومحمد بن عبدالله رسول الحياة ، يقول هذا ويعترف به منصفون من علماء الغرب من علماء الطبيعة من العلماء الذين يفخر هؤلاء (المثقفون) الذين يقولون لك : ان القرآن اسطورة تاريخية لا تتمشى في عصر الذرة وعصر الصواريخ !! يفخر هؤلاء المهرجون أن يكونوا من تلاميذ تلاميذهم في الدرجة العاشرة او العشرين .

مساكين هؤلاء باعريزي ، انهم يستحقون الرثاء ولا يستحقون النقد ، لانهم لم يعرفوا القرآن حين قالوا فيه هذا القول ، ولم يعرفوا الذرة ولا الصواريخ ولا النور ، حين مدحوها هذا المدح ، ولو انهم عرفوا شيئاً

من هذا وذاك لما قالوا هذا الذي قالوه .

ولا اطليل ولا ادلل ، لانني لا اكتب كتاباً ولكنني احرر رسالة ،
وليس لي من الوقت ما يسمح لي بأن اتحدث عن هذه المنحدرات والمباعدات .
مساكين هؤلاء انهم يستحقون الرثاء ولا يستوجبون النقد ، ولو انهم
عرضوا شكوكهم - ان كانت حقاً لديهم شكوك - على من يستطيع
معالجتها وتبديدها لكانوا ادنى الى الصواب ، واعذر لدى العقل ، بل
واعذر عند الله كذلك ، ولو انهم حلقوا في معارفهم بمعاني القرآن ومعارفهم
في علوم الكون وشؤون الحياة لكانوا حكام انفسهم ولم تخلق لديهم شكوك
ولا اوهام .

ولكن موطن الضعف أن ينظر جاهل فيشك ، وبالأحرى أن يشك
جاهل من غير نظر ، ثم يجعل شكه بذاته هو الحكم !! .
واخيراً تقبل تحياني الكثيرة لك ولمن يعز عليك من اخوانك ، واسأل
الله لي ولكم تسديد الخطى في الدين والدنيا .

قالوا : الاسلام لم يأت بأخلاق زكية . جواب سريع عن
هذه الفرية . هل قرأوا هذه الآيات ؟ . ليسوا من غراس
الاسلام . لنسر مجدين .

٢

البحرين

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وعلى من يعز عايكم من الاخوان
والاحباء ، وسؤالي عنكم وشوقي اليكم ، وابتهل الى الله سبحانه ان يحقق لك
ما تأمل ويكفيك ما تحذر ، وان يوفقك لما يحبّ وللقيام بما يجب ،
واحبيك تحية المسلم الحق الذي يستخلص اخلاقه من عقيدته ويبني أعماله
على اخلاقه .

وصلتني رسالتك الثانية قبل ايام وانشغالي بوضع ابطائي عن
الجواب ، ولقد أبطائي عن كثير من الواجبات ومن الله ارجو التوفيق
لإنجازه انه هو الموفق المعين ، ومن اخواني استمد الدعاء لبلوغ الآمال ،
فدعاء الاخوان المؤمنين عدة المرء في جميع مهماته .

عزيزي : تحدثت في رسالتك عن المسلمين الذين انزلوا عن تعاليم
الاسلام ، وولوا وجوههم شطر ابنية أخرى غير كعبته ، وأنجهوا بقلوبهم

وعقولهم واسماعهم وابصارهم غير وجهته ، وقالوا : ان الاسلام لم يأت
باخلاق زكية ١ . . .

وقالوا انه لا يصلح ان يقوم اعوجاج المجتمع ! ..
الاسلام الذي بعث رسوله ليتمم مكارم الاخلاق ، لم يات باخلاق
زكية ؟ ١ . .

الاسلام الذي قوم الجفاة القلوب الغلاظ الاكباد فاقام منهم امة
تتفانى في سبيل الحق وتتفادى في ميادين الاخوة الاسلامية ، لا يقوم اعوجاج
المجتمع ؟ ١ . .

لقد قلت لك في رسالتي السابقة : ان هؤلاء لم يعرفوا القرآن حين
نقدوه هذا النقد ، وهذا الذي تقوله عنهم شاهد صدق على ذلك .
فهل قرأوا هذا المقطع وحده من سورة الاسراء ؟ :

(وقضى ربك ان لا تعبدوا الاياه ، وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن
عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ، ولا تنهرهما ، وقل لهما
قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني
صغيرا . ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا ،
(وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . ان
المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا . واما تعرضن
عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا .

(ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ، فتقعد
ملوماً محسورا . ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، انه كان بعباده

خبيراً بصيراً . ولا تقتلوا اولادكم خشية اطلاق ، نحن نرزقهم واياكم ، ان قتلهم كان خطأ كبيراً . ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلاً . ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ، ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً ، فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده ، واطوفوا بالعهدان العهد كان مسؤولاً . واطوفوا الكيل اذا كلم وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خير واحسن تاويلاً . وأوفوا (ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولاً . ولا تمس في الارض مرحاً ، انك ان تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً . كل اولئك كان سيئه عند ربك مكروهاً) . وهل قرأوا هذه الآيات من سورة الفرقان ؟ .

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً . والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق اثاماً . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ، والذين لا يشهدون الزور ، واذا مروا باللغو مروا كراماً . والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً) .

هل قرأوا هذه المقاطع وحدها من آيات الكتاب ؟ وهل تدبروا معانيها اذا كانوا ممن يهمهم أمر القرآن ، اذا كانوا ممن يهمهم أمر القرآن ولو لينقذوه ؟ ! .

ولماذا اقول سورة الاسراء ، او سورة الفرقان ، ولماذا اخصص هذه الآيات الكريمة او تلك ، فدروس الاخلاق منتشرة مبعثرة في طول القرآن وعرضه .

هكذا ، نعم هكذا أسوق الشواهد سوقاً دون شرح ودون تعليق ، فان وضوح معاني الآيات الكريمة التي ذكرتها يغني عن التفسير .
عزيزي : قف على كل مقطع وعلى كل جملة من هذه الآيات الكريمة وامثالها وقلِّبْ بصرك في آفاقها المترامية ، ثم اعجب - ان شئت العجب - من اقوال الذين يهرفون بما لا يعرفون .

اما قولتهم التي نقلتها عنهم : (تعرف الشجرة بثمرتها) فهي قولة صحيحة ولا نقاش في صوابها ، ولكن لتساءل جادين :
هل المسلمون في واقعهم الراهن غرس من غراس الاسلام ، لتكون اخلاقهم واعمالهم الموجودة من ثمار الاسلام . ويستدل على فساد الشجرة بفساد الثمرة ؟ .

انها نتيجة لن يقولها منصف ابداً .

لن يقولها منصف عرف واقع المسلمين اليوم وبعده عن تعاليم الاسلام ، بل ومناقضته لهذه التعاليم .

قل لهم ان الاسلام كل لا يتبعض ولا يتجزأ ، ولا يبيع للأهواء أن تتدخل في أمره فتقبل منه وترفض حسب ما تشتهي : (افترمونون بعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما

تعملون) (٨٥ : البقرة) .

ان مسلماً لا يولي وجهه شطر قبله الاسلام ليس غرساً من غراس الاسلام .

وان مسلماً يتسامح في فرائض الله وواجباته ليس غرساً من غراس الاسلام .

وان مسلماً يتغاضى عن قوانين الله فلا يطبقها على ما أتت به وممتلكاته ليس غرساً من غراس الاسلام .

وان مسلماً يكذب ويخادع ويغش ويخون ويرتكب ما يخالف الاخلاق التي امر بها الاسلام في كتابه وسنته ليس غرساً من غراس الاسلام .

نعم ليس هؤلاء جميعاً ولا نظرائهم من غراس الاسلام ولا كرامة . دعوا الاسلام ينقي التربة ويضع البذرة ويتعهد بها بالسقاية ويرعاها

في النمو ويكافح دونها الجرائم والطفيليات ، ثم انظروا كيف يكون الثمر إن كنتم تريدون ان تعرفوا ثمار الاسلام .

وبعد ، فما لنا ايها العزيز وللحديث عن هؤلاء وأهوائهم ؟ .

لنسر جادين مجدين الى الغاية التي نبتغيها نحن والتي خلقنا الله من أجلها ومن اجل تحقيقها .

لنضطلع بالاعباء العظمى التي رآنا الله أهلاً لها حين قال لنا : (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر

اولئك هم المفلحون) (١٠٤ : آل عمران) .

لندع الى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة ونجادل الغاوين بالتي

هي احسن .

لنفهم هؤلاء السادرين الحائرين قولة الله صريحه ، ولنعرفهم بينة
الله صحيحة ، فلن يضرنا ولن يضر كلمة الله خذلان خاذل ولا هزل هازل ،
(ولينصرون الله من ينصره ان الله لقوي عزيز) (٤٠ : الحج) .

انهم اخواننا ياعزيزي وذوونا فلنبادرهم بالعلاج ، فطب محمد كفيل
ببرء النفوس وشفاء الصدور .

وسلمت وسلم لك اعزاؤك الذين تشدهم اليك صلة الايمان واخوة
القرآن وتحياي واشواقى اليكم جميعاً .

يقول : ان الاسلام لا يناقض المبادئ الوافدة . من
ضعفنا انا نصدق ما يوحى القوي اليها . قال القوي ،
وقلنا : نعم . مبادئ تقوم على انكار الاله ، بعض
واجبات المرشد .

٣

البحرين

تحية الاسلام ، وتكريم الايمان .

اخني : حدثتني في رسالتك عن رفقاتك الشباب الذين صحبوك الى
مطار : : : لتوديع بعض ارحامك ، والذين فارقتهم انت لتؤدي فريضة
الوقت ، فريضة الصلاة وفارقوك هم ليقضوا فرصتهم في بعض المقاهي ،
ثم اجتمعت بهم لتسألهم : هل أدوا فريضة الاسلام ؟ وليجيبوك عن
سؤالك هذا بإتسامة هازئة ساخرة ! .

حدثتني عن رفقاتك هؤلاء فذكرتني حديثاً لي مع زميلٍ صحتني قبل
أشهر في غرفة القطار بين البصرة وبغداد .

كان زميلي هذا من الشباب الواعي الصاعد كذلك ، وكان مغتبطاً
بلقائني على ما أتذكر من قوله .

كنت أنتظر أن يقف القطار لأصلي ، فقد حل وقت الصلاة منذ ساعة .
ووقف القطار ، وعلمت أن مدة وقوفه تسمح لي بالنزول وبإداء
الفريضة كما أريد ، وتم لي بحمد الله ذلك ، وأديت الفريضة ، وعدت الى
موضعي من المقصورة ، ووجدت رفيقي كما فارقتهم مكباً على قراءة بعض
الصحف اليومية ، ولم أشأ أن افاتحه الحديث في أمر الصلاة ، فقد كنت
أعرف قيمة الصلاة عند هذا الفريق من الشباب المحدثين . لم أشأ أن
اتطرق معه الى هذا الحديث لو لم يفتحه هو .

قال لي في أثناء سمره : انه لا يجد تناقضاً ابداً بين دين الاسلام
وبين هذه المبادئ الوافدة من اليمين أو من اليسار ، فالاسلام - على ما
يرى - دين روحي يتعهد صلة الانسان بربه ، وهو يتمثل بصلاته وصومه
وعباداته ، فاذا اداها المسلم فليس عليه من حرج في أن يعتنق اي مبدأ
من مبادئ الاقتصاد أو اي مذهب من مذاهب الاجتماع تطوراً مع الحياة ،
وتقدماً مع الحضارة ، قال ذلك باصرار .

فابتسمت له ابتسامة عريضة ، ثم قلت : والذي لا يصلي ولا يصوم
الا تعدده مسلماً يارفيقي ؟ ! .

فانتهى لسقطته ، وتلعثم من الخجل ، وضحك ضحكة باردة هي الى
الارتباك اقرب منها الى أي معنى آخر ، ثم قلت له : يبدو أنك لا تجد
تناقضاً بين قولتك هذه وبين فعلك ، كما لا ترى تناقضاً بين الاسلام
واعتناق هذه المبادئ الوافدة من هنا وهناك .

فتنم ثم أطرق .

فقلت : ان من مواطن الضعف فينا باسميري اننا نصدق ما يوحى القوي
الينادون موازنة ودون تمحيص ، قال لنا القوي ان الاسلام موضعه
المسجد والمحراب ومجال الاسلام انما هو تربية الروح ، انما هي صلة الانسان
ربه فقط ، فقلنا نحن : نعم .

قال هو ذلك ليكيف دين الله عن مجالات الحياة ، وليكفي المبادئ
التي يريد لها هو أشد مناوى لها في الميادين ، وأقواها عزيمة في الصراع ،
واعظمها سهماً في الحكمة ، وارسخها قدماً في العدل ، ولكنه أبجسها نصيباً
من الدعاية ، وأضعفها قابلاً بل وإيماناً في الأتباع ! ! .

قال القوي قولته تلك ليكتسب هذا الكسب وينال هذا الربح .
وقلنا نحن نعم لاننا مولعون بالتقليد ، بتقليد الأقوياء حتى فيما يضرنا :
لقد تعودنا باسميري أن ننصهر ونذوب اذا لحننا القوي ، ورتنن
بإشارته ونخضع لأرادته ، فلا كيان لنا معه ولا ارادة ، ولا رأي ولا موازنة .
والا فأي دليل يقوم لدينا على فصل الدين عن مجالات الحياة واختصاصه
بناحية الروح ؟ ، اتخذاك - وانت مثقف على ما اتوسم - أن تقيم لي
شاهداً واحداً على صدق هذه الدعوى ، واتحدى غيرك ممن يتبنى هذه
الفكرة وفيهم الكتاب والمفكرون ، شريطة أن يكون الدين المبحوث عنه
هو دين الاسلام دين القرآن دين الاسلام بالخصوص ! ! .

قال لنا القوي وصدقنا قولته لنعزل دين الله في الصوامع والجوامع
ولنقتصر نشاطه على العبادة والقربة ، ثم لتجيء الأهواء بعد ذلك فتصرفنا
عن الصلاة والعبادة فنخرج كما قدر لنا عدونا اليقظ (مهلتسين) مفلتسين ،

لا رصيد لنا من دين ولا ملجأ من عقيدة ، ولا سند من إيمان ولا
حصيلة من عمل ، ولا نأية للتناقض ، ولا نبالي بالخشية ! ! ...
ثم ماذا غير ذلك ياسميري ؟ .

ليس في الاسلام - كما قات - مناهج خاصة تنظم الحياة وتوجه
الانسان فيها ، وتأخذ بيده في مجالاتها ، لاني الاقتصاد ولا في الاجتماع ولا في الحكم
ولا في السياسة ، ليس فيه مناهج خاصة لتناقض هذه المبادئ الوافدة من
اليمن أو من اليسار ! .

افتقول ايضاً : ليس في دين الاسلام عقيدة يقوم عليها بناؤه وتعشعشع
عنها فروعه ، عقيدة باله خالق للكون ، متفرد في تدبيره ؟ ! .

فكيف لا يعد الاسلام - اذن - مناقضاً للمبادئ التي تقوم على
انكار الآله ، والتي تقول بملء افواهها وتهتف ملء حناجرها : (ان
العالم هو واحد ، لم يخلقه اله ولا انسان ...) .

فضحك صاحبي ثم قال : ويقولون ايضاً : (ان العالم المادي الذي
تدركه حواسنا هو الواقع الوحيد ان المادة ليست من نتاج العقل
بل ان العقل نفسه نتاج المادة الاعلى) .

فقلت : واظنك تعرف جيداً معنى قولهم هذا .

انهم يعنون ان المادة ازلية لم يسبقها عقل لتكون هي من نتاجه ،
ومعنى ذلك انها لم يخلقها اله ، لان الاله انما يخلق الأشياء عن قصد وتدبير
وحكمة ، فهم يعبرون عنه بانه عقل .

المادة ازلية وكل ما هنا من شيء فهو من نتاج المادة وتطورها تحت

نفوذ القوانين الطبيعية التي تحكمها ، والعقل نفسه من نتاج المادة ايضاً
والآراء والمعتقدات والفلسفات والمذاهب كلها انعكاسات للواقع المادي
الموجود ، هذا ما يعنون بقولهم ،

وانا لا يهمني الآن ما يقولون هم ، ولكن يهمني ما تقوله أنت ،
فقد عرضت لهذا القول في الحلقة الأولى والثانية من كتاب (الاسلام)
وفي مواضع اخرى متفرقة ، وعرض لهذا كتاب آخرون مسلمون وغير
مسلمين ، وعرض لهذا العلم التجريبي ايضاً ، واثبت ان كون المادة أزلية
قول لا يبتني على أساس .

انا لا يهمني الآن ما يقولون هم ، ولكن الذي يهمني ما تقوله أنت
فهل تؤمن بذلك ؟ . وسواء آمنت بصحته ام لم تؤمن فكيف لانعده
مناقضاً للإسلام ؟!

ثم انصرف بنا الحديث الى التوحيد ثم الى الصلاة ، وانقضى السمر
وانفض السامر ولم اعرف حال صاحبي بعد مجلسنا ذلك ، واسأل الله له الهداية .
اما الفاضل الوجيه خطيب المنبر الحسيني الذي وجهت اليه رسالتك
ودعوته فيها الى القيام بقسطه من التوجيه والنهوض بواجبه من الارشاد ،
وذكرت له المزالق والعوائق التي تعترض الشبان المسلمين في هذه الأزمان ،
وفي هذه الاصقاع ، وقلت له ان المرشد الديني الصالح يجب ان يعد لكل
داء علاجه ولكل شبهة حلها ، وان المنبر الحسيني يجب ان يكون في القمة
من هذه المهمة .

اما هذا الفاضل فمن الحق ان تحمله على الخير ما دام مظنة للخير

وان تأخر عن جوابك ، وعلى اي حال فقد صنعت انت ما يجب عليك
اما هو فانه أعرف بغذره اذا كان لديه عذر ، والله هو ولي الجزاء وهو
العليم بذات الصدور .

والمظنة التي يظنها فريق من اصحاب المنابر ورجال الدين ببعض
الشباب فيبعدون عنهم ، وينفرونهم من قريبهم ، هذه المظنة السيئة هي
مصدر البلاء الذي حاق بنا يلغيزي والذي جنيثا ثماره وحملنا آصاره .
وما ضر رجل الدين أو خطيب المنبر ، أن يبسط خلقه وعلمه للناقد
من الشباب او غير الشباب حتى يجعله مادحاً وللعاجل حتى يصبره عالماً ،
وللغاوي حتى يجعله رشيداً .

وهذا الشاب الناقد أو الغاوي ليس بأحط نفساً ولا أسوأ قصداً ولا
أقل قيمة من ذلك البدوي الغليظ الجاني الذي كان الرسول (ص) يستقبله
بابتسامة العطف واللطف ، ثم يفتش معه الحصى ويكب عليه يفحص
أدواءه داءاً داءاً ، ويعالجها واحداً واحداً ولا يفارقه الا وهو أحب الناس
اليه واشدهم انقياداً لقوله .

انها دروس رفيعة رفيعة يا عزيزي لو اننا اتبعناها في مجالئنا من
الدعوة الى الله ، لافدنا منها خيراً كثيراً وكفينا شراً كثيراً .

ومنبر الدعوة لم يؤسس حين تأسس لتعليم العالم وارشاد الرشيد ، ولو
كانت هذه مهمته لفقد جدواه وبطلت حكمته .

ومن الله اسأل ان يمن علينا وعلى المؤمنين بتسديد الخطوات وإزالة العثرات.

الايمان المشع الصنّاع . هذا هو الذي اراده لنا القرآن .
الايمان القاصر المنطوي بعيد عن روح الاسلام .

٤

الى الحلقة . ١٤ رمضان سنة ١٣٨٣ .
الاستاذ القدير المحترم .

سلام الله عليك ونحيته المباركة ورحمته الدائمة ، وعون الله ظهرك
في دعوتك وتوفيق الله حليفك في سعيك ، مع شوقي الكثير واعجابي الكبير .
وصلتني رسالتك الكريمة ، وتعرفت بها على روحك المشبعة بالاسلام
المشعة بالايمان ، وقرأت فيها طرفاً من جهادك في الله ودعوتك الى سبيله ،
فأكبرت ، ودعوت ، وتمنيت أن يكثر في أبنائنا الانجاب من أمثالك في
كل صقع وفي كل بلد وفي كل ناحية ممن ياخذون بيد النشء الى وجهته الصحيحة
ويعرفونه دينه الكامل ونهجه الشامل ، اذن لظهر امر الله ولعلت كلمته ،
واذن لخط للأمة مستقبل كريم يزخر بالسعادة وينطف بالهناء .

والايمان المضيء المشع هو الطاقة العظيمة التي اراد القرآن ان يزود
بها كل نفس مسلمة ، وأن يفعم بها كل قلب مسلم .

الايمان الذي ينير جميع جوانب النفس ويضيء منها حتى عواطفها

ومشاعرها وآمالها ، فلا تلفي في آفاقها المترامية الا نوراً ، ولا نجد الا هدىً ولا تحس الا خيراً وجمالاً ، والذي يعكس النور في قلوب الآخرين ويملأ به نفوسهم ويبني إيمانهم ويخلق شخصياتهم .

الإيمان القوي المكين الصنّاع الذي يدخل مع ابتسامة الحب الى القلوب الغلف ، ومع نصيح الاخوة الى الاسماع الصم ، ومع نظرة العطف واللاطف الى المشاعر المغلقة والصدور الحرجة ، الإيمان الذي يخلق الإيمان ويلده ، كالكهرباء يمتد الى الاجسام التي توصل به ويعكس الاضواء على الأخرى التي تقابله .

اقول : وهذا النوع من الإيمان هو الطاقة التي أراد القرآن أن يزود بها كل نفس مسلمة وأن يملأ بها كل قلب مسلم ، نعم ، ومن أجل ذلك وجدنا الآيات الكريمة التي تصوغ الإيمان وتضع أسسه وتقيم بنيانه وتحكم قواعده ، وجدنا هذه الآيات الكريمة من الكتاب الكريم تعني اشد العناية بإيقاظ الانسان وتوجيه فكره ولفث مشاعره وتنبيه مختلف أحاسيسه وغرائزه وعواطفه وانفعالاته ، فتغري عقله بالنظر وتعرضه على حب الاستطلاع ، وتلهب مختلف نوازعه بالعتاب وتثير فيه كامن الخوف من ربه ، وتحرك في قلبه وتر الحب الغريزي لمنعمه وراحه ، وتأخذ به الرغبة اليه والرهبة منه وبالوعد بثوابه والوعيد بعقابه ، ليتنبه هذا الانسان من كل جهاته ويتلقى ركائز الإيمان بمختلف نواحي شعوره ، ويكون مؤمن الفكر ، مؤمن القلب مؤمن الروح مؤمن النفس ، مؤمن العاطفة ، مؤمن النزعات مؤمن الأحاسيس والهوى والآمال والآلام ، ويكون مؤمن الحب والبغض ، مؤمن الرضا والغضب ،

مؤمن السر والعلانية مؤمن القول والفعل .

اجل : هذا هو الايمان المضيء المشع الذي اراده لنا الاسلام ، و اراده لنا القرآن ، ولست هنا استطيع ان اذكر شواهد ذلك من الكتاب الكريم واشرح ابعاده من النفس وآثاره في الدعوة وفي صلاح المجتمع فاني انما احرر لك رسالة ولست أولف كتاباً ، وقد ذكرت بعض ذلك في الحلقة الثانية من كتاب (الاسلام) ومن الله ارجو التوفيق لاتمامه ثم العون على نشره .

اما الايمان القاصر المنطوي فانه بعيد عن روح الاسلام الهادية المتفائلة التي تريد أن تفتح الدنيا وتبهر اقطار المعمورة وتعمر آفاق الناس وقلوبهم وضمايرهم .

اي وعينيك ان هذا اللون الحائل من الايمان ابعد الاشياء عن روح الاسلام .

واسميه قاصراً منطوياً لانه قد يملأ جانباً واحداً من جوانب النفس الكثيرة ولكنه لا ينفذ الى جوانبها الأخرى .

فقد يتلقى الانسان عقيدة الاسلام بفكره المجرد فينظر فيها نظراً ناقباً ويؤمن بها ايماناً شديداً ، ولكن النواحي الأخرى من نفسه ، ولكن حبه وآماله وعواطفه ومشاعره ، تكون بعزلة كاملة عن ذلك فلا تؤثر في ايمانه شيئاً ولا تتأثر به ، كأن الامر لا يعنيه شيء أبداً .

ومعنى ذلك ان هذا الإنسان آمن ايماناً جافاً صليداً ليس فيه طراوة الحب ولا نبضة العاطفة ولا تجدد المشاعر ولا ابتسامة الأمل :

ومعنى ذلك انه آمن ايماناً يائساً متشائماً قاسياً يظن في ما حوله الظنون
وينظر اليه برية ، يحكم بالضلال على من خالفه لأقل بادرة ، ويأس من
صلاحهم لأدنى تهمة ، وهو من أجل هذه الأزمة التي تأخذ عليه آفاق
نفسه لا يجهد ببلاغ دعوة ولا يأمل في اقبال فتح ، ولا يرجو إشاعة
صلاح أو تقويم عوج .

ان هذا الايمان المنطوي أبعد الأشياء عن روح الاسلام وعن رشد
القرآن وعن هدى الرسول ، والدعاة المسامون هم الذين يستقبلون أعداءهم
الاشداء الألداء بابتسامة الحب وعطف الأخوة ، ويتلقونهم بسماح الاسلام
وأخلاق الرسالة فيفعلون العجائب ويحققون المعجزات .

وقد توسمت فيك ايها العزيز ملامح الداعية المسلم الذي تنعكس دعوته
على سيرته ، ومن الله سبحانه ارجو ان يحقق فيك رجائي ويستجيب لك
دعائي .

وتحياتي لك ولزملائك الأطياب الذين يشاركونك حمل الدعوة ويمتتون
اليك بنسب الايمان ، ويتفيثون معك ظل القرآن ، وللشباب الانجاب الذين
يرتوون بأيديكم من غير العقيدة ويتبعون بدلائلكم انوار الهدى واشواقى
ودعائى لكم جميعاً .

حديث القيامة ليس من مجالات العلم الكونى . الحكم فيه
للعقل وللدین الصحيح . العلم يقول بنهاية الكون الى الفناء .

٥

الى النجف : ٢٢ رمضان سنة ١٣٨٣ :

ولدى إلهذب

سلام عليك ملء عاطفتي وكفاء شوقى ، ونحيات زكية طيبة لك ولن
يعز عليك من الشباب النجيب ، الازهار الفواحة بالهدى والوجوه المشرقة
بالايمان والنفوس المفعمة بحب الله وحب رسوله والدعوة الى سييله ،
والضامير المطهرة باخلاق الاسلام ، الدائبة في حمل رسالته ، ودعائى لكم
جميعاً ان يجعلكم من حملة الاصلاح وادلاء الفلاح .

أشرت في رسالتك الى الآيات الكثيرة التي ذكرت يوم القيامة وصورات
مشاهده ووصفت احواله ، وسألت عن العلم الحديث : هل قال فيه قوله،
وهل تنبأ عنه نبأ ؟.

ولدى : ان حديث القيامة ونشر الاجساد وعودة الناس الى الحياة
بعد الموت وقيامهم للعرض والحساب ، وليلقى كل أحد منهم جزاء ما عمل
ان هذا الحديث غيب من الغيوب وليس من مجالات العلم الحديث ليحكم

فيه او يتنبأ عنه ، فقد عرفت وعرف كل مطلع أن مجال العلم الحديث انما هي الأمور المادية التي يدركها الحس وتباغها الآلة وتناولها التجربة وتقع عليها الملاحظة ، وبدهي أن القيامة وشؤونها واحوالها ليس من ذلك في شيء ، فهي ليست من مجالات العلم المادي ليقول قولته فيها بنفي او باثبات . نعم ان العلم الحديث لا يثبت في ذلك شيئاً ولا ينفي ، لأنه ليس من مبادئه وليس القول فيها من اختصاصه ، وهذا هو موقفه المعتدل مما وراء المادة كافة ، فان العلم لا ينكر وجود ما لا يدركه الحس ولا تبلغه الآلة ولا تناله التجربة ، بل يترك الحكم فيه للتفكر المجرد لانه يملك فيه وسائل الاثبات ، ووسيلة الفكر المجرد لتحصيل اليقين في ذلك هو الدليل القاطع والبرهان المنير .

لا ينكر العلم وجود ما لا يدركه الحس ولا تباغسه الآلة ولا تناله التجربة ، ولا يمحذ وجود ما وراء المادة ، ولا يمحذ وجود الإله ولا يوم النشور ، لأنه لم يملك اثبات ذلك بوسائله المحدودة ، وبأفك من ينسب ذلك الى العلم ، ويفتري اشد الفرية عليه ، وقد تحدثت عن هذا في كتاب (الاسلام) وفي أبحاث متفرقة اخرى ، وتحدث عنها كتاب آخرون كثيرون ، مسلمون وغير مسلمين .

والدي : لقد قلت لك ان العلم التجريبي لا يملك وسيلة الإثبات او النفي ليوم النشور ، والعلم منصف لانه علم فلا يحكم فيه بحكم ، ولا يمحذه لانه لا ينكر ما يجهل وانما يوكل الحكم فيه للعقل المجرد وللدين الصحيح ، وكل ما توصل العلم الحديث لاثباته بالقوانين القطعية : أن هذا الكون

سائر في طريقه الى الفناء ، ولا بد من يوم تصل فيه الحرارة التي تشعها الشمس الى درجة لا تبقى معها حياة ولا يستقيم كون ، وقد استدل العلم على ذلك بالقانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية . وتفصيل هذا يحتاج الى بسط طويل .

اما العقل فقد ملك البراهين القوية على اثبات هذه العقيدة ، وقد ذكرت بعضها في الحلقة الأولى من كتاب (الاسلام) ويمكنك الرجوع اليها اذا شئت .

واما الاسلام فقد قال قوله في ذلك صريحة لا غموض فيها وهي كذلك قطعية لا جدل فيها ولا مساغ عنها بعد أن أثبتت الفطرة وأثبت العقل انه الدين الحق فلا ريب فيه، وان حقائقه هي الحقائق الناصعة فلا معدل عنها .

هذه مجملات اكتفي بها في جواب رسالتك لأن التفصيل في هذا الموضوع لا تسعه رسالة .

ومن الله ارجو لك دوام التوفيق وتمام السعادة وشمول الرحمة وسبوغ النعمة وتحياي لك وللاعزاء من اصحابك .

كتاب يبيعون العقول والضمائر . يجرّدون الدين حتى من صفاته الأصلية . فقرات من صحيفة الحضارة حول العلمانية والجواب عنها .

٦

الى النجف . ١ ذي القعدة سنة ١٣٨٣

ولدي

اهدبك وافر التحية وزكي التسليم وابثك عظيم الوجسد وكبير الشوق وارجو لك دوام الصحة ودوام المسرة :

قرأت في رسالتك فقرات نقلتها عن صحيفة (الحضارة) وطلبت مني ان اجيب عنها ، قرأت هذه الفقرات ثم فكرت في المنحدر السحيق الذي يهوي اليه بعض الكتاب السذّين يبيعون العقول فلا فكر ، والضمائر فلا وجدان نعم ، ومن يستبدل بدين الله ديناً لم يعز عليه أي شيء سواء :

ان هؤلاء حين يتحدثون عن الدين يجرّدونه من جميع صفاته ، وحتى من سماته الاصلية التي يتميز بها ، بل ويضيقون من أمالي الهوى وأمالى الضمائر الميتة والبصائر المدخولة ما يبرأ منه الدين ويثزّه عنه كتابه ، وترفع عنه شريعته ثم يبتنون الاحكام ويستخلصون النتائج من هذا الخليط

المشوه وعلى هذه الاسس المنهارة .

والذي يروم نقد هذه الآراء ، ويريد الجواب عنها ، لا يدري ماذا ينقد وعمّا ذا يجيب ، لكثرة الثغرات والفجوات .

انها مهزلة من المهازل ، ولكنها مهزلة تفتقر الى الجواب ، وبالأحرى هو داء لا بد من الوقاية ضد جرثومته حذراً من الانتشار .

والفقرات التي ذكرتها تحتوي شبهاً ثلاث اذكرها واحدة واحدة لتنظر مبلغها من الصحة ومن القوة .

يقول الكاتب : (ان رسمية دين معين في الدولة تخلق فئة معينة تشعر بسمو على الفئات الأخرى من المواطنين ، وكرد فعل من الفئات الأخرى تشعر هذه الفئات بشعور غريب نحو الفئة ذات الدين الرسمي ، وعنها يتسرب الأجنبي فاذا أردنا ان نسد الباب الذي يتسرب منها الاجنبي وجب ان يعلن عن علمانية الدولة فيشعر المواطنون بالمساواة والطمأنينة) .
واول مراوغة يبدأ بها الكاتب بحته هي هذا العرض الذي يعرض به المسألة أو المشكلة حسبما يتصور ، فالدولة في رأيه هي التي تجعل الدين رسمياً او غير رسمي ، وهي التي تبت بالحكم عليه ، اما الدين ذاته فلا خيرة له في ذلك ، والاسلام لا يقبل هذه المساومة وهذه الضعة .

ان الاسلام هو الذي يقيم الدولة للمجتمع المسلم ويضع اسسها ويوجه حكومتها وشعبها ، ويربطها بالنظم العادلة ، وهو الذي يقرر للدولة رسميتها ووجوب طاعتها على الناس اذا كانت تستمد انظمتها من حكم الله ومن شريعته .
- وثانياً - اي دين هذا الذي يشعر اتباعه بالسمو على المواطنين

الآخرين في الحقوق والواجبات والحريات الفردية والجماعية التي يعترف بها الدين ، وامام محاكم العدل ، وسلطات التنفيذ ؟ .

اي دين هذا الذي يشعر اتباعه بالسمو على المواطنين الآخرين في شيء من ذلك ؟ ، والدين الذي يرتكب ذلك بثبت بطلان نفسه ، ويناقض العدل الذي يكده هو واتباعه في الدعوة اليه .

اما الاسلام على الخصوص فانه اعظم الاديان براءة واشدها نزاهة عن هذه الهنات التي يلوي بها الكاتب لسانه ، وتاريخه النير المشرق ، ومناهج تشريعه العادلة براهين صدق على هذه الدعوى .

والمواطنون الآخرون حين يعلمون ان الدين الرسمي للدولة يصون لهم حقوقهم كاماة ، ويضمن لهم حرياتهم دون ميل ودون انحراف ، لا يشعرون بغربة أو ببعد عن الفئة ذات الدين الرسمي ويشعر الجميع بالمساواة والطمأنينة كما يدعو اليها الاسلام ويتعاون الجميع من اجل مصلحة الدولة ومصلحة البلاد .

ويقول الكاتب : (ورسمية الدين للدولة يلزمها توزيع النواب على اساس النسبة العددية للطوائف وبذلك تنتفي الكفاءة والاهلية وهو ضرر فادح للبلاد) .

وهذه الشبهة نظيرة اختها السابقة في المراوغة والالتواء ، فان الاسلام ينمي الكفاءات في اتباعه وفي مواطنيه على السواء ، ويمهد للمواهب ان تظهر وان تثبت ، ويهيء لها الاجواء الصالحة ، ويمدها بالتربية الموجهة ، ويستثمرها جميعاً لمصلحة المجتمع ومصلحة الدولة دون ميل ولا مواربة ، الا ان ينحرف

ذو الكفاءة فيعمل طاقته في هدم الاسلام وشل حكومته والكيد للمسلمين
والفتنة لهم في دينهم ، واذا ثبت ذلك فلا جور ولا ضير في أن يؤدب المعتدي .
اما ناحية التشريع فلها في دين الاسلام حقول معينة ومنهج خاص
ومؤهلات مخصوصة ، لا بد من مراعاتها والانطلاق ضمن حدودها .

ويقول اخيراً : (ورسمية الدين للدولة تفسح المجال لرجال الدين
ان يدسوا أنوفهم في شؤون الدولة بصفتهم الدينية باسم الدين الرسمي) :
وهذه آخر المزاوغات ، والاسلام ليس له رجال دين مخصوصون ،
ورجال الدين فيه كل فرد آمن بفكرته وأخلص في عقيدته ، وفقه نظامه ،
وخضع له في العمل ، واذا توفرت في الرجل هذه الشروط مع الشرائط
الخاصة التي يعتبرها النظام فاي مانع بمنعهم الدخول في شؤون الدولة واي
موجب لهذا الاستثناء ؟ وما معنى الصفة الدينية بعد ذلك ؟ :

وبعد ، فإن الكاتب يفترض ان يكون الدين شيئاً وان تكون الدولة
شيئاً ثم يراد التطفل بدخول الدين صفة للدولة ، او بدخول صفة الرسمية
على الدين ، ثم لا شيء غير ذلك ، والكاتب يريد تجريده حتى من هذه الصفة .
هذه بعض النقاط التي اشتملت عليها عبارات الكاتب اتناولها بإيجاز
وسلامي لك ولن يعز عليك ورحمة الله وبركاته .

قلم أديب . سبيل دعوة الله . الشباب الواعي عدة الاسلام
لستقبله وحاضره . واجب كل داعية مسلم .

٧

الى النجف - حي الأمير
ولدي المهدب كان الله في عونك وسددك في خطاك ،
ولفالك ثمار الامل ونتاج العمل :
وصلتني رسالتك واستنشقت منها عبق الايمان وعطر الاسلام ، وقرأت
فيها القلم الأديب يومي إيماءته الجميلة الى عظمة الاسلام ، ويصف باختصار
واقع المسلمين تحيط بهم الأمسداد الكافرة تتقاذفهم تياراتها ، وتهددهم
اخطارها ، وتحقق بهم المبادئ الملوثة يستغل دعائها جهل المسلمين بمبادئهم
وفراغ أذهانهم ونفوسهم من عقيدتهم ، بل ويجهلهم بكل ما يمت الى ذلك
وكل ما يتصل به .

قرأت في رسالتك القلم الأديب يومي الى ذلك باختصار ويصفه

بإيجاز ، ورأيت الفكر الواعي والشعور الحي والقلب المطمئن يلمح الى العلاج ، ويختط لنفسه ولاخوته وذويه منها جاسداً لتلقن مفاهيم الاسلام وتفهم عقيدته وتمثل أنظمتها ، ثم التسلح بالفكر الاسلامي الصائب ، وبالبرهان القرآني المنير لصدم ما يلقي من مفاهيم كاذبة ، ومبادئ ضالة تحارب الاسلام وتناقض مناهجه وتعارض أهدافه .

وسبيل دعوة الله منذ يومها الأول إنما هو تنبيه الفطرة ، وتوجيه الفكرة ، واللفتة اليقظة الواعية الى اشراق الحق وابتسامه الهدى ووضاءة الحجة ، ونور اليقين ، هذا هو سبيل دعوة الله منذ يومها الأول ، وهو كذلك سبيلها الذي لن تحيد عنه ولن تستبدله بغيره الى يومها الأخير : (قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين) (١٠٨ : يوسف) .

البيان المشرق ، والحجة القاطعة ، والحكمة السديدة ، هذه هي بعض مفاتيح البصيرة ، وهذه هي عدة الاسلام لث دعوته ، وتلقينها للعقول وتركيزها في النفوس ، وتفهمها وتعميمها للناس اجمعين .

البيان المشرق الذي تبدو فيه قسما ت الحق وعحاسن الهدى جليلة واضحية تتما لها الافكار وتبينها البصائر ، والحجة القاطعة التي تسد منافذ الريب وتوصلد أبواب الشبهة ، والحكمة الرفيعة التي لا اضطراب في موازينها ، ولا قصور في أهدافها ، ولا تخلف عن غاياتها .

وهذا هو نهج الله سبحانه الذي جرى عليه في كتابه الكريم وابتعث به نبيه العظيم ، وهو نهج المطهرين من دعاة الاسلام وألسنة الحق ، وقد

بحث هذا طويلا في الحلقة الأولى من كتاب (الاسلام) .

والشباب الواعي المفكر ، المستقيم التفكير هم عدة الاسلام لغده ، بل وليومه ، وهم الطاقات القوية الفعالة التي لا يسوغ اهمالها ولا التغافل عنها ولا التسامح في حفظها وفي توجيهها ، فان التسامح في هذه الطاقات المهمة يعني التسامح في الاسلام ذاته .

اقولها صريحة ، ويقولها معي كل من فقه الاسلام وعرف حقيقته ومراميه . وتزويد هذا الشباب الواعي بالمفاهيم الاسلامية الصحيحة وتسلية بالعقيدة الراسخة وبالايمان القوي البناء الذي يضيء الحياة ، ويبني السعادة ويكون الشخصية ، هذا هو واجب كل داعية مسلم ، وكل ابناء الاسلام دعاة مسلمون ، وحملة الدين وحفظه الشرع هم الرعيل الذي يجب ان يكون السابق في هذا المضمار .

ولعل من أجدى الطرائق وأبسرهما لتكوين هذه العدة وجمع هذا الرصيد هي هذه الطريقة التي التزمناها لنفسك ولأسرتك ايها العزيز . هي مطالعة الكتب النافعة التي تبحث في حقائق الاسلام ، وتوضح مفاهيمه والتي كتبت بايدٍ فهمت حقائق الاسلام وعرفت مفاهيمه ، ثم الاختلاف الى حملة الدين الثقااة الأمانة أو المراسلة لهم لاستيضاح ما التبس واستكشاف ما ابهم .

وليس في معارف الاسلام ولا في حقائقه ما يلتبس وما يبهم ، ولكنه الفكر البشري قد تميل به نزعة ، وقد يقعد به قصور ، وقد تعترضه شبهة ، فن الخير له ان يلجأ عند شكه الى دليل امين كما يلجأ الانسان عند مرضه

الى طيب امين :

وختاماً نقبل سلامي لك وللاعزاء الذين يلتقون بك ويشعرون بشعورك
والذين يحملون لك وتحمل لهم الحب في ظل الايمان ونحت راية القرآن .

صلة تقوم على الايمان . طاقة مؤمنة . المسلمون في واقعهم
الراهن . الداعية المسلم متفائل . عدته لفتح القلوب وصوغ
الضائر . مرت بالمسلمين تجارب . سيلنا الذي سنبليج به
الغاية .

٨

النجف

الشاب المهذب الاديب . . . : وفقه الله :

سلام الله عليك وتحياته الطيبة ونظراته الرحيمة وتوثيقه الدائم ، ولطفه
الشامل .

ما اعمق هذه الصلة التي تلفني بك وتضمك الي - على غير رؤية
وعلى غير لقاء - وتجمعنا بوثاق الحب في الله والايمان به والسعي لرضائه ،
ما اعمقها ، وما اسمها ، وما أنزهها ، انها تتحدى الحدود وتتحدى الأبعاد
وتتحدى الزمان والمكان ، واسأل الله سبحانه أن يجعلنا لها أهلاً ويلقينا
ثمارة ايماننا صحيحاً وعملاً مشكوراً ، وخلقاً رضيعاً .

كنت انتظر رسالتك ايها العزيز ، وكان الحب يقول لي لا بد من

ان يرسل ، ولا بد من أن تقرأه مرة ثانية ، ولا بد من أن تعرف منه اكثر مما عرفت .

واستلمت رسالتك كما أستلم كف حبيب بعد فراق ، ولا أطيل في الوصف ولا أطيل في الحديث فانا أريد أن احدثك ببعض أحاديث الإيمان ، لا بأحاديث الحب الذي يتولد في ظلال الإيمان .

وقرائك مرة ثانية . كما وعدتني نفسي . كما وعدني الحب المؤمن القائم لك في نفسي .

قرائك لأرى طاقة مؤمنة تنفجر من أجل الإيمان . من أجل بعثه في أعماق القلوب وفي أعماق المجتمع ، ليظهر أوضاع هذه القلوب ، ويشد أركان هذا المجتمع ، ويعود بناؤه محكماً كما يريد الله شاعراً كما يريد الحق مشعاً كما يريد الهدى ، نعم . وعرفت منك اكثر مما عرفت قبل .

وصفت المسلمين في واقعهم الراهن فأجملت الوصف ولكنك صورتهم في هذا الوصف الجميل فأحسنست التصوير ، وتساءلت محقاً : أهو مجتمع كما يعرف علم الاجتماع من معنى هذه الكلمة ؟ ، أهم مسامون كما يعرف الاسلام من مفهوم هذه اللفظة ؟ . ثم اجبت - غير محاب ولا متعانف عن الصواب - : كلا ، كلا ، ليس مجتمعهم مجتمعاً ، وليس اسلامهم اسلاماً .

انك لم تكن في جوابك بعيداً عن الصواب فان الاسلام اذا لم يتغلغل في اعماق المسلم فيكون عقيدة يؤمن بها عقله وتشع بها نفسه وتضيء منها آفاقه ، ثم يكون منهاجاً يخضع له عمله وتدين به ارادته ، ثم دعوة يلهج بها لسانه ويذب عنها قلمه ، وتكرس لنصرها طاقاته وملكوته . ان الاسلام

إذا لم يبلغ من نفس الفرد هذا المبلغ لم يكن اسلاماً حقيقياً وان اشبهه في بعض الملامح ، والمجتمع المسلم اذا لم يقيم على الأخوة في الله والتناصر في مرضاته لم يكن مجتمعاً مسلماً كما يريد الاسلام . اما الوحدة في المكان واللون والدم وعلاقات الاقتصاد فان الاسلام لا يراها ركيزة للاجتماع ، وهو يربأ بمقام البشرية ان تكون كالحبوانات تجمع ما بينها وحدة القطيع أو وحدة المرعى ، أو وحدة اللون .

وتساءلت في آخر رسائلك عن الوسيلة التي يريد اعلام الدين انتهاجها من اجل ابتناء مجتمع اسلامي .

ولدي العزيز : كل ما تقدم حق لامراء فيه ، ولكن الداعية المؤمن متفائل باسم الأمل ، لا يجد اليأس الى قلبه سبيلاً ، وهو بقوة إيمانه المشع واماه الباسم ودعوته المخلصة ونفسه المطمئنة التي تضرع للناس الخير ولا تحب لهم الا الخير ، يستطيع ان يصنع كل شيء .

هذه هي العدة التي زوده الله بها لفتح القلوب وصوغ الضمائر وتطهير النفوس .

وقد وصفت هذا الإيمان المشع في رسالة الى احد الاعزاء قلت فيها :
(والإيمان المضيء المشع هو الطاقة العظيمة التي اراد القرآن ان يزود بها كل نفس مسلمة ، وان يفعم بها كل قلب مسلم ، الإيمان الذي ينير جميع جوانب النفس وبضياء حتى عواطفها ومشاعرها وآمالها ، فلا تلتفي في آفاقها المترامية الانواراً ولا تجدد الا هدى ولا تحبس الا خيراً وجمالاً ، والذي يعكس النور في قلوب الآخرين ويملاً به نفوسهم ويبنى إيمانهم ويخلق شخصياتهم) .

(الإيمان القوي المكين الصناع الذي يدخل مع ابتسامة الحب الى القلوب الغلف ، ومع نصيح الاخوة الى الاسماع الصم ، ومع نظرة العطف واللطف الى المشاعر المقفلة ، والصدور الحرجة ، الإيمان الذي يخلق الإيمان ويلده كالكهرباء يمتد الى الاجسام التي توصل به ويعكس الاضواء على الاخرى التي تقابله) .

واذا كثر الدعاة الى الله من هذا الطراز الرفيع امكن لهم ان يحققوا كل امل للاسلام وكل فتح لدعوته .

وقد مرت بالمسلمين تجارب افهمتهم - ان كانوا يفقهون - ان الاسلام وحده هو السند الذي يعصمهم من الذبذبة والمأمن الذي بقيهم من المخاوف ، والملجأ الذي يصونهم من العثار ويؤمنهم من الخسار .

مرت بالمسلمين تجارب ، ومن اعجب الامور ان يفتقر الاسلام لاثبات ذاته عند ابنائه الى تجارب ، اليس هذا من المضحك المبكي ؟ ! . ولكننا - على اي حال - تجارب نافعة .

مرت التجارب فانتبه الوعي العام ، واقبل المسلمون على ذخيرتهم يقلبونها ويفحصونها ، هل فيها ما يجدي ، وهل فيها ما ينقذ ؟ وكأنهم في شك من نفعها ومن جدواها ! .

ووقف بعضهم موقف السادر الحائر ، وذلك هو فعل بعدهم عن الدين طويلا من السنين بل عديداً من القرون :

انتبه الوعي العام ، والتفت المسلمون الى موارثهم ، الى اسلامهم ، وفيه حل كل مشكلة ، وعلاج كل معضلة .

وبدر في الطليعة رجال الغد ، بل ورجال اليوم . الشباب الطاهرون
الواعون وفي عزائمهم فتوة الشباب وفي قلوبهم قوة العقيدة وفي جباههم
اشراقة الايمان ، يريدون ان يتقدموا الركب ويحملوا الدعوة ، ومن اخرى
من هذه الطاقات العظيمة المتقدة بهذه المهمة ؟ ١ .

اجل . من اخرى منكم انتم ايها الاحياء اذا انتم فهمتم اسلامكم وفقهتم
اسرارهم ثم حملتم نوركم هذا عالياً مشعاً ينير الدرب للسائرين . فانتم الجيل
ومفتاح هداية الاجيال .

اما السبيل الذي سنبلغ به الغاية ان شاء الله فهو نشر الوعي الاسلامي
وتعميم الثقافة القرآنية ، وتفهم الحلول الصحيحة لمشكلات الحياة ، وليس
في الحياة ولا في الاجتماع ولا في الكون مشكلة في رأي الاسلام وان كانت
ملينة بمشكلات عصية الحل في آراء من ابتعد عن الاسلام ، نعم وهذا هو
البرهان الدامغ الذي لن يقاوم ابداً على ان الاسلام هو الدين الوحيد والنظام
الوحيد والملجأ الوحيد .

سبيلنا الذي سنبلغ به الغاية ان شاء الله هو صنع الفرد المسلم ليستقيم
بعد ذلك بناء المجتمع المسلم فان البناء لا يقام الا من اللبن الصالح .

وصنع الفرد يبدأ من اعماقه ، من اغوار نفسه .

نعم انه غرس والغرس يبدأ من البذرة .

وانه بناء والبناء يبدأ من الأسس .

وانه دين والدين يبدأ من العقيدة .

هكذا . نعم هكذا .

ولا تحسب ان في ذلك اطالة في المنهاج وابطاء عن الغاية .
انه الاسلام اذا اتى اليه من ابوابه الصحيحة فرض نفسه على العقول
ومزج حبه بالقلوب وفرض سلطانه على السر والعلانية .
انه الطاقة التي تجمع الطاقات وتوحيدها وتوجهها وترفع بها وتفتح
بها الحصون .

نعم ، انه الاسلام ابو المعجزات ايها الحبيب ، ومن الله العون ، وبتوفيقه
تدرك الغايات : (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز) .
لقد اطلت في جوابك ، ورسالتك ايها العزيز هي السبب الذي اقتضاني
الاطالة وسؤالك المهم في آخرها هو الذي دعاني الى التفصيل ، على اني
آثرت الاختصار بل الاشارة في كثير من النقاط واليك المَعذرة اولا واخيراً .
واحل اليك جزيل سلامي ووافر شوقي والى من يتصل بك في رحم
الأخوة في الله والايمان به والدعوة الى دينه .

أمانة كبيرة محاسب عليها . انحلال المجتمع . الجهل . الفراغ
الفكري من العقيدة . تقصيرنا نحن . لنعمل مجدين . بعض
الدعاة . بعض سمات الداعية المسلم . سترفع راية الاسلام
بأيدي الاكفاء .

٩

النجف . ٢٤ صفر سنة ١٣٨٤ .
تحية طيبة وشوقاً كبيراً ودعاء خالصاً ان يحقق الله بك الرجاء
ويستجيب فيك الدعاء .
ولدي :

بين يدي رسالتك العزيزة وقد وصلت الي في البحرين قبل سبعة ايام
على وجه التقريب وانا اريد ان اجيبك عنها اليوم في البصرة فهل تعجب
مني لهذا الابطاء ؟ وهل انا في حاجة الى الاعتذار منه ؟ .
لعلك علمت عني انني لا أتساهل - ما استطعت - في امر تفرضه
علي الدعوة الى الله والدلالة على سبيله ، وان من مهمات هذه الامور لدي
اجوبي على مسائل الشباب الميامين الذين اعقد عليهم الامل ، واتوسم فيهم
الخير ، والذين يجعلونني موضعاً لثقتهم فيفيضون الي بشبهاتهم ويبحثون الي

شجوبهم في رسائلهم .

لا اتسامح ما استنطعت وما يكون لي ان اتسامح وانا اعلم انها امانة كبيرة يحاسبني الله عليها ويسألني عن الوفاء بها ، اما محاسبة الضمير ومسألته فهما دون ذلك في موازين اهل الدعوة وفي موازين اهل الدين . ولكن الواجبات اذا كثرت وتزاحمت ادت الى مثل هذا التأخير ، ومن الله العون والمدد ، وبه الحول والقوة ، وبفضله بلوغ الامنية والطلبة واسأله ان يكتبنا في عداد العاملين لدينه الدائبين في نشر دعوته .

بين يدي رسالتك وانا اروم الجواب عنها ، فهاذا ابداً ؟ .
أأصف الرسالة ؟ .

أذكر القلم الأديب الذي حررها ، والفكر النابه الذي املاها ؟ .
أتحدث عن الأجواء التي تنقلت فيها مع الكاتب والظلال التي نفيأتها ؟ .

ان الحديث عن ذلك يعني اني اقول لك انك اديب بارع ، وان ادبك واصالة تفكيرك هي بعض النواحي التي دفعتني ان اعقد عليك الأمل ، وهذا شيء اكتفي فيه ههنا بالإشارة ، فانا موقن بان الملابسات ستبرني اكثر مما رأيت كما قلت في رسالتي السابقة ، والله ظهيرك ونصيرك مادمت مجداً في نصرته .

ورسالتك هذه شرح مبسط لرسالتك السابقة .

فانت تذكر المجتمع الراهن وتصفه بالمرض وبالخبط ، فهو يتطلب الصحة من منابع الداء ، ويبحث عن السعادة في مصادر الشقاء ! : وهو

يؤمن بان تاخره تقدم ، وهبوطه رقي ! وهو يحلم انه بسيره هذا المعكوس
سيبلغ ابعد الغايات واسعد الامنيات ! ! .

وانت تقدم امثلة من الاقوال والاعمال التي تدل على زيف هذا المجتمع
ومجانبته للهدى ، وبعده عن الصواب في التفكير ، امثلة حسامة محسوسة
كما تشاهده انت بعينك وتسمعه باذنك وبحس به كل ناظر من الناس سواك .
وانت تبحث في رسالتك عن الجرنومة الاولى لهذا الداء ، وتقف
آخر الأمر على الجهل ، فتقول : (لقد صرت اعتقد ان السبب الرئيسي
لأفحال المجتمع هو الجهل فقط . الجهل اولا وآخر) .

نعم يا عزيزي : ان السبب المهم لذلك هو الجهل ، وان لم يكن هو
السبب المؤثر كله ، فقد انضمت الى الجهل اسباب اخرى ، ومجموعها هو
الذي اوجب لنا هذا المصير ، وحتم علينا هذه العقبي .
الجهل . الجهل .

الفراغ الفكري من العقيدة التي تصون الانسان عن التذبذب ، ومن
المعارف الصحيحة التي تقيه من التراجع ، والفكر الانساني يفتقر بطبيعته
الى التغذية كما يفتقر الجسد الى الطعام ، وجوعته الى الغذاء قد لا تقصر عن
جوعه المعدة الى الاكل ، فاذا هو لم يزود بالمواد الصالحة التي تنفع ، اندفع
مضطراً الى تناول المواد الفاسدة التي تضر وقد تهلك ، وامتزجت خلايا
هذا الغذاء الفاسد في كيانه ودخلت في تركيبه واستبانت آثارها واعراضها
في حيويته ونشاطه سموماً فتاكة وجراثيم مبيدة سارية .

ومن سوء الحظ ان الفكر انما يتقبل الفكرة الفاسدة على أنها فكرة

صالحة ، فتزول بهار كآثر إيمانه وتغطي على منابع فطرته ، وتعكر صفاءها
وتغشي على نورها فلا تضيء ولا تهدي .

نعم ، ان السبب هو الجهل ، ومصدر الجهل هو تقصيرنا نحن في تقديم
الغذاء النافع لابنائنا والدواء الناجع لادوائهم ، تقصيرنا الذي لا بد لنا من
الاعتراف به والاستغفار منه ، والعمل للتخلص من نتائجه .

لقد عرفنا السبب وعرفنا المصدر الذي حدثت عنه جرثومة الداء ،
وقد آن لنا ان نفيد من التجربة ، وان نعمل لحسم الداء ، واقتلاع جنوره
وابادة بذوره .

هذه الثمرة الصحيحة المحمودة التي يجب ان نجتنيها من تشخيص
الداء وتعداد الاخطاء .

اما ان نشغل اوقاتنا وانفسنا بتعداد الذنوب والاعتراف بالتقصير دون
عمل مجد ، فهذا ما لا يجر لنا الا خبالاً ووبالاً . . لا يثمر لنا غير اضاءة
الوقت وتكرار الخطيئة وتضخم النتائج وارهاق النفوس بالشعور بالإثم ،
واضعافها بل واذلالها بالايحاء اليها انها لا تستطيع فكاكاً ولا تملك علاجاً .
فلنعمل اذن مجدين ، فقد مضى وقت الكسل والهزل .

لنبين للناس ما يرشدهم ويصلحهم ولنوضح للناشئة ما يصونها ويثبتها
ولنقدم للعقول ما يغنيها ويزكيها .

لنثبت لأبنائنا اثباتا ليس بعده مجال لشك ان دين الله اولى بالقبول
وان دعوة الله احرى بالاستماع وان مبدأ الله احق بالاتباع .

ليعمل كل منا في هذا السبيل قدر طاقته ومبلغ جهده وحسب اختصاصه .

ليثبت العالم منا ان العلم الكوفي يناصر الاسلام في كل خطوة بخطوها
وفي كل نظرة ينظرها ، وليقل الطبيب ان الطب الحديث يفلسف شريعة
الاسلام في احكامها وفي حلالها وحرامها ، وليعلن القانوني ان قانون الله
اوفى ضماناً بتحقيق العدل واعظم رعاية للمقوق وادق ملاحظة للحدود ،
وليبين الاجتماعي ان المجتمع في ظل الاسلام امن صلة واثبت ركيزة ،
واكثر سعة وشمولا ، وليرزّن الفيلسوف للناس كل نظرة من نظرات الاسلام
وكل تشريع من تشريعاته ، وليكشف للعقول عللها واسرارها ومحاسنها ومفاتها.
ودين الله العظيم بمد كل واحد من هؤلاء الدعاة وغيرهم بالحجة
المبينة لما يقول والسند المثبت لما يدعي .

هذا ما يجب علينا ان نفعل ، وهذا ما يجب ان نقدم من علاج .
وقد ضمن الله لنا بالهداية والنصرة ان نحن اخلصنا في الجهاد في سبيله
والنصرة لدعوته (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع الحسنيين)
(٦٩ : العنكبوت) (ولينصرون الله من ينصره ان الله لقوي عزيز) .
(٤٠ : الحج) .

اما ان يجهل احد اساليب الدعوة الى الله والفقہ لاحكامه فيعتبر
السؤال عن سر الصوم وعلة الصلاة وحكمة الحج ، اما ان يجهل هذا البعض
اساليب الدعوة فيعتبر هذا السؤال من الفتیان اعتراضاً على الواجب الذي
يجب ان يؤدي ولا يناقش ، فهذه بقية من سلسلة التقصير الذي اثقلتنا
آصاره ثم ارهقنا نتائجه ، وسيزول بحمد الله وتمحي آثاره .

وفارق كبير بين شاب يطلب الايمان ، وهو يسأل عن اسرار احكام

الله وعلل تشريعه ليسير على هدى ويؤمن عن بينة ، وشاب معتل الفكرة
مختل الضمير لا غاية له سوى اثاره الشكوك ، وتطلب الشهات ، ويا كان
الفارق بين الشابين وبين الفكرتين فعلى الداعية الى الله ان يقوم بوظيفته التي
يحتتمها عليه دينه ، ان يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وليس
من اساليب الدعوة ولا من سبل الحكمة ان يجھل السائل ويسفّ قولة ،
ولكن سبيل الحكمة ان تسلط الانوار الكاشفة على مبعث شبهته وان يشار
- برفق - الى مواضع جهله لينحسم الداء ، او لتقل عدواه وتخف اعراضه
على ادنى التقادير .

عزيزي :

والداعية المسلم لا بد له من ان يستشعر الحب في الله لمن يدعو ،
والاخلاص في الدعوة لنجاته والثقة الكاملة بالله في نصحه وارشاده .
حتى اولئك الطلاب الأغرار الذين اسمعوك كلمات الاستهزاء لأنك
تمثل امر ربك ، وتسترشد بتعاليم دينك ، انهم بسطاء اغرار ، فلا تحمل
لهم الا الحب في الله ولا تضرهم لهم الا النصيح في دينه ، وسيتصاغرون اذا
رأوا منك هذا الارتفاع والتسامي ، وسيخضعون - منقادين - لنصحك متى لمسا
منك هذه الخلال ، وستلمس انت اثر قولي اذا فكرت فيه .

وحتى استاذ الفيزياء الذي كان يحدثكم في دروسه عن قداخل النغمتين
الاساسيتين ، والذي نقد - في حديثه معكم - اصحاب الأذواق الجامدة
التي لا تنفتح للنغمت المطربة ، انه يجهل السر الذي حرم الله من اجله
النغمت والاوتار ، ولو أنه عرف ذلك حق المعرفة ولو ان عاطفته لم تتدخل

في حكمه لعلم ان هؤلاء الذين نبرههم ليسوا اصحاب اذواق جامدة ولا تقشعر ابدانهم من نغيات الأوتار ، ولكنهم اصحاب إرادات قوية مؤمنة تصدق عن حرمات الله وتقف عند حدوده ، انهم لا يشمتون من مرآئي الجمال ولكنهم يثبتون لهذا القائل وامثاله ان عقولهم اكبر من شهواتهم ، وعلى اي حال فلا ينبغي ان يحمل له الا الحب والا النصيحة وسينقاد ويخضع يوم يحسن بالامر الواقع .

وتساءلت في آخر كتابك : متى ترتفع راية الاسلام ؟ ومن سيرفعها وابن سترتفع ؟ .

واقول : ستتحقق هذه الأمنية - باذن الله - يوم يجد العاملون من ابناء الاسلام في تطبيق مناهج دينهم وحدود كتابهم ، يوم ينتشر الوعي الاسلامي الصحيح بين ابناء الامة وتنمو التربية الاسلامية لناشئها ، والتفهم الكامل لاسرار الشريعة ، ويخلص الجميع في حمل الدعوة الى الله وتأدية الواجب في الدين . وأقرأ معي ان شئت هذه الآيات الكريمة من سورة الصف : (يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ؟ . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) . (١٠ - ١٣ : الصف) .

سترتفع راية الحق بايدي تلك الفئة المجاهدة في سبيل الله وفي تلك البلاد التي تسمو بالخضوع لحدود الله ويتآزر اهلها لاعلاء كلمة الله .

اما اذا رغبنا نحن ان نكون من تلك الفئة وان تكون بلادنا من
تلك البلاد فان علينا ان نحمل تلك الأعباء ونؤدي ذلك الثمن .
واما وقد عرفنا الغاية ورسومنا الطريق وبدأنا المسير فما علينا بعد الا
أن نصمم على أتمام الدور واتقان الخطوة ، وعون الله وتوفيقه كفيلا لنا
ببلوغ المراد :

واعود فاعتذر عن التأخير واعتذر عن الاطالة .
ولك تحيات الاسلام واشواق الأبوة وامانيها الرقيقة وادعيتها المستجابة .

الاستعمار والاستغلال . نظرة الاسلام اليها . ونظرتها الى
الاسلام . هكذا تنشأ الدولة الاسلامية .

١٠

الى النجف : غره ربيع الاول سنة ١٣٨٤ .

ايها العزيز . . :

ابلغك وافر تحيّي ولك خالص شوقي وجميل ثنائي .

وصلتني رسالتك الكريمة قبل مدة طويلة ، وكنت قد ارسلت جواب
الرسالة ، ولكنني اخرت جواب سؤالك فيها لامور فرضت علي التأخير ذكرتها في
رسالتي اليك وطلبت من اجلها العذر ، ومن الله استمد لي ولك العون في
جميع الأمور ، والتوفيق والسداد في جميع الخطوات ، وان يجعلنا من حملة
الاصلاح ، وادلاء الصلاح .

سألت في رسالتك عن نظرة الاسلام في الاستعمار والاستغلال ، ولماذا
يخشى الاستعمار من الاسلام ؟ .

والسؤال بصيغته هذه مما يدعو الى التعجب فنظرة الاسلام في الاستعمار
والاستغلال معلومة ليس فيها خفاء وليست عليها غشاوة ، وخوف الاستعمار

من الاسلام ومحاربتة اياه معروفا الوجه بيتنا العلة .

فالاسلام ينادي الاستعمار والاستغلال ويكافحهما ما استطاع وما وجد الى مكافحتها ومنازعتها سييلا ، وهو يعد لذلك جميع القوى التي يملكها ويوجه اليه جميع الطاقات التي يسيطر عليها ، وهو يثبت في نفوس اتباعه وجوب الثورة عليهما وزلزلة الارض تحت اقدامهما ، والاستعمار يعلم ذلك من الاسلام حق العلم ، ولذلك فهو يخشى منه حق الخشية ويحاربه بشتى القنون وشتى الاساليب ، وكل أولئك مكشوف معروف لاشك فيه ولا مرأ .

ويبدو انك تسأل عن الوجوه التي اوجبت لدين الاسلام ان ينظر الاستعمار والاستغلال هذه النظرة ، ثم اوجبت للاستعمار ان يحذر من الاسلام هذا الحذر ويخشاه هذه الخشية .

والسر في ذلك - اولا - : ان الاسلام مبدأ مستقل قائم بذاته له فلسفته الخاصة ، وفلسفته مفاهيمها المعينة التي تفسر بها الكون والحياة والانسان ، ولها نظراتها المعينة كذلك في ما وراء الطبيعة ، ونظراتها المعينة في صلة الانسان بالكون والحياة وبما وراء الطبيعة .

وللإسلام كذلك نظامه المخصوص الذي يشتق من تلك الفلسفة ويبتنى على تلك المفاهيم ويقوم على تلك الاسس ، في الاجتماع وفي الاقتصاد وفي الحكم وفي ما يتبع ذلك ويتصل به .

وهذه هي القاعدة المعلومة المضبوطة التي نتعرف منها ما هو المبدأ والتي نرجع اليها في التفرقة بين مبدأ ومبدأ .

وانطلاقاً مع هذه القاعدة المعلومة ، فالاسلام مبدأ متكامل يباين

المبادئ القائمة التي تخضع لها القوانين الوضعية المعروفة ، والتي ينتهض عليها الاستعمار المعاصر بجميع ألوانه وأشكاله ، يباين هذه المبادئ جميعاً بروحه وجوهره ومناهجه وغاياته .

ونتيجة لذلك فهو لا يرى معه موضعاً لشيء من هذه المبادئ على اختلافها ولا لشيء من القوانين الوضعية القائمة عليها ، والآخرى التي تختلف عنها ولكنها تتخذ صبغتها وتسير في ركابها ، ولا للاستعمار الذي يحمي بهذه القوانين ، ويستمد منها سلطانه ويمكن نفوذه .

والاستعمار بدوره يبادل الاسلام هذه النظرة ويعرف منه هذه الظاهرة ويعترف له بهذه الخاصة ، ولذلك فهو يحذره ويخشى سيطرته وصولته ويحاربه انواع الحرب ويستخدم لبلوغ غايته منه ضروب الخيل .

والسر في ذلك - ثانياً - : ان الاسلام دين إلهي جامع ، يوجه الحياة ويوجه الانسان ويوجه المجتمع وجهتها الصحيحة ، ويضمن لها بالسعادة الكاملة ويقدم لها المنهج الكامل الذي لا يهمل ناحية ولا يذر مشكلة ولا يحيف في نظرة . وهو من وضع خالق الانسان وعالم اسراره واطواره ، ومقدر حاجاته وضروراته وقواه وطاقاته .

وهو من اجل هذه المزايا التي توفرت فيه دين الانسانية الذي لاغناء لها عنه ، ولا بديل لها سواه ، ونظام الحياة الذي وضعه واهب الحياة ، والذي لن يتغير ولن يتحول ما خلدت الحياة ، دين الله الذي نسخ بكلامه وثباته كل دين (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) ، (٨٥ : آل عمران) ، وشريعة الله التي تحدث بحكمتها

وعد لها وشمولها كل قانون يضعه الانسان (افحكم الجاهلية ييغون ومن احسن
من الله حكماً لقوم يوقنون) . (٥٠ : المائدة) .

ومن اجل ذلك فلاموضع لهذه الانظمة القاصرة المنقطعة التي يصنعها
الانسان المحدود العلم المحدود الادراك ، مع نظام الله الثابت الدائم ، ولا
للسلطات المتنفذة او المستعمرة التي تنفياً ظلال هذه الانظمة وتعلق بنصوصها
وتبرر سيطرتها ونفوذها بها (الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل
اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان
يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا) (٦٠ : النساء) .

والسر في ذلك - ثالثاً - : ان الاسلام دين الحرية الصحيحة فهو
لا يرى لاي فئة او صنف او جنس او لون من الناس حقاً في التنفيذ على
الآخرين والتحكم في رقابهم ودمائهم واموالهم والسيطرة على مقدراتهم ،
لا يجد في ذلك حقاً لأحد من الناس ؛ ولا يرى في الموائز التي تعارف
البشر على تعظيمها واكبارها والخضوع لها : لا يرى في هذه الموائز الكثيرة
المختلفة التي يعرفها الناس ما يستوجب السيطرة والاستعباد للناس ، فالناس
كلهم سواسية كاسنان المشط في هذا المجال ، والتنفيذ على الناس ظالم يجب
ردّه مهما كانت ميزته ومهما كانت حجته ، ومهما كانت قوته .

وقلت لك : الناس كلهم سواسية كاسنان المشط في هذا المجال : لان
هذا المجال هو موضوع حديثي معك ، والا فالناس في الاسلام سواسية
كاسنان المشط في جميع الحقوق .

والناس في دين الاسلام كلهم عباد خاشعون ، ضارعون لله الذي

خلقهم ورزقهم والذي بامرهم مماتهم ومحياتهم ، وييده تدبيرهم واليه مصيرهم ،
كلهم عباد خاضعون لله وحده لا شريك له ، لا يخضعون الا لشريعته ولا
يذعنون الا لحكمه ، ولا ينتقدون الا لأمره .

والغنى الصريح لذلك انه لا حكم الا لله في هذه الأرض ولا حكومة
الا لحكومته ولا قانون الا قانونه كما لا دين الا دينه ولا عبادة الا عبادته ،
والممثل لحكومة الله في الأرض والقيّم على انفاذ احكامه بين الناس هو
الممثل الأعلى لعدل الله المحافظ الاكبر على حدوده ، الذي لا يزيغ به هوى
عن مرضاة الله ولا يهوي به ضعف ولا تجمع به عاطفة ولا يخف به حلم
ولا يسف به جهل ، والمشاركون له في اقامة الحكم وادارة الامر هم الابرار
الاكفاء الذين لا تاخذهم في الله لومة لائم ، القوامون بالقسط المناضلون
عنه ، والمسؤول عن تثبيت دعائم الدولة الاسلامية وشدّ أركانها ودعم
كيانها والمجاهد لحفظ حدودها واعلاء كلمتها هو المجتمع المسلم الذي
تشرب عقيدة الاسلام وتغذى مفاهيمه وعاش مناهجه وفقه تربيته وفهم
مبادئه وغاياته .

هكذا تنشأ الدولة في الاسلام ، وعلى هذه الركائز تعتمد وهذا هو
رصيدنا من النظم ومن الرجال ، اشير اليه اشارة ، وموعدي بالتفصيل
حلقة خاصة من كتاب (الاسلام) وارجو من الله العون والتوفيق ، وهكذا
يقنلغ الاسلام كل لآب ويقلم كل ظفر للظلم ويردم كل باب ويوصد كل
نافذة للحكم الجائر ، ويبت كل امل ويقطع كل وشيجة للانسان بالظلم
والاستتار ، ويثد الاستعمار والاستعباد في قبره ، ويحسم مادته من اصله .

والنصوص الكثيرة التي تحرّم الظلم وتحدد موقف الاسلام والمسلمين منه ، والاخرى التي تحرم التحاكم الى الجور والى الطاغوت والى حكم الجاهلية ، والاخرى التي تقطع السبيل لكافر على مسلم ، هذه النصوص الاسلامية الكثيرة انما تقرر تلك الحقائق وتؤكد تلك النتائج .

هذه بعض الوجوه التي تحدد موقف الاسلام من الاستعمار ومن الحكم والقوانين التي تسير في ركابه .

اما الاستغلال فموقف الاسلام منه اصرح واوضح فان المعنى المفهوم للاستغلال هو الاستيلاء على حقوق الآخرين واستثمارها لمصلحة ذلك المستولي دون مبرر عادل ، والتفسير الواضح لذلك هو الظلم المقسم او المكشوف والاسلام اُلدّ الاعداء لذلك ما دام منهج الاسلام هو منهج العدل ومادامت غاية الاسلام هي تحقيق العدل : (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) . (٢٥ : الحديد) . نعم ه وقد ذكرت في عداد الوجوه التي اوجبت على الاسلام ان يحارب الاستعمار انه استيلاء على الآخرين بغير حق واستغلال لحقوقهم ومقدراتهم دون مبرر . عزيزي : لقد آثرت الاجال في جواب مسألتك فحشدت المفاهيم حشداً ، وجاءت رسالتي - على طولها - مختصرة ، وماذا تحمل الرسالة من هذا البحث الذي قد لا يفي به وضع كتاب . وارجو ان اعمم بعض نواحي البحث في جوابي عن بعض مسائلك الاخرى .

وتقبل مني تحياتي لك ولن يعز عليك وارجو ان لا تنساني من الدعاء في مواضع الدعاء .

الاسلام والقبوميات . قوله الله الحاسمة . ركيزة الاجتماع
في الاسلام . التحيز للقبيلة . تعاليم الاسلام . الدعوة للعروبة .
الدعوة للشعبوية . كلاهما بعد عن شريعة الله .

١١

النجف

الشاب المهذب الذكي حفظه الله ووفقه .
تحية زكية وثناء طيباً وسؤالاً كثيراً عن صحبتك الغالية ، ومن الله
سبحانه أسأل ان يوفر عليك نعمه وان يمتلك بهافيتيه ، وان يديم لك
توفيقه ، وأضرع اليه ان لا يحرمني دعاءك وان يجعلني اهلاً لثقتك وان
ينظر الينا جميعاً بعينه ويمدنا بعونه انه المنان بالعطاء .
سالتني في رسالتك الأخيرة عن القومية العربية ما هو قول الاسلام
فيها ؟ .

وكان الأجدر ان يكون السؤال عن قول الاسلام في مطلق القوميات :
في العنصريات التي يستمسك بها الكثير من الناس - سواء أكانوا عرباً ام

غير عرب - ويدعون اليها ، ويلفقون لها الحجج ، ويذكرون لها العلال ، ويرمون بها الى غايات واهداف .

في هذه العنصريات التي تقسم المجتمع البشري اوزاعاً ، وتفرقه شعوباً ودماءً ، وتجعل لكل دم ولكسل شعب منها حدوداً ، وتنحله خصائص ومواثر وحقوقاً وحريات .

كان الأجدر أن يكون السؤال عن رأي الاسلام في مطلق القوميات ، فنظرة الاسلام في جميعها نظرة واحدة ، وحكمه عليها كافة حكم واحد ، ودين الله أبرأ الاديان والمبادئ والأنظمة جميعاً وأعظمها نزاهة عن التحيز والمالمالة ، واشدها حرباً على التمييز والتفريق .

« ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير » (١٣ : الحجرات) . هذه قولة الله الحاسمة في القوميات والعنصريات والحدود التي يضعها الانسان لنفسه ويقسم بها مجتمعه ، هذه قولة الله ، اترى فيها شيئاً من اللبس او الغموض ؟ .

الناس كلهم أجمعون مخلوقون من ذكر واحد وأنثى واحدة ، واذن فأصلهم الذي ينتسبون اليه أصل واحد ، والمعدن الذي تالفت منه عناصرهم وأنشئت منه اجسادهم معدن واحد ، ودمهم الذي يجري في عروقهم دم واحد ، لا تفاضل بينهم في شيء من ذلك ولا تمايز ، والخالق الذي أنشأ الذكر الاول والانثى الاولى وفطر المعدن وألف العناصر وأنشأ الاجساد والأرواح واجرى الدم ووهب الحياة وسلسل الذرية خالق واحد ، فلا ميز ولا فضل

في ناحية ابدأ ، ولا حدود ولا قوميات تباعد بين اصناف النوع البشري
أو تفاوت بين آحاده .

والشعوب والقبائل التي عرفها الناس وتصنفوا بالانتساب اليها هي
الاخري من صنع الله الخالق العظيم ومن تدبيره ، وقد جعلها لحكمة عظيمة
لا بد منها ولا بد من النظر فيها والعمل لها ، هي أن يتعارف الناس ما بينهم
وأن تتميز اصنافهم وآحادهم ، فتستقيم بذلك صلاتهم وحقوقهم ومعاملاتهم
للعامة والخاصة ، وهذه نواح لا بد من وقوعها بين أصناف النوع البشري وبين
آحاده ، ولن تنسجم ولن تستقيم الا اذا تعارف الناس وامتازوا وكان لكل
فرد ولكل صنف مميزاته ومعرفته .

لهذه الغاية صنفوا قبائل وشعوباً ، لا ليختلقوا منها حدوداً تفرق
الوحدة وتبعثر النظم ، اما المضمار المفتوح الذي يتميز فيه السابقون من
الأفراد فهي التقوى ، هي التطبيق الكامل لمنهاج الله الذي شرعه للحياة ،
لشريعة الله التي وضعها لاسعاد هذا الانسان ، وفضل كل احد منهم بمقدار
نصيبه من هذا الكمال ، وارتفاعه في مراتب الكرم عند الله على قدر سبقه
في هذا المضمار .

نعم . لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى ، والناس سواسية
كاسنان المشط ، وكلكم لآدم وآدم للتراب ، كما يقول الرسول الكريم (ص).
هذه نصوص الاسلام في القوميات والعنصريات ، وهذه احكامه التي
لا تقبل التأويل ولا التعديل ، ويأفك من ينسب غير ذلك الى دين الله
ويفتري باطلاً عليه وعلى حكمته الرشيدة وعلى نظريته العامة العادلة .

وتلك هي الركيزة القوية الشاملة التي يرسى الاسلام عليها مذهبه في الاجتماع ويؤسس عليها مجتمعه المسلم ، الركيزة القوية الشاملة التي تستند الى ذاتيات الانسان وخصائصه العامة التي لا تختلف في جيل ولا في بيئة ولا في زمان .

وتلك هي الدعامة المثينة التي تعتمد عليها عالمية هذا الدين وشمول رسالته للناس اجمعين (تبارك الذي انزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) (١ : الفرقان) (قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك السماوات والأرض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) (١٨٤ : الاعراف) وكل اولئك واضح وليس مجالاً للريب .

والمسلمون جميعاً يعرفون هذه الظاهرة من الاسلام ويعترفون بها ويزكرونها في عداد مفاخره ومآثره ، يذكرون ذلك حين يخلصون لاسلامهم ، ولكن قد تجد بعض المسلمين أحوال فينكر هذه الظاهرة ويتنحى هذا الفخر لانه يصادم له بعض الغايات .

والتحيز للقبيلة والتعصب للدم نزوع عرفه الانسان منذ القديم ، حين كان مفتقراً الى الانضمام الى قبيلته والاندماج بأحاديها ، ليتقي بقوتها شر العوادي ويستعين بأفرادها على تحصيل القوت ، وللجنس العربي من هذا النزوع حظه الأوفى ، وأكثر الحوادث والحروب التي وقعت بين قبائل العرب في الجاهلية كانت وليدة عن هذا النزوع القوي المكين .

وجاء الاسلام وانزلت تعاليمه وتظاهرت نصوصه لتذيب القوميات

والعنصريات والاقليميات ، وتجمع البشرية كلها في مجتمع واحد لا تفاوت فيه ولا حدود ، واستطاع أن يفعل فعلته في النفوس الكبيرة التي آمنت بعقيدته وفقهت غايته وتمثلت تعاليمه ، ولكنه لم يعمل شيئاً في النفوس الأخرى التي لم تفهم الاسلام حق الفهم ولم يتغلغل فيها الى الاعماق .

خضعت هذه الفئات للاسلام ، واقرت بشريعته ، واستمعت الى آيات الكتاب واحاديث الرسول التي تمحق العنصريات وتنسف الحدود ، وقبلت هذه في ما قبلت من تعاليم ، لانها لم تكن تصطنم بغايات لها آنذاك ، فان الدعوة القائمة باسم الاسلام عربية خالصة ، والقوة المناضلة عنها قوة عربية خالصة والداخلون في الاسلام وفي الدعوة اليه وفي القوة المناضلة عنه من غير العرب خاضعون للاسلام ولحكمه ، والاسلام في ما تعرفه الفئات الآتفة الذكر انما يعني العرب والعروبة .

واذن فلا تراحم ولا تصادم بين وصايا الاسلام بنذ العنصريات وازاحة الفوارق ، وبين غاياتهم الحاضرة ، والمساواة بين العناصر انما تعني - في رأيهم - ان يشترك الجميع في الدعوة الى الاسلام (الى العرب والعروبة !) وفي العمل من أجل مد نفوذه .

وامتد الفتح ، وكثر الداخلون في دين الاسلام من غير العرب ، ورسخت أقدام الكثير من هؤلاء في الاسلام وفي فقه أحكامه ومتنوع علومه ، وأبلوا البلاء الحسن في الدعوة اليه والجهاد في سبيله ، وأبدوا من الكفاءات ما يؤهلهم للمناصب الرفيعة في الدولة ، وللمقامات العالية في الدين ، وإيقنت الفئات التي تؤمن بالدم - حين ذاك - ان المساواة بين العناصر في دين

الاسلام تعني امراً آخر لم يكن يدور لها بحسبان .
كان هذا في عهد الدولة الأموية ، وكان المتنفذون في هذه الدولة ممن
يغرقون في العنصرية القبلية الى حد الايمان ، وفي ظل هذا النفوذ وهذا
الاغراق في التعصب القبلي كثرت الدعاة الى العنصرية العربية من كل نوع ،
ففسرت الآيات ورويت الأحاديث عن الرسول (ص) للتمكين لهذا النزوع .
وكان من المنتظر أن ينكر المسلمون غير العرب هذا التحوير لتعاليم
الاسلام ، وهذا التفسير لآيات القرآن ، وأن يدعوا الى تعاليم الاسلام
ونصوصه على حد ما فهمه السلف الصالح من المسلمين .

فكانت الدعوة الى العروبة ، وكانت الدعوة الى الاسلام ، ثم كانت
الدعوة الى الشيعوية ، وتمكن الشجار بين الطرفين ، وتنوعت أساليبه ، وطال
أمدّه ، وكان من الخلفاء العباسيين وقوادهم ووزرائهم من ينزع الى الشيعوية
فكن لها وقوى جانبها .

وخرج من الشيعيين من يحمّد للعرب كل مكرمة وينكر كل فضيلة ،
ومن يؤلف الكتب ويضع القصص ويقرض الشعر في مثالب العرب ومطاعهم ،
وفي مآلهم قبيلة قبيلة .

وكلا القولين بعد عن شرعة الله وشطط عن حكمته ومخالفة صريحة
لقوله .

وامتدّ الزمان وتكشفت الأسباب واستبان الغايات ، ولم يزل في المسلمين
من لا يقوى على التعالي عن هذا الخضيض ، ولم يزل في المسلمين من
يجد ان غايته أهم من غاية الله عند التزاحم وأولى بالمراعاة ، ولم يزل في

كتاب المسلمين وخطبائهم من يلوي لسانه وقلمه بهذه الدعوة والتبرير لها
وابتغاء الأدلة لنصرها .

هذه هي الدعوات العنصرية لم تتغير منها المقومات ولا الملامح ولا
السمات ، وان تغيرت منها الأزياء ، وذلك حكم الله الصريح عليها وحكمته
الرشيدة في وجوب نبذها ، فهل يأتي علينا زمان نعرف فيه بأخطائنا
ونعرف كرامة الله التي ارادها لنا لما أمرنا بنبد هذه الفوارق ، ومعق هذه
الفواصل ؟ .

والبك معذرتي مما في الكتاب من اجمال ، فهذا القدر لا بد منه للامام
بالموضوع ، والبسط الكامل لا تتسع له رسالة تكتب في جواب سؤال ،
ولك وافر شوقي وخالص تحياتي ولن يعز عليك من الاصدقاء وسلمتم .

ارسلت بمناسبة اعتراف حكومة مصر بالمذهب الجعفري
مذهباً رسمياً ، واعلان وزارة الأوقاف المصرية عن ذلك
ونشرها كتاب المختصر النافع للمحقق الحلي (ره) في
فقه الامامية ، وادخال تدريس المذهب في مناهج الجامع
الأزهر الشريف .

١٢

حضرة صاحب الفضيلة مهالي السيد احمد حسن الباقوري وزير الاوقاف
المصرية المبجل .

تحية الايمان ، وثناء العلم ، وشوق الاخوة .

اخني ، والله يعلم انها أحب نسبة الى قلبي ، وألمسها لعاطفتي ،
وأبقاها أثراً في نفسي .

اخني ، والله يعلم انها الذ دعوة في في ، واعز جامعة يناضل عنها تلمي .
اخني ، والله يعلم انها اصدق النعوت في رأيي ، وارفع المنازل في
ديني ، وابر الدعوات عند ربي .

انني اقول : ابي ، فأستبين صغري للكثير الذي أنسبه ، واقول :

ولدي ، فادل بكبري على الصغير الذي أنجبته ، واقول : أخي ، فأشعر
بأرض تسويني بمن أدعو على قدم ، وبسقف يظلني وإياه على سواء ،
وبسبب جمعني وإياه في الوجود ، ولبن شركني معه في الغذاء ، وأحس
بصلة تلفني به لف النظر بالنظر ، وضم الظهير للظهير ، واذكر شريعة مائلته
في في الحقوق ، وعادلتني معه في الواجبات ، وكافأني به في الحرمة .
بلى ، واذكر بدأ كريمة عليا باركت لنا هذا النسب ، ووطدت بيننا
هذه الصلة ، وعقدت بيننا ميثاق الولاية ومدته بقانون النصرة . . .

أخي . . . بت الله حوادث ظالمة اقصتني عنك وباعدتك عني ، فإ
وصل الله هذا السبب ليقطع ، وما نصب هذا الذمام ليخفر ، وما حصن
الرسول هذه الوحدة لئتمزق .

لم أر كالأسلام ديناً يتسع لمذاهب الفكر ، ويكبر نتاج العلم ، ولم
أر كالأقرآن كتاباً ينشط حركة الرأي ويكره خمود الوعي ، ثم لم أر كالمسلمين
أتباعاً يخرجون بما انفصح له دينهم ، ويبرمون بما نشط له كتابهم ! ! .
إن المسلم يرث من سلف له قولاً ، أو يرى باجتهاد منه رأياً ،
فيخال أن الإسلام حكى على رأيه ، فلا إسلام وراء الأكمة ولا إيمان خارج
المضيق .

وإذا لم يكن إسلام ، فلا أخوة ترتجى . . . بل ولا كرامة
تحتشم . . . ولا رأي يحترم ! .
ما هذا ؟ ! ما هذا ؟ ! .

لقد فصلتني عن أخي فواصل ، نعم ، ولكن : أليس بيني وبينه ما يجمع ؟ !

أليس من حقي ان أحصي مالدبه من ثراء ، فلعله اختص بشيء من
تراث ابي ؟ ! .

أقول : اختص ، ولا أقول : استأثر ، لأنني أراه بدعوني لشاركته مايدبه.
وأخي ، أليس من حقه ان يطلع على ما بيدي ؟ ! .

لئن كان هذا الاعراض عن زهد ، فان الزهد هنا مما يضحك ، وان
كان من قطيعة فان القطيعة هنا مما تبكي .

واذا لم يكن محبص عن القول في اخي ، واذا لم يكن بد من الخصام ،
افليس من واجب العلم ان اطلع على القول الذي أنقد ، فأنقل بأمانة ، ثم
أخاصم على علم ؟ ! .

. . .

أخي : آن لنا أن ننظر ببصر يخرق الحجب ، وببصرة تمزق الغشاوات
وبصبر يتحدى المواقات .

آن لنا أن نستيقن أن حجياً فارقت بيننا في الصورة لانتقوى على ان
تباعد ما بيننا في الجوهر ، ولا تشجع أن تخالف ما بيننا في الروح ، لا
تملك شيئاً من ذلك ولن تملكه ابداً ما دامت ضالتنا الهدى ، وما دام
قائدنا الرسول الكريم ، ورائدنا القرآن العظيم .

وقضية السنة والشيعه - كما قلتم - قضية إيمان وعلم معاً ، واذا كانت
كذلك فمن أولى بحلها من العالم المؤمن ؟ .

من أولى بحلها من العالم المؤمن اذا كان يستطيع أن يقول ويستطيع
ان يعمل ؟ .

وقد بدأت الشوط ، وكانت خطوتكم موفقة مبرورة ، يباركها الله
ويباركها العلماء المؤمنون .

يباركها الله فهي غايته سبحانه لما شرع الدين ونهى عن التفرق فيه .
ويباركها العلماء المؤمنون لأن القضية قضيتهم ، والشوط شوطهم ،
والمدى مداهم ، ومن يبخل من العلماء المؤمنين أن يكون نصيراً لله على
غايته وردءاً للعلم والإيمان في قضيتها ؟ .

بدأتم الشوط وكانت خطوتكم موفقة مبرورة ، وان الإيمان والعلم
ليبتهلان الى الله ان يسدكم في الخطى ، وأن يوفقكم لآتمام السعي ، وان
يهتكم النجاح ويلقبكم عقي الفائزين .

هدى الله ورسوله روح يهب الحياة وطب يشفى النفوس.

١٣

البحرين . ١ ربيع الثاني سنة ١٣٨٤ .

الاديب المهذب . . .

سلام الله عليك وعلى من قبلك من الاحبة ورحمة الله الشاملة ونعمته
الموفورة ونحيته المباركة ، وابدي لكم كثير الشوق وطيب الثناء ومنه سبحانه
اسأل لكم جميعاً مدداً من هدايه وسنداً من توفيقه ومزيداً من لطفه .

ايها العزيز : لقد جددت لي رسالتك ذكرى ايام لم انسها واحباء لم
اسلمهم و مجالس مؤمنة ارجو من الله أن تتصل بركاتها وان يمتد اشعاعها
وان تكثر امثالها .

وقد وصلتني في البصرة قبل سفري الى النجف بيوم فكان لا بد لي
من التأخر في الاجابة ، وهذا ما أود أن اسلف اليك فيه العذر ، فان
ترادف الواجبات وزيارات الاصدقاء ، ومرض ولدي ضياء الدين ، هذه
بعض المعوقات عن المبادرة . والرسائل التي تسوق الكاتب أن يتحدث فيها
عن الاسلام وحقائقه وخصائصه لا بد للداعية المسلم من العناية بها لانها

جزء من مهمته ، والاهتمام بشأنها من بعض فروضه .
وبعد فأسأل الله ان يجعلني عند حسن ظنونكم وأن يستجيب لي دعواتكم .
تحدثت في رسالتك عن هدى الله ورسوله وخلفاء رسوله (ع) ، ووصفته
كما يروق لك بالماء العذب وبجنى النحل .

بلى ايها العزيز ، والماء العذب ضرورة لا بدل عنها لحياة الانسان ،
وجنى النحل دواء يشفي كثيراً من أدوائه ، هما ضرورة وحاجة للانسان
قبل أن يكونا شهوة تطلب للمتعة وتتناول للذة . وهدى الله ضرورة لا بد
منها كذلك لحياة الانسان ، وهو حاجة لا بدل عنها للشفاء من أمراضه ،
اقرأت قوله تعالى : (ينزل الملائكة والروح من امره على من يشاء من
عباده ان انذروا أنه لا إله إلا أنا فانقون) (٢ : النحل) ، وقوله
تعالى : (يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى
ورحمة للمؤمنين) (٥٧ : يونس) .

هذا هو هدى الله وهدى رسوله وخلفائه كما يصفه الله في كتابه
الكريم ، روح حي يهب الحياة الرفيعة العالية الطيبة لهذا الانسان ، ويسعد
حياته الطبيعية وينظم شؤونها وحركتها . ويوجه قواها وطاقتها الى مايسعد
ويشمر كما تومي اليه الآية الأولى ، وطب ناجع يشفي القلوب والصدور ،
ويطهر النفوس والضمائر ، ويزكي الأخلاق والاعمال كما تقول الآية الثانية .
نعم ، وهذه هي الحياة السعيدة الرغيدة التي تأذن الله بها لكل مؤمن
ومؤمنة إذا هما خضعا لدين الله وطبقا مناهجه : (من عمل صالحاً من ذكر
وانثى وهو مؤمن فلننجينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا

يعملون) (٩٧ : النحل) ، ومن أجدر من الله سبحانه بأن يبر بما وعد
وان يصدق ما قال ، (ومن احسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً
وقال انني من المسلمين) (٣٣ : فصلت) .

فلنسر مجدين واثقين مطمئنين ما دامت السبيل مأمونة والغاية
مضمونة ، والله عون الداعي وغوث المدعو ، وهو دليلهما الى القصد وقوتهما
لبلوغ الهدف وغايتها في المبدأ والنهاية .

وختاماً ازف اليك والى الاخوان الأمائل والابناء الأعزاء وكل فرد
فرد من الشباب النجيب المقبلين على الله المقتفين هداه أوفر التحيات وأتمنى
لكم اطيب الامنيات .

لا حرج على الناقد البناء اذا قال حقا . وعليه ان يتسامى
عن السقطات .

١٤

البحرين ٢٦ جمادى الاولى سنة ١٣٨٤ .

الاديب البارع المهذب حرسه الله ووفقه .

اتقدم اليك والى جميع الاخوان والأبناء الاعزاء بوافر التحية وبالغ
الشوق وجزيل الدعاء ان يمدكم الله بتوفيقه ويظهر عليكم نعمه وبضاعف
لكم بركاته .

قلت في كتابك المؤرخ ١٣ / ٩ / ٦٤ : لديك محاولات في تأليف
قصص اجتماعية ، وان تشخيص الداء ثم وصف الدواء يضطرك الى وصف
اشخاص الرواية التي تكتب بما فيهم من طيب ورديء ، والى ذكر بعض
اعمالهم التي تجر عليهم وعلى من يسير سيرتهم الخبال والوبال ، وسألت عن
رأي الاسلام في هذا النوع من التأليف وهذا النوع من الوصف ؟ .

عزيزي : ان الكاتب الناقد سواء أكان ميدانه القصة ام غيرها ، اذا
كان يروم البناء لا الهدم ويقصد الاصلاح لا الافساد ، لا حرج عليه ولا
حجر في ان يقول ، وأن يصف ، وأن يذكر الادواء داء داء ، ويحصى
أعراضها عرضاً عرضاً ، ويستعرض آثارها واحداً واحداً ثم يشير الى علاج

كَلِّ داء منها وازالة كل اثر .

لا حرج عليه في ذلك ما دام لا ينطق عن حقد ولا يستخدم ادبه ومواهبه لضغينة ولا يروم التشهير والاعتياب لأحد من الناس ، وان الأدب والاصلاح الاجتماعي والغاية الاسلامية ياعزيزي أسمى من هذه السقطات وأبعد مرتقى واكبر منزلة ، والكاتب الذي يهوي بأدبه وبموهبه وبغايته الى هذه المباءة من اشد الناس الى الاصلاح ، فلا كفاءة فيه لان يحمل لواء الاصلاح .

نعم ، لا حرج على الكاتب المصلح ان يقول وان يصف ، اذا تحررّ الاصلاح وترفع عن الاحقاد ، ووصف الدواء النافع يتوقف على تعيين الداء . ومن الخير له بل ومن المتعين عليه ان لا يسمي شخصاً معيناً ، بل - وان استطاع - ان لا يقصد شخصاً معيناً ، وان استوحى قصته من حوادث معينة ، ومن ملابسات معينة ، من الخير له ان يترفع عن ذلك جهد المستطاع ، فقد قلت لك ان الغاية التي يعمل لها أرفع من كل اولئك ، وسيرى - اذا ترفع عن الهناة - ان مجهوده اصبح ابلغ أثراً في الاصلاح ، واكثر غنىً في المجتمع ، واعظم جدوى في المهمة .

على ان الاشخاص الذين يتجاهرون بالحرمات ولا يأنفون منها ، ويبارزون الله بها وبالاصرار عليها ، لا حرمة لاغتيالهم ووصفهم بما هم أهله بعد ان بدأوا هم بانفسهم فهتكوا ستر الله الذي أرخاه عليهم . لا حرمة في وصفهم بما هم أهله ، وخصوصاً اذا كان هذا الوصف لهدف اسلامي نبيل .

وقفنا الله واياكم لما يحب وجنبنا المزالق وهدانا سبيل الخير .

الحق للقوة . حكم العقل في هذه النظرية . قوله الاسلام
فيها . الحق الإلهي . وهم مستحيل . فارق كبير بين الحق
الالهي والحكم الالهي . ركانز الحكم الالهي ومقوماته .

١٥

الكوت

المهذب الأديب دمت في مسرة وغبطة .
سلام الله عليك ورحماته وبركاته وعلى الاخوة الاعزة ، والابناء
النجباء الذين ينتهلون معك من نعيم العقيدة ويمتثلون اليك بنسب الاخوة في
الله وبدأبون في السعي لاعلاء كلمته وابتغاء مرضاته ، ولكم جميعاً وافر
شوقي وجميل تحيتي وخالص دعائي وطيب اماني .
وردتني رسالتك قبل مدة ، ولكن وفرة الأعمال وكثرة المزاومات
وشدة الصوارف ، وضعف البدن امام كل اولئك حتمت علي ان اتأخر
في جواب ولدي هذه المدة ، وقد كان تسلسل المنهج الذي وضعته لاعمال
يقتضي ان اتأخر في الجواب مدة اخرى .: ولكنني بادرت قدر مااستطيع ،
ومن الله المدد لي ولكم ، والقوة على القيام بالاعباء والسداد في القول

والعمل ، واليك المَعذرة من التأخير ، ثم المَعذرة من الإيجاز ، فان التفصيل في الاجابة على سؤالاتك يستدعي وضع مؤلف كامل ، ولعل الله - وله المشيئة والحكمة - يوار عليّ فضاه فاقوم ببحثها مفصلة في الحلقات المقبلة ان شاء الله من كتاب (الاسلام) .

سألت عن رأي الاسلام في نظرية القوة ، وفي نظرية الحق الالهي ، وفي نظرية العقد الاجتماعي .

والذي ظهر لي من كلمة القوة التي سألت عن حكم الاسلام فيها انك تريد منها قوة السلاح وما يتصل بها من وسائل الغلبة ، فانت تسأل عن السيطرة على الناس بالقوة ، عن الوصول الى الحكم بوسائل القوة والإرهاب سواء أرضي المحكومون بذلك ام ابوا ، عن القوي وحقه في السلطان ، وسيكون جوابي قائماً على هذا المعنى الذي وضع لي من السؤال واودّ لو تحدّد لي مرادك من الكلمة اذا كنت ترمي بها الى معنى آخر : و (الحق للقوة) ظاهرة عرفها الانسان في عهود الغابة وما بعدها من عصور الممجية ، وهي من املاء القوة ذاتها لا من املاء الفكر ، فقد عرف الانسان القوي السيطرة لانه قوي ، وعرف الانسان الضعيف الخضوع والتبعية لانه ضعيف ، ثم لا شيء ولا تعليل غير ذلك .

والظاهرة اعرق من ذلك واعمق ، فقد عرفها الحيوان قبل الانسان فاملت القوة كذلك على القوي منه ان يسيطر وعلى الضعيف ان يخضع ويتبع . بلى . هي من املاء القوة وليست هي من املاء الفكر ، ومن اجل ذلك سميتها ظاهرة ولم اسمّها نظرية ولا فكرة ، فانها - في ابتداء امرها -

ليست نظرية بل ولا فكرة ، فان الفكرة : هي القضية التي يوحى بها العقل ، او هي كما يقول اللغويون : ما يتردد في الخاطر من معنى ، والنظرية : هي النتيجة التي يفتقر العقل في التصديق بها الى البرهان .

عرف الانسان هذه الظاهرة في عهوده الاولى ، يوم كان لا يملك الا أن يسير مع النزعات والانفعالات ، وامتدت الحال به كذلك ازمته وعصوراً فالقوي مسيطر لأنه قوي ، والضعيف خاضع تابع لأنه ضعيف .

وارتقى الانسان ، وبدأ يفكر في ما يراه من الظواهر ، ويتطلب لها تفسيراً ويعطّل لها تعليلاً ، وفكر في هذه الظاهرة كما فكر في غيرها وطلب التعليل لها كما طلب التعليل لسواها ، وكان التعليل الذي وجده لها من املاء القوة ايضاً ، فقد فكر ان القوي يجب ان يكون هو الحاكم لأنه قوي يُخاف ويُرجى ، والضعيف لا يحكم نفسه ولا يدير شؤونه لأنه ضعيف لا يستطيع الحماية ، ولا يقوم بالكفافية .

وهكذا اصبحت الظاهرة فكرة ثم كانت نظرية .

وامتداداً للفكرة وفي غضون طلب الانسان التعليل لها ، ومن املاء القوة ايضاً ، نشأت نظرية الحق الالهي ، فالاله هو القوي المطلق ، والقوي من الناس يتمتع بصفة من صفات الاله وهي القوة ، واذن فهو احق بالحكم واولى بالسيطرة ، قال القوي ذلك ليضعف به قوته ويركز سلطانه ، وقاله الضعيف ليرر به خضوعه وطاعته .

وامتدت الفكرتان : فكرة (الحق للقوي) وفكرة (الحق الالهي) ، وسارتا متفتحتين تعملان لغاية واحدة ، ثم سارتا مفترقتين تعملان لغايتين او

غايات شتى ، وامتدتنا عبر التاريخ ، واتخذنا صوراً والواناً واسماءً ،
واختلفنا مع الايام ومع الالهواء حدوداً وابعاداً وآثاراً ، والهوى المتقلب
الملون يمدحهما بما يلزم ، ويكيفهما وفق الحاجة .

واما العقل الحصيف الواعي الحر فان حكمه في كلتنا القضيتين بَيِّن
لاخفاء فيه .

فالقوة بمجرد ما لا تستوجب في نظر العقل سيطرة على رقاب المخلوقين
ولا تنفذاً في مقدراتهم ، والقوي العاري عن مؤهلات الحكم لا يستحق
بذاته ولاية على امر ولا طاعة من احد ، والحكومة بين الناس والرعاية
لشؤونهم والزعامة لصفوفهم يجب ان تقوم على اسس ثابتة من الحكمة ،
وعلى نظم صالحة للرعاية ومع مؤهلات وكفاءات متوفرة في الراعي .

القوة ؟ واي حق للقوة ؟ . واية درجة من القوة هي صاحبة الحق ؟ .

فاذا حكمنا بان الحق للقوي ثم وجد من هو اقوى منه .

واذا اثبتنا حق الاقوى ثم جاءنا من هو اشد منه قوة .

واذا رأينا ان الحق للقوي ثم انهارت قوته حتى اعياى عن مقاومة

الضعيف .

فهل يتذبذب الحق مع اختلاف درجات القوة صعوداً وهبوطاً ؟ !

وهل يتبدل الحكم به مع تبدل الطوارئ نفيًا وإثباتاً ؟ ! .

الحق للقوة ؟ ! واي معنى تدل عليه كلمة الحق هنا ؟ وعلى اي

اساس يبنى ؟ ! .

اليسست الخاصة الاولى لمثل هذا الحق الذي نحاول اثباته انه يجب

الاذعان له بالارادة ؟ .

ثم اليس الخضوع للقوة من احكام الضرورة لا من احكام الاختيار؟
واحكام الضرورة تسقط بسقوط موجبها .

انها نتيجة ليست منطقية ، ولا ثابتة ، ولا صالحة لتدبير شؤون
الانسان ولا لصون كرامته ، هكذا يقول الفكر الحصيف الواعي الحر عن
الفكرة الاولى : فكرة (الحق للقوي) ، وهكذا يقول عنها الاسلام ايضاً .
فالقوة المجردة عن النظم العادلة والمناهج القويمه والنظرات الحكيمة
لا بد وان تصبح مدعاة للظلم والحيف والمهدر للحقوق والانتهاك للحرمان
والمصادرة للحريات ، والاستكبار على الله والتنكر لدعونه ، والتعدي عن
حدوده ، وكلما تضاعفت قوتها ازداد خطرها وتراكم بلاؤها ، وهي اذن
جرثومة فائكة تجب ابادتها وراحة المجتمعات منها .

هذا هو حكم الله في كتابه الكريم عليها .

وقد اقتصر فيه من احاديث الامم التي اغترت بقوة العدة وكثرة
العدد فزاغت عن العدل وتمردت على الحق وكذبت الرسل واستوجبت من
اجل ذلك التدمير وسوء المصير . اقرأ اذا شئت قوله تعالى : (فاما عاد
فاستكبروا في الأرض بغير الحق ، وقالوا : من اشد مناهضة ؟ ، أو لم يروا
أن الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة ؟ ، وكانوا بآياتنا يمجحدون . فارسلنا
عليهم ريحاً صرصراً في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الحزى في الحياة الدنيا
ولعذاب الآخرة اخزى وهم لا ينصرون) (١٥ - ١٦ : فصلت) .

وحذر الخلف ان يتبعوا سيرة اسلافهم فتأخذهم البطشة التي اخذتهم

وحشهم ان يمشوا في مساكنهم وينظروا في تاريخهم وآثارهم ، ويتفكروا في بداياتهم ونهاياتهم فيفيدوا من ذلك عبرة ويصيبوا رشدا : (او لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم ، وما كان لهم من الله من واق . ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله ان الله قوي شديد العقاب) (٢١ ، ٢٢ : غافر) .

على ان الحكم الصالح القائم على النظم الصالحة لا محيد له لتثبيت قدمه وحراسة سلطانه ، وصيانة حدوده ، لا محيد له من وجود القوة المرهوبة ولا غناء له عنها .

القوة الموجهة التي آمنت بالمبدأ وخضعت له ودانت لمناجحه ، واستمسكت بالعدل القائم عليه ، واسلمت قيادها اليه . القوة المؤمنة بالحق المناضلة من اجله ، والقيادة السديدة التي لا يقعد بها الخور ولا تنحرف بها الأهواء . لا محيد للحكم الصالح من اعداد هذه القوة والاستكثار منها - مهما يكن صلاح ذلك الحكم ومهما تكن ركائزه - فالمتاواة للحكم الصالح من داخل حدوده ومن خارجها امر لا مساغ لتجاهله ولا بد من التفكير فيه والاعداد له ، وهيبة الحكم لا تستقر في صدور هؤلاء المناوئين الظاهرين والمستترين ، مالم يتخذ هذه الأبهة التي تحسم هراءهم وتمنع تطاولهم ، ووجود القوة بذاته يعمل اكثر من عمل تجريد السلاح ، فان الكثير من اعداء الحكم من لا يجرؤ ان يعمل او يقول الا حين يتبين ضعفا او يجد ثغرة ، فاذا احس بقوة تساند الحكم همدت حركته وخفت صوته .

وللإسلام النصيب الأوفر الأكبر من هؤلاء المناوئين الذين ينابذونه بما هو دين ، او يحاربونه بما هو مبدأ قائم وشرع حاكم ، وقد حتم على الحكومة التي تقوم باسمه ان تعد هذه القوة المرهوبة التي تدافع عن الحق وتذب عن حدوده فقال : (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم . .) (٦٠ : الأنفال) .

اما الحق الالهي في موازين العتسل وفي مقاييس الفطرة وفي نظرة الاسلام دين العقل والفطرة فانه أشد ضعفاً واوهن ركيزة من حق القوي، والعقل والفطرة والاسلام تحكم جميعاً باستحالته وامتناعه .
الحق الالهي ، وما منشأ هذا الحق ؟ وما حدوده ؟ .

فرد بشري مخلوق من ماء مهين ، ومركب من لحم ودم وعصب ، او اسرة معينة من البشر ، لها ركائزهم وطبائعهم ودوافعهم ، يحلّ فيها جوهر إلهي ، او يجري في عروقها دم إلهي ، او يتصل نسبها بسلالة إلهية فتستوجب من اجل هذه الصلة بالاله حقاً شرعياً : ان تحكم وتطاع او تملك وتُعبد ؟ .

انه وهم يحكم الفكر السليم باستحالته ، وانه افتراء يعارض صريح التوحيد ويحكم الاسلام بكفر من يعتقد به .

فقد تعالى اله الكون ومبدع موجوداته ومقدر نظمه ومحدد غاياته ومدير حركاته وموقت آجاله ، الغني الذي لا أحد لغناه ، العليّ الذي لا منتهى لعلوه ، تعالى ان تكون له اجزاء وابعاض ، او يتصف بتركيب وتحلل ،

وبزيادة ونقص ، او تولد او ولادة ، او حلول واتحاد ، وتزه ان تناله
صفات المخلوقين ، او يشبهه احد منهم ، او يقبس بعضهم شيئاً من صفاته
او يرث معنى من معانيه ، او تكون لأحد من الناس او من سواهم به
صلة غير صلة المعلول الخاضع والعبد المفتقر : صلة الأثر بموجده والعبد
بسيده مهما ارتقى ذلك الكائن في درجات العبودية ، ومهما سبق في مضامير الطاعة :
وكيف يحل في شيء وكيف يتحد معه ، وكيف يكون له جزء أو
جوهر وكيف بلد او يولد او يتحلل او يتركب ؟ ، اليس معنى ذلك انه
متغير متحول وحادث محتاج ؟ كيف يمكن ان يعرض له بعض هذه الأوصاف
وهو واجب الوجود ، الغني المطلق والكامل المطلق الذي لا أحد لغناه ولا
لكماله ، الازلي الابددي ، الذي ليست لوجوده بداءة ولا نهاية ، الأحد
الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحداً ؟ ! وقد اوضحت هذه
المعاني بعض الايضاح في كتابي (رسالات السماء) وقد نشرته سلسلة منابع
الثقافة الاسلامية فارجع اليه اذا طلبت المزيد .

وهكذا يستبين لك ان قضية الحق الالهي فكرة وثنية لا تتفق مع
عقيدة التوحيد ابدأ ، ولا يمكن ان يهادنها الاسلام دين التوحيد الخالص .
واود هاهنا ان اشير الى فارق كبير جداً بين الحق الالهي الذي
حدثتك عنه وقلت لك : انه فكرة يحكم العقل باستحالتها ، ويحكم الاسلام
بكفر معتقدها وبين الحكم الالهي هذا الذي يرتكز عليه نظام الاسلام وتنطق
به آيات القرآن .

فالحق الالهي كما راينا دعوى كاذبة مستحيلة يتعلق بها متنفذ من البشر

يُثبت بها قدمه ويمكن بها لنفوذها ويجعل بها طغيانه على الناس واستعباده
أياهم وظلمه حقوقهم واستبداده في شؤونهم حقاً مقدساً شرعياً .

والحكم الإلهي الذي يقول به الإسلام شريعة تثبت أصولها بنصوص
الكتاب وتأتي شروحها وبياناتها بثابت السنة وبمقطوع الأدلة ، تكفل للفرد
المسلم والمجتمع المسلم وللحياة المسلمة جواب كل مسألة وحل كل مشكلة ،
وفصل كل خصومة وتوجيه كل ناحية ، وفق الحكمة الدقيقة والملاحظات
العميقة ووفاء الضرورات الكثيرة والحاجات المختلفة في جميع الأزمنة والأمكنة
واليئات والاصقاع والأجيال .

شريعة الهية ينطق بها الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه ، ويشرحها ما ثبت من أقوال الرسول الكريم الذي ما
ضل وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، وأقوال
خلفائه من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم من الذنب .
شريعة معصومة تقوم دعوتها على التفهم الكامل لرسالتها والافتناع
الكامل بحججها والإيمان الواعي الحر بصدقها .

هذا هو الحكم الإلهي الذي يجب اتباعه وتطبيقه في دين الإسلام في
كل شعبة من شعب الحكم وفي كل حقل من حقول الاجتماع وفي كل شأن
من شؤون الحياة ، ولا يعذر فرد مسلم ولا مجتمع مسلم ولا حكومة مسلمة
في مخالفته والاستبدال به أو التهاون في أمره : (افحكم الجاهلية يبغون
ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) (٥٠ : المائدة) (ومن لم
يحكم بما أنزل الله فاولئك هم المفلطون) (٤٤ ، ٤٥ : المائدة) :

اما الولي العام او الخاص الذي يتولى تطبيق هذا الحكم الالهي في امور الدولة الاسلامية وفي شؤون الرعية المسلمة فهو الفرد المسلم الكامل في اسلامه. الفرد المسلم الذي يأخذ نفسه بتطبيق شريعة الله تطبيقاً كاملاً في كل ما يقول وما يعمل وما يأخذ وما يدع ، بحيث لا يميل به هوى ولا تنحرف به غاية .

هو الامام المعصوم الثابت امامة والعصمة . . . ، ثم من بعده الفقيه العادل الثابت الفقه والعدالة .

وميزة هذا الفرد الكامل الاسلام انما هي بتمثل دين الله فيه اصدق التمثيل ، واحترامه ووجوب طاعته على الرعية مأخوذان من احترام القانون الالهي الذي يمثله ووجوب طاعة الله الذي يحمل عهده ويتولى تنفيذ ارادته واداء امانته .

هذا هو الفارق بين المفهومين اسوقه هاهنا حذراً من الالتباس .
ولدي : لقد طال الحديث وطال ، وانا اروم - جهدي - تقليل الخطى ، ولكن ماذا اصنع وانت تطلب التفصيل ؟ لقد طال الحديث وامتد ولم اتناول الى الآن المقطع الثالث من سؤالك الأول ، فهل تسمح لي ان اقف معك عند هذا الحد ، حذراً من ان اكلف رسألي مالا تستطيع ، وان ابتدء الحديث عن العقد الاجتماعي في رسالة ثانية ان شاء الله تعالى.

نظرية العقد الاجتماعي . اسس النظرية عند (جان جاك
روسو) . ملخصها . شروطها . النظرية عند (توماس
هوبز) . عند (جون لوك) . نقدها وقولة الاسلام فيها .

١٦

الكوت . ١٤ رمضان سنة ١٣٨٤ .

ولدي العزيز الأديب المذهب دام توفيقه :

اقدم لك ولجميع الاخوان والأبناء المتبعين هدى الله المستضيئين باشعة
قرآنه اوفر التحية وازكى السلام واسأل الله ان يظلكم بوسع رحمته وسابغ
بركته ويخصكم بكرائم منحه ومزيد توفيقه . واهتمكم جميعاً بقدوم شهر
رمضان المبارك جعلنا الله وإياكم من اهله وبوأنا مقامات الصالحين ببركته .
ولدي . . . : لقد طال عليك الأمد وانت ترتقب رسالتي الثانية
تحمل جواب سؤالك الثالث ، وماذا اصنع انا فهذا هو حكم وفرة الأعمال
وشدة المضايقات ، وقد حدثتك عنها في رسالتي الاولى التي ارسلتها اليك بيد
احد اصدقائك (. . . .) وارجو ان تكون وصلت اليك في حينها
وملأت فراغاً كنت قد لحت اليه في رسالتك .

كان سؤالك الثالث ، او - بالاحرى - كان المقطع الثالث من سؤالك الأول عن العقد الاجتماعي في رأي الاسلام .

والعقد الاجتماعي نظرية عرف بها الفيلسوف الفرنسي (جان چالكروسر) المتولد سنة ١٧١٢ والمتوفى سنة ١٧٧٨ .

عرف بها هذا الفيلسوف واشتهر وان لم يكن هو الواضع الأول لخطوطها فقد ذهب اليها من قبله الفيلسوفان البريطانيان (جون لوك) المتولد سنة ١٦٣٢ والمتوفى سنة ١٧٠٤ ، و (توماس هوبز) المتولد سنة ١٥٨٩ والمتوفى سنة ١٦٧٩ على فارق بين آرائهم في وجه هذه النظرية وفي نتائجها ولعلي اشير الى هذا الفارق في ما بعد .

عرف بها (روسو) واشتهر ، ووضع فيها كتابه المعروف (العقد الاجتماعي) ، واقوى سبب لاشتهاره هو قيام الثورة الفرنسية الكبرى على اسس نظريته تلك واتخاذ كتابه (العقد الاجتماعي) انجيلاً للثورة على ما يقول المؤرخون ، ثم نجاح الثورة في تحقيق أهدافها وامتدادها الى دول واقطار كثيرة اخرى .

قامت الثورة في فرنسا بعد موت الفيلسوف باحد عشر عاماً وبعد ظهور كتابه الآنف الذكر بثمانية وعشرين عاماً فاحيت ذكر الفيلسوف وترسمت اهداف الكتاب ، ودعت الى الحكم الديمقراطي الجمهوري على النحو الذي دعا اليه ، وكان اقتران اسمه بهذه الحوادث التاريخية المهمة والنتائج التي ترتبت عليها ، كان ذلك سبباً لاشتهاره ومعرفته بالنظرية المشار اليها . اما الفيلسوفان الانجليزان (لوك) و (هوبز) فلم يتسن لهما ما تسنى

لزميلها الفرنسي فبقي ذكرهما مع الفلاسفة الكثيرين الذين لم يتألق لهم نجم في الحياة العامة .

والاسس التي تقوم عليها. نظرية العقد الاجتماعي - على ما يذهب اليه الفيلسوف الفرنسي - هي :

١ - ان الناس كلهم يولدون احراراً فليس لاي انسان سلطان طبيعي على انسان آخر سواء أكان فرداً ام شعباً .

٢ - وليس للاسترقاق وجه شرعي يسوّغ وجوده كذلك ، سواء أتعلق بالافراد ام بالشعوب .

٣ - وليس للقوي (او الأقوى) حق طبيعي ولا ادبي يفرض له الطاعة في رقاب الآخرين .

٤ - واذن فالاساس الصحيح للدولة ولكل سلطان شرعي يكون بين الناس انما هو العهد الاختياري الذي يقع في ما بينهم .

وملخص النظرية ذاتها : ان الطبيعة قد زوّدت كل فرد من الناس بقسط من القوة يحفظ لنفسه البقاء ، وقسطه هذا من القوة محدود ، وهو لا يملك من القوة زيادة على ما وهبته الطبيعة منها .

وهاهنا عوائق كثيرة وشديدة تضر بسلامة الافراد وتهدد بقاءهم في الحال الطبيعية وتقاوم ما لديهم من القوى التي لا يمكن بدونها البقاء .

فاذا اشتدت هذه العوائق وتغلبت على القوى الخاصة التي يملكها كل فرد اصبح بقاء الناس متعزراً وكان هلاكهم محتوماً .

وليس للناس وسيلة للبقاء والتغلب على هذه المقاومات الا التكتكل .

ان يؤلفوا من القوى الفردية المشتتة قوة كبيرة موحدة تتحرك بمحرك واحد وتسير باتجاه واحد وتستطيع ان تغلب على كل مقاومة .

والسبيل الى ايجاد هذه الشركة التي تحمي بقوتها شخص كل مشترك فيها وامواله وحقوقه ، مع الاحتفاظ بالحريّة الكاملة لكل فرد منهم فلا يطيع الا نفسه ، السبيل الى ذلك هو العقد الاجتماعي .

وشروط العقد الاجتماعي - على ما يقوله هذا الفيلسوف - تردّ الى شرط واحد وهو : ان يبيع كل فرد من المشتركين نفسه وجميع حقوقه من المجتمع بأسره بيعاً شاملاً ، ويتعير آخره : ان يضع كل واحد من المشتركين شخصيته وجميع قوته شركة تحت ادارة الارادة العامة ، بحيث يكون المجموع هيئة ويكون كل عضو جزءاً خفياً منها .

وهو يعقّب على ذلك بانه اذا باع كل واحد من الافراد نفسه بأسرها اصبح هذا الشرط متساوياً نحو الجميع ، واذا كان متساوياً نحو الجميع لم يكن لأحد منهم مصلحة في جعل الشرط ثقيلاً على الآخرين .

وبما ان كل واحد لا يهب نفسه لأحد بهبتها للجميع ، وبما انه لا يوجد مشترك لا يكتسب عين الحق الذي تنزل له عنه فانه يظفر بما يعدل جميع ما يفقد وبزيادة قوة لحفظ ما يكون له .

هذا هو ملخص النظرية وقد آثرت ان اقتبس في تعريفها وبيان شرائطها من عبارة الفيلسوف ذاته في كتابه (العقد الاجتماعي) تعريب الاستاذ عادل زعير وطبع دار المعارف بمصر .

ومؤسس نظرية العقد الاجتماعي - على ما يقول مؤرخو الفلسفة

الحديثة - هو الفيلسوف الانجليزي (توماس هوبز) والفارق بين مذهبه ومذهب (چان چاك روستو) كبير جداً .

فقد علمنا ان (روستو) يرى ان الناس يولدون احراراً ، وان التعاقد الاجتماعي في ما بينهم انما يكون على اساس من هذه الحرية ، ومن اجل الحفاظ عليها ، ومعنى ذلك ان الدولة التي تقوم على هذا التعاقد الاجتماعي دولة ديمقراطية تديرها ارادة الشعب العامة وان للشعب حق اسقاطها اذا حادت عن سواء السبيل .

اما (هوبز) فانه يرى ان الانسان مجبور خاضع للقدر وان الشهوات والمصالح الشخصية هي المحرك للانسان وهي الحكم المتبع الذي يرجع اليه في الأخلاق والسلوك ، والنتيجة المحتومة لذلك ان يندفع الناس جميعاً كل لتحصيل رغباته وشهوته ، وان يقسم التصادم بينهم من جراء ذلك ، وان يكون نظام الطبيعة نظام حرب عام من اجل البقاء ، والحق انما هو للقوة ، فالقوي هو الذي يستطيع ان يحقق مآربه بقوته وان يزيح العوائق والمعارضين عن سبيله .

ولن يأمن الناس من خطر هذا الصراع الدائم ولا يتقي الانسان عدوان اخيه الانسان الا اذا تعاقد الناس في ما بينهم تعاقدًا اجتماعيًا على الاذعان لسلطة هي اقوى من الجميع تمنع بعضهم من بعض ، وهذه السلطة هي الدولة ، ولذلك فيجب على الافراد ان يخضعوا للحكومة خضوعاً كاملاً وان يعدّوا ارادتها وارادة الملك الذي يرأسها اسمى من كل قانون فالدولة عند هذا الفيلسوف هي كل شيء ، والملك هو صاحب الحق

المطلق ، لانه يمثل القوة الكبرى وهي صاحبة الحق ، ولذلك فلا دين ولا قيم ولا اخلاق الا ما تقرره الدولة ويعترف به القانون ، ولا قانون الا ما يفرضه الملك ممثل الدولة وممثل القوة ، اما الانسان العادي فلا يرجع اليه في شيء من ذلك لانه لا يعرف غير شهواته ورغباته ، وليس له ان يقول اي كلمة في شأن الدولة وفي شأن الملك وفي شأن القانون وان حاد عن السبيل: فالدولة عند (توماس هوبز) ملكية مطلقة على الضد مما يراه (روسو) .

واما (جون لوك) فانه يرى كذلك ان اساس الدولة عقد اجتماعي يتم بين الافراد لحماية اموالهم وحقوقهم ، وهو يتم على اساس من الحرية ، فالشعب هو صاحب الحق في ان يختار من يشاء لولاية أموره . ولكنه يرى ان من الضروري لفعالية الدولة وتأدية مهمتها على ما يرام ان يتنازل الافراد لها عن بعض حرياتهم ، فالسلطة التنفيذية مثلا : (قضائية وادارية) لا يبد وان تكون خاضعة للحكومة وللملك الذي يرأسها وان يك ذلك في ضمن حدود معينة ، اما السلطة التشريعية فهي بيد ممثلي الشعب ، وهي السلطة العليا في الدولة .

وعلى اي حال ، فالملك والحكومة مقيدان عنده بارادة الشعب وعليهما ان يحافظا على حقوق الناس ، فان هما لم يحافظا على حقوق الناس او لم يتقيدا بارادة الشعب فلا حق لهما في الحكم .

هذه هي خلاصة الآراء في نظرية العقد الاجتماعي وهذه هي مراحل نشوئها ونموها الفلسفي ، وضعت خطوطها في صورتها البدائية في مذهب

(هوبز) وارتقت وتبينت في مذهب (لوك) وبلغت درجة كمالها ونضوجها في مذهب (روسو) ، ولا يهمني ان اتعرض للمذاهب الفلاسفة الذين تبنوا النظرية بعد (روسو) كما لا يهمني ان انقد النظرية كما يراها (توماس هوبز) فان هذا مذهب يكفي تصويره في اثبات فساد .

* * *

والملاحظ جلياً ان هؤلاء الفلاسفة واتباعهم انما اعتبروا العقد الاجتماعي اساساً للدولة لما لم يكن للدولة - في آرائهم - اساس سواه ، ولما كانت الحرية المطلقة التي لا تعرف الحدود هي الأصل عندهم في الانسان ، فليس عليه ان يتقيد بشيء ، ولا يجب ان يخضع لاحد ، فاذا تراحت الحريات ، واذا قامت في سبيلها المغوقات ، كان على البشر ان يتجمعوا لصد العوادي ، وضمان الحريات ، وكان عليهم ان يقيموا اجتماعهم على عهد وثيق متبادل يفي لهم بالغاية ويحقق لهم المساواة فيها .

والحرية هي الاصل الذي يقرره الاسلام للبشر ولكن في حدودها الصحيحة المعقولة ، بحيث لا تجمع الى الفوضى ، ولا تنخفض الى العبودية ، والحرية متى طغت على حدودها المئزنة انقلبت عبودية خالصة ، وان سميت حرية في معاجم الشهوات ! .

وقد لخصت الحديث عن الحرية في موازين الفطرة وفي رأي الاسلام في البحث الثامن من كتاب (العفاف بين السلب والايحاط) فارجع اليه اذا طلبت المزيد .

وواضح ان الحرية التي نتحدث عنها والتي قررها الاسلام - كما قلنا -

وناط بها تعاليمه وبنى عليها المساواة الكاملة بين افراده ، إنما هي حرية البشر
بالإضافة الى بعضهم بعض ، وهي التي لاحظها الفلاسفة والمشرعون لما بحثوا
في حقوق الإنسان وراموا تحديد واجباته .

ولكن الأمر الذي لا يسوغ ان يتغافل عنه هو ان لهذا الانسان صلة
كبرى هي فوق صلاته جميعاً واقواها جميعاً واعمقها جميعاً وهي اسبقها جميعاً
وابقائها جميعاً ، بل وهي المبدأ الذي تنفرع عليه وتستمد منه كل صلة ، ويقوم
عليه كل حق ويرجع اليه كل واجب ، وتلك هي صلة الانسان بخالقه ورازقه
ومقدره ومدبره .

وقوام هذه الصلة هي العلية من احد الجانبين والمعلولية من الجانب
الآخر .

هي الربوبية القاهرة من جانبها الاعلى والعبودية الخاضعة من جانبها
الأدنى ، وكل خير وجده ابن آدم او يجده في حياته او يرجو نيله في مابعد
هذه الحياة فانما هو اثر من وجود هذه الصلة وفيض من برّها : (وما
بكم من نعمة فن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون) (٥٣ : النحل) .
وصلته بالناس الآخرين - حتى بأقربهم منه دماً وامسّهم منه رحماً -
أنما هي صلة النظير بالنظير والند للند ، فهي لا تحدث من حاجة ذاتية في
احد الطرفين ، ومن اجل ذلك كان الناس احراراً في ما بينهم بعضهم
بالإضافة الى بعض ، فلا سيطرة لاحد على احد .

والجميع مشتركون متساوون في العبودية لله والتعلق به والفقر اليه .
(ياأيها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد) (١٥ : فاطر)

ومن اجل ذلك كان الناس متساوين في الحقوق والواجبات في شريعة الله ،
متساوين في المنزلة امام عدل الله ، متساوين في الفرص التي تؤهلهم
للمقامات انكرمية في قانون الله ، ثم في عادل جزائه وموفور عطائه .

ومن لوازم تلك الصلة الذاتية الطبيعية الثابتة الدائمة التي تصل الانسان
بربه وتعلقه بتدبيره ، ومن مظاهر العبودية الخالصة الثابتة له : ان يفرده
بالخضوع والعبادة فلا يخضع لموجود سواه : (قل اغير الله ابغي رباً وهو
رب كل شيء ؟) (١٦٤ : الانعام) .

وان يتخذ من ارادة الله التي انزلها في كتبه ووضحها على السنة
رساه منهجاً للعمل ونظاماً للحياة : (. . له ما في السماوات والارض وله
الدين واصبأ اغير الله تتقون ؟) (٥٢ : النحل) .

وان ينظر في صلاته بالناس وبالموجودات كافة على ضوء ذلك النظام
الاهلي الرشيد ، فيتوجه بها الى حيث اراد الله وينصرف بها عما نهى وقيمها
على الأسس التي وضع : (. . . انما يتذكر اولو الالباب . الذين يوفون
بعهد الله ولا ينقضون الميثاق . والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل
ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب) . (١٩ - ٢١ : الرعد) .

ومن لوازم صلة الانسان بربه ومن مظاهر عبوديته الخاصة به الخالصة
له ان يخضع لحكم الله وحده ، ويعمل ما استطاع لاعلاء كلمته في الناس
وتعميم حكمه على الارض ، فلا حكم الا الله ولا سلطان الا سلطانه ولا نظام
الا نظامه : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم ...) (٤٤ - ٤٥ : المائدة) ،
ان يعمل لذلك ما استطاع العمل ويدعو اليه ما امكنته الدعوة ويدل عليه

ما وسعته الدلالة .

هذا هو اساس الدولة في الاسلام ، انه يقوم على الصلة الذاتية العميقة التي تعقد الانسان بربه وتخضعه لامره وتنيطه بتدبيره .

والخضوع لله في هذا المجال يتمثل بالخضوع لحكم الله الذي تأخذ به الدولة في كل ناحية من نواحي الحكم ، ونظام الله الذي تطبقه في كل حق من حقوق الحياة ، والدولة اذا لم تمثل حكم الله ولم تنتهج هداه فلا حق لها في طاعة على احداً ، وقولة الله في هدمها صريحة قبل قول الأمة .

هذه هي ركيزة الدولة وهذا هو اساسها الذي تقوم عليه في راي الاسلام .
اما التعاقد الاجتماعي فيأتي دوره بعد ذلك ، وجدواه شد اعضاء المجتمع بالدولة في ظل شريعة الله ، ومن مظاهر هذا التعاقد الاسلامي البيعة التي يؤدونها المسلمون لرئيس الدولة ، وقد ذكر القرآن الكريم بيعة المسلمين للرسول (ص) وعرفهم عظم خطرهما واكد عليهم وجوب الوفاء بها :
(ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرأ عظيماً) .
(١٠ : الفتح) .

اما الفلاسفة الذين قالوا بالعقد الاجتماعي وحتى من اعترف منهم بوجود الة الكون ، فانهم لا يعرفون صلة الانسان به على النحو الذي شرحه الاسلام ، ومن اجل ذلك كان العقد الاجتماعي بين الافراد في آرائهم هو الاساس الفريد لبناء الدولة ولا اساس سواه .

ولدي . .

هذه هي خلاصة الآراء في نظرية العقد الاجتماعي وهذه نظرة الاسلام
فيها ، وارجو ان يكون حديثي كافياً في ايضاح ذلك وان كان موجزاً ، ومن
الله سبحانه أسأل لي ولكم دوام التوفيق وحسن الرعاية ، وتقبلوا خالص
تحياتي لكم ولن يعز عليكم في مطلع الحديث وفي ختامه .

هذه ثمار ماغرسناه . حوار السائل مع زميل مسيحي حول
الاسلام . الحوار المحترم . خطوط وآداب الحوار . بعض
ما في الكتاب المسيحي المقدس من التناقض . بعض ما فيه
من منافيات العقيدة الصحيحة . البشارة بمحمد في الإنجيل .

١٧

بغداد - كلية الصيدلة . ١ رجب سنة ١٣٨٥ .

الشاب الزكي النجيب حفظه الله ووفقه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اهدبك جميل التحية وجزيل التسليم وبالغ الاعجاب وطيب الثناء ، ومن
الله سبحانه استمد لك نظرة حافظة ولطفاً عاصماً يكلآن لك هذا القبس
المهادي الذي ينبر فؤادك وهذا الروح الحي الذي يخفق به قلبك ، وتوفيقاً
شاملاً يسدّد منك الخطى ويأخذ بيدك الى التي هي ارضى .

قرأت رسالتك واطلعت فيها على الوصف العام الجامع الذي وصفت
به مجتمعك في كلية الصيدلة : المجتمع المختلط من شتى الأديان والألوان ،
واللهجات والعادات ، وقد آسفك ان الدين الاسلامي في هذا الوسط يتمثل

بفريق من شباب الجيل لا يجهلون شيئاً كجهلهم بدينهم ، ولا يولعون بامر
كما يولعون بمخالفة احكامه ، وساءك ان هذا الدين العظيم يتهم من أبناء
الادبان الأخرى بشئ الاتهامات ويحتجروا على كرامته بمختلف الأقاويل ، ثم
لا يجد من يدافع عنه ، او يحسن الدفاع عنه ! .

وهذه بعض ثمار ما غرسناه نحن بايدينا ، لم نظلم منه شيئاً ولم نبخس
منه شيئاً ، انها ثمار ما غرسناه بايدينا نحن المسلمين ، ومن يحن الجناية ثم يحاول
انكارها فاعما يرتكب جرمتين .

انها ثمار غرسنا نحن لما اهملنا ابناءنا فلم نجهد ان نعرفهم دين الله
ونفقههم معارفه ونصلهم بطاقاته ، ولما اغفلنا مدارسنا فلم نضمن مناهجها
ما يعرف النشء بربه ويصّره بدينه وما يزوده بالایمان القوي البناء .

وسواءً اكنا معذورين في هذا الصنع ام غير معذورين فان للتأنيج
الطبيعية لذلك تنساق وتتابع رضينا نحن بها ام أبينا . والله وحده هو
الرحمان المستعان .

ولكن : كان المؤمل في الشاب المتعلم : (اي شاب ، واي علم)
وخصوصاً اذا كان في وسط ثقافي محترم ككلية الصيدلة ، كان المؤمل في
هذا الشاب المتخف المتعلم ان يكون ابعد الناس من ان يتهم بغير حق او
يقول بغير بينة ، والمرقب من امثاله ان يبحث ليعلم ، وان ينقد - اذا شاء -
عن علم .

ولكنها رواسب النفوس تحول دون الدراسات الموضوعية ، وخصوصاً
في ما يتعلق بامر الدين ، فهل نصل الى الغاية التي يرتفع فيها مثقفونا عن

هذه المبادئ ١٤ .

انني لآمل ان يصل ذلك اليوم وانه جد قريب ، والثقافة الصحيحة
الواعية هي الكفيلة بازالة هذه الرواسب والعوائق .

وذكرت انك دخلت في حوار مع اعزّ اصدقائك في الكلية حول
دين الاسلام ، وصديقك هذا شاب مسيحي الدين ، وانت تطلب التوجيه
في هذا الحوار .

وانا ارجو ان يكون حديثكما حديثاً شيقاً مباركاً ما دام ناشئاً في ظل
الحب والاخوة الصادقة العميقة بينكما ، وما دام موضوع الحوار هو دين
الاسلام : دين الفطرة القويمة والخلق الرشيد السديد : دين الله العظيم .

وأربأ بكما معاً ما دتما مثقفين صحيحي الثقافة ، وما دتما صديقين
حميمين ، يحب كل واحد منكما سعادة اخيه ويتمنى له الخير . أربأ بكما ان
تتأثرا برواسب او تنقادا لعاطفة او هوى ، فان نفسيكما اسمى من ذلك
وان غايتكما اعظم .

ابحثا بحثاً موضوعياً يليق بكما ، وتناقشا نقاشاً هادئاً حراً ، وحكما
الفكر السليم والمنطق الصحيح . والله كفيل لكما بالوصول الى الغاية المحمودة .
والحق بابني جلي النور واضح المعالم والسمات ، والداعية الى الحق لا بد
له من الأناة والمصابرة في دعوته وفي اقامة حجته ولا بد له من الاخلاص
في النصيحة لله والنصيحة للمدعو ، وبعد هذا فالله نصيره ومعينه ولا ريب :
(ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز) . (٤٠ : الحج) ولست
ببعيد عن هذه الصفات ان شاء الله كما اتوسم فيك .

والبحث عن دين الاسلام بحثاً مقطوعاً مقتضياً ضمن موقف واحد
أو موقفين ، لست ارى لك فيه كبير فائدة ، وقد لا يقتنع به صديقك
وان تفتنت له في صوغ الادلة واقامة الشواهد .

ومن اجل ذلك ارجب ان يكون الحديث بينكما متصلاً متسلسلاً ،
فانه ادعى للتأمل والتفكير وايسر للاقتناع ، وما ضر الحديث في ذلك ان
يتشعب قليلاً اذا كنت اديباً في الحديث لبقاً فيه ملماً بأطرافه .

اما الادب واللباقة في الحديث فهما وصفان ارجو ان يكونا متوفرين
فيك ايها العزيز واما الالمام بأطرافه فسيحقق لك بعون الله اذا رجعت الى
المصادر التي سأذكرها لك .

واود ان تكون بداية حواركما بالتحدث عن اصل الدين :
هل الدين ضروري للانسان ، وما سبب هذه الضرورة التي حتمته
على الانسان وحرمت ان يعيش مهملًا بلا دين ؟ .

واقراً كتابي (رسالات السماء) ففيه بحوث مختصرة مجدية في ذلك ،
وباستطاعتك ان تقرأ فصل : (الدين في ينابيعه الاولى) من كتاب :
(الاسلام : ينابيعه . مناهجه . غاياته) . اذا كنت تطلب مزيداً من
الابضاح والتفصيل :

أود ان تفتح حديثكما بهذه الناحية من البحث ، وإحدى فوائد هذه
الرغبة ان يقتنع صديقك بان الدين ضرورة فيهم بالحديث وينبعث الى الجدل
فيه ، فالأمر امر نجاة وهلكة ، وامر ضرورة لا مسد لها ولا غناء عنها ،
والعقل المتبصر لا يتسامح فيه ابداً .

وبعد ان تستوفي الغاية من هذه المرحلة ، وبعد ان يقتنع صديقك بأن الدين ضرورة لا بد منها للانسان ، فلينتقل الحديث الى البحث حول (الكتاب المقدس) : الكتاب الذي تركز عليه المسيحية القائمة بشتي فرقها ومذاهبها وتؤمن به وتقول انه من وحي السماء .

واحب لك في هذه المرحلة ان تكون هادئاً منزناً في النقد ، بقطاً لكل كلمة تقولها .

احب هذا لك دائماً ، وفي هذه المرحلة من حديثكما على الخصوص ، لثلا تثير صديقك العزيز عليك فان الموضوع حساس .

ان تكون هادئاً ما وسعك الهدوء والاتزان بحيث لا تقصد في نقدك انتقاصاً ولا تبكيتاً ، وانما تروم استيضاح الحق والبحث عنه والتفاهم حوله ، والحوار بين النقاد المنصفين انما تكون له قيمته وجدواه اذا ارتكز على تبادل الاحترام بين المتحاورين ، ومن اجل هذا سميت حواراً ولم اسمّه جدالاً ، والقرآن الكريم حين سماه جدالاً اشترط ان يكون بالتي هي احسن فقال : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) . (النحل : ١٢٥) هذه آداب الاسلام ايها العزيز ، وعلى الداعية الى الله ان يتحلى بها ، وما انت عنها ببعيد .

قلت : وبعد ان يقتنع صديقك بان الدين ضرورة لا بد منها للانسان لينتقل الحديث الى البحث عن هذه المجموعة من الاسفار الموجودة بايدي المسيحيين : اهي صحيحة النسبة الى وحي الله كما يقول المسيحيون ؟ .

اذن فما بالها تتناقض نصوصها وتتضارب ؟ وهل يمكن ان يقع تناقض

في وحي الله ١٢ .

ومن أمثلة التناقض فيها انها تقول : (لتعلم ان الرب هو الاله ،
ليس آخر سواه) انظر ٣٥ : الاصحاح الرابع : سفر التثنية ، وتقول :
(وردد في قلبك ان الرب هو الاله في السماء من فوق وعلى الأرض من
اسفل) ، انظر ٣٩ من المصدر ذاته . وانظر الاصحاح الثاني والثلاثين من
سفر التثنية . ومواضع كثيرة اخرى ، ثم تقول هي لموسى في شأن اخيه هارون :
(وهو يكلم الشعب عنك ، وهو يكون لك فأ وانت تكون له إلهاً)
انظر ١٦ : الاصحاح الرابع : سفر الخروج ، وتقول في الاصحاح السابع من سفر
الخروج : (فقال الرب لموسى انظر انا جعلتك الها لفرعون وهارون اخوك
يكون نبيك) ، فهي تقول بالتوحيد في فقراتها الاولى وتعدد الآلهة في
فقراتها الأخيرة .

ومن امثلة التناقض فيها انها تقول : (الله لم يره احد قط . الابن
الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر) انظر ١٨ من الاصحاح الأول :
انجيل يوحنا . ثم تقول : (ثم صعد موسى وهرون وناداب وابيهو وسبعون
من شيوخ اسرائيل ورأوا إله اسرائيل وتحت رجله شبه صنعة من العقيق
الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة ، ولكنه لم يمد يده الى اشراف
بني اسرائيل ، فرأوا الله واكلوا وشربوا) . انظر ٩ - ١١ : الاصحاح الرابع
والعشرين : سفر الخروج . وتقول عن أشعيا انه رآه في سنة وفاة عزيزا
الملك (جالسا على كرسي عال ومرتفع واذباله تملأ الهيكل) انظر ١ من
الاصحاح السادس : سفر اشعيا ، وقد رآه حزقيال بن بوزي في موكب إلهي

عظيم أظن في وصفه ، انظر الاصحاح الاول بكامله من سفر حزقيال .
ومن الامثلة على التناقض فيها انها تقول : (احكام الرب حق عادلة
كلها) انظر ٩ : المزمور التاسع عشر من المزامير ، وتقول : (اني باسم الرب
انادي ان جميع سبله عدل) انظر ٤ : الاصحاح الثاني والثلاثين :
سفر التثنية ، ثم تقول : (انا الرب اهلك اله غيور أفنقد ذنوب الآباء في
الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي) انظر ٥ : الاصحاح العشرين :
سفر الخروج . وتذكر في ما انزل الله من الاحكام على بني اسرائيل ، انه
امرهم ان يحاربوا اعداءهم حرب اباده ، فتقول : (وأما مدن هؤلاء الشعوب
التي يعطيك الرب اهلك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما : بل تحرمها تحريماً
(اي تبليدها اباده) الحثيين والاموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين
واليبوسيين كما امرك الرب اهلك) انظر ١٦ ، ١٧ : الاصحاح العشرين : سفر
التثنية ، نعم وكذلك صنعوا (وحرمو كل ما في المدينة من رجل وامرأة
من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف) انظر ٢١ : الاصحاح
السادس : سفر يشوع ، واقرأ هذا السفر كله لتعرف مبلغ القسوة التي
ابادت مئات الالوف من الاطفال . وتقول ان ذلك بامر الله وبوحي منه .
الى امثلة كثيرة جداً من هذه المتناقضات .

وما بالها تصف الإله العظيم بصفات يجب تزويه عنها . فهو - في
تصورها - يعجز عن العمل فيفتقر الى الراحة . ويجهل موضع آدم بين شجر
الجنة فيناديه : ابن انت ؟ ، ويجهل ان آدم أكل من الشجرة حتى يسأله ،
وينحس من آدم ان ياكل من شجرة الخلود فيشاركه في استمرار الحياة ،

كما أكل من شجرة المعرفة فشاركه في معرفة الحسن والقبيح ويكون
إلهاً مثله . فيطرده من الجنة . والقصة بكاملها مذكورة في الاصحاح الثاني
والثالث من سفر التكوين ، فاقراها اذا شئت ولم اذكرها هنا لان النص طويل
وقد تصارع مع يعقوب ليلة كاملة فلم يقدر على يعقوب ولم يستطع
ان يتخلص من قبضته حتى اضطر الرب ان يضرب حتى فخذ يعقوب
فيخلعه ، ويعقوب ممسك بربه لا بدعه ولم يطلقه حتى انتزع منه البركة
انتزاعاً (ولقبه اسرائيل) انظر ٢٤ - ٢٩ : الاصحاح الثاني والثلاثين : سفر
التكوين .

وهذا غير الاوصاف الشائنة التي تصف بها الانبياء ، وعدى النسب
غير المؤدبة التي تنسبها الى قدس السيد المسيح ، نعم . الى السيد المسيح
بالذات ، وسوى الاعمال المنكرة التي تعزوها الى تلاميذ المسيح ، واذا
رغبت في تعيين هذه المواضع من الكتاب المقدس فيمكنك ان تعرفني برغبتك .
وبكلمة موجزة ، يمكنك ان تستعرض نسخة كاملة من الكتاب المقدس
وتقرأه مع صديقك قراءة هادئة مشتركة مستقصية ، وتقفا على كل فقرة
فقرة من كل اصحاح وتتفهما معانيه حتى تستيقن أنت ويستيقن صديقك معك : ان
مثل هذا الكتاب لا يمكن ان يكون من وحي السماء : لوفرة ما يحتويه من
الاهام التي لا يقبلها فكر سليم .

وبعد هاتين المرحلتين من البحث توجهت في حوار كما نحو الاسلام
ونبي الاسلام وكتاب الاسلام ، وليذكر صديقك نقوده واذكر انت بدورك
ادلتك وموجهاتك واذا شئت فعرفني عما تحتاج اليه في هذه المرحلة من

الادلة وعما يديه صاحبك من النقود ، وان كنتُ كثير المشاغل متزاحم
الواجبات والله ولي التوفيق :

هذا هو السبيل المجدي في اتجاه حديثكما وان كان طويلا ، وارجو لكما
التوفيق في سلوكه .

وسألت عن قولة المسيح : (ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد)
أهي مذكورة في الاناجيل الموجودة ؟ وفي اي انجيل توجد ؟ وما موقعها ؟ .
ولدي : نعم ، وردت هذه البشارة في انجيل يوحنا وقد ذكرت منه
في موضعين : في الفقرة ٢٦ من الاصحاح الخامس عشر ، وفي الفقرة
٧ - ١٥ من الاصحاح السادس عشر .

ولفظه في الاصل اليوناني للانجيل : (پيركلوطوس) وتعريبه
(فيرقلوط) بمعنى احمد او محمد .

وبصححه بعض النصارى (پيراكلي طوس) وبلفظون به مخففاً :
(فارقليط) .

وقد ذكر هذا في الترجمة المطبوعة في لندن سنة ١٨٢١ و سنة ١٨٣١
و سنة ١٨٤١ .

وذكر كذلك في مطبوعة وليم واطس في لندن سنة ١٨٥٧ على نسخة
رومية المطبوعة سنة ١٦٦٤ .

وذكر في الترجمة العبرانية للاصل اليوناني المطبوعة سنة ١٩٠١ :
ولكن التراجم العربية الموجودة بالأيدي ابدلته بلفظ المعزّي وبعضها
أبدله بلفظ المسلي ، فهل تعجب لهذه الامانة التي يؤدّون بها كتب الوحي ؟!

وموقع المعجب ان الأصل اليوناني والتراجم المشار اليها موجودة ميسورة
لمن يريد البحث والاطلاع .

ودع حديث انجيل برنابا فان البشارة المذكورة فيه باللفظ الصريح :
(محمد رسول الله) .

واقول : دع حديث هذا الانجيل : فان المسيحية الموجودة لا تعترف
به بعد ان حرّمه البابا جلاسيوس الأول او جلاسيوس الثاني ، على اختلاف
بين المؤرخين .

وختاماً ارجو لك التوفيق الدائم والنعمة الموفورة ، ولك ولمن يعز عليك
وافر تحياتي .

امانة مفروضة . القول بالجبر . القول بالنفويض . كلاهما
انحراف عن النهج القويم . الجواب عن بعض الآيات
المتشابهة . حوار السائل مع زميل صابني . توجيهات في
هذا الحوار .

١٨

بغداد - كلية الطب البيطري . ٥ رمضان المبارك سنة ١٣٨٥ :

حضرة الشاب المذهب : . . . دام توفيقه :

تحية مباركة وسلاماً كثيراً ودعاء جزيلاً ان يثبتك الله على الحق ويجعلك
من دعائه ورعائه ، وبوقتك لاداء امانته التي طوق بها عنق كل مسلم ،
وميثاقه الذي اخذه على كل مؤمن ، ان يكون من الدعاة الى الله والادلاء
على دينه والمرشدين الى منهجه ، وان لا يالو جهداً في ابتغاء الخير للناس
والسعي لنجاتهم ، ودلاتهم على مشرق النور ومصادر الهدى .

نعم ايها العزيز ، انها امانة مفروضة وعهد مأخوذ على كل مؤمن ، لا بد
من أدائها ولا بد من العمل للوفاء بها ، ولا معذرة لأحد في التقصير او التسامح
فيها ، وقد كررت ذكر هذا كثيراً في شتى المناسبات وخصوصاً في اجوبتي

لرسائل الشباب النجباء والله سبحانه هو الموفق لأداء هذه الأمانة ، وهو المعين على القيام بواجبها .

وصلتني رسالتك واطلعت فيها على قبس نير مضيء ارجو من الله ان يقيه لك ويمد لك في اشعاعه وينير سبيلك به ويوجهه جميع مواهبك وطاقاتك لنصرته والحفاظ عليه .

اطلعت على قوة من الايمان توجهك لأن تسأل ، وتبعثك لان تدعو وتنير السبيل للآخرين من زملائك واصدقائك ، والشعور بالمسؤولية - ايها العزيز - اول العوامل التي تدفع بالمؤمن لاداء واجبه تجاه ربه وتجاه دينه وتجاه ضميره . وقد سألت اولاً عن بعض الآيات المتشابهة التي يستند اليها القائلون بان الانسان مجبر على ما يعمل ، وانه لا يؤمن ولا يكفر ولا يصلح ولا يفسق ولا يعمل خيراً او شراً ولا يترك ، لا يصنع شيئاً من ذلك الا بمشيئة من الله وارادة تستيره الى الوجهة التي تريد .

فالانسان - على ما يرون - مجبور مقصور لاختيرة له في اعماله ، وقد ذهب الى هذا الرأي بعض فرق المسلمين ، واستدلوا لإثبات رأيهم هذا بالآيات التي سألت عنها .

وذهب فريق آخر من المسلمين الى القول بالتفويض ، الى القول بان الانسان حر مختار كامل الحرية والاختيار في جميع اعماله ، ولا سلطان لأحد غيره على ارادته وفعله ، لا سلطان لأي احد عليه حتى الله الذي خلقه وقدره ودبره بعد ان لم يكن شيئاً مذكوراً .

والأئمة المعصومون من اهل البيت عليهم السلام وشيعتهم جميعاً في .

ركابهم يجدون في كلا هذين القولين انحرافاً عن النهج القويم في الاسلام ،
فالله سبحانه هو خالق هذا الانسان ومقدره ومدبره ، وخالق قواه وطاقاته
ومتدّها وموجهها ، وهو واهب القدرة له على الفعل والترك ومهيء الاسباب ،
ولولا هذا المدد المتصل من الله لم يستطع الانسان ان يعمل شيئاً بل لم
يكن بذاته شيئاً .

هذه ناحية .

وناحية اخرى : ان الله سبحانه حكيم كامل الحكمة منزّه عن العيب
والظلم ، وقد شاءت حكمته ان يجعل الانسان حراً مختاراً وان يمهّد له
اسباب الاختيار ، ويهبه العقل الذي يفكر به ويزن الأمور ، وان يدلّه
الدلالة الكافية على سبيل الخير وسبيل الشر ، وسبيل الهدى وسبيل الضلال ،
وان يقدره على فعل الخير وتركه وعلى عمل الشر وتركه ، ثم يدع الخيرة
- بعد ذلك - لإرادة الانسان بقرّر بذاته مصيره ، ويوجه مسيره ، فيفوز
أو يهلك باختباره (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ١٠٠)
(٢٩ : الكهف) .

ولولا تلك الدلالة والافدار من الله تعالى والمدد المتصل من فيضه
سبحانه لما اهتدى المهتدي ، وهذا هو معنى قوله تعالى : (. . لمن شاء
منكم ان يستقيم ، وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين) . (٢٨ - ٢٩ :
التكوير) ، وعلى هذا التقرير تجتمع الآيات ولا يقع بينها اي تعارض او
تخالف ، فلا جبر ولا تفويض ولكن امر بين امرين .

اما قوله سبحانه : (افلم يئأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى

الناس جميعاً) . (٣١ : الرعد) ، وما يتسق معه من الآيات الكريمة فهي دالة على نفي الجبر ، ومعنى الآية على احد التفسيرين لها : اقلم يعلم الذين آمنوا ان الله نافذ المشيئة عام القدرة ، وانه لو تعلقت مشيئته بان يهدي الناس اجمعين الى الحق لهداهم كافة ولم يفضل منهم ضال ابداً ، ولكن الناس على هذا يكونون مجبرين مقسورين على اتباع الهدى ، والحكمة نحم ان يجعلوا مختارين في هداهم وضلالهم وفي اطاعتهم وعصيانهم ، فتوهب لهم القدرة وتهبأ لهم الفرص وتترك لهم الخيرة اينالوا باختيارهم ثواب المطيعين او جزاء العاصين .

وفي صفحة ٢٤٢ الى ٢٥٤ من كتاب (الاسلام) بحوث مفصلة في مسألة الجبر وفي عقيدة العدل ، فارجع اليها اذا احببت المزيد .

وذكرت ثانياً ان لديكم في كلية الطب البيطري بعض الزملاء الاصدقاء من الصابئة ، وانكم تتحدثون معهم عن دين الاسلام فتذكرون لهم محاسنه ومناجه ومعالجته لختلف مشكلات الحياة وانت تلتمس التوجيه في ذلك .

والحديث عن الاسلام - ايها العزيز - متسع الآفاق كثير المناحي بعيد الاغوار ، ومحاسن الاسلام لا ياتي عليها حساب ، ووددت لو ذكرت لي الانجازات الخاصة التي سلكتموها في حديثكم لأزودك فيها ببعض ما يلزم ، وفي كتب الاستاذ عبد الرزاق نوفل : (الاسلام والعلم الحديث) و (القرآن والعلم الحديث) و (الله والعلم الحديث) بحوث يحسن الاطلاع عليها في هذا السبيل ، وكذلك كتاب (الاسلام والطب الحديث) للاستاذ الدكتور عبد العزيز اسماعيل .

وأرغب رغبة خاصة ان تقتني نسخة من كتاب (الاسلام) فتقرأها مع صديقك الصابىء قراءة مشتركة في اوقات فراغكما ، وتتخذان من بحثه موضوعاً متسلسلاً لحديثكما وتنقلان في مواضع الكتاب قليلاً قليلاً حسب رغبتكما ، وتوضح له معانيه بحسب طاقتك ، واذا أبهم عليك شيء من مقاصد الكتاب او عسرت عليك الاجابة عن بعض مسائل صديقك ومناقشاته فلا مانع من ان تراسلني الى النجف ، او الى البصرة او البحرين اذا كنت مسافراً الى احدهما .

أرغب في ذلك ، لأن تسلسل بحوث الكتاب يربحك من عناء التفكير في اختيار المواضيع ، ويركز حديثك مع زميلك حول نقاط مهمة من حقائق الاسلام ومحاسنه وغاياته ، ويوجه صاحبك توجيهاً موضوعياً الى تعرف الدين الحق واقامة الأدلة النيرة على اثباته .

ولدي العزيز : والوصية الاولى والمهمة في هذا السبيل هي التزام الاخلاص : الاخلاص لله في الدعوة اليه ، والاخلاص لله في النصيحة لصديقك الذي تدعوه وتحرص على نجاته .

هذه هي العدة القوية التي لا يفتح الا بها ، ولا يبلغ الهدف المقصود بدونها ، ومبعث هذا الاخلاص هو الايمان بالله وعظم الثقة به .

والوصية الاخرى هي التزام الهدوء الذي امر به الاسلام .

الهدوء في العرض والاحتجاج وفي الاستماع والنقاش .

الهدوء الكامل الذي يكتفي بقوة الحق ومضاء الحججة وهيمنة الانصاف

عن اي حدة او شدة او لاجاجة .

ان القلوب لتتفاهم ايها العزيز قبل ان تتفاهم الالسة ، فاذا عرف
قلب زميلك منك الصدق والاخلاص، اصفى اليك وبذلك الحب والاخلاص ،
وانتفع بنصحتك وسرى اليه ايمانك ، و (لان يهدي الله بك رجلاً واحداً
خير لك مما طلعت عليه الشمس) كما يقول الرسول العظيم (ص) .
ومن الله سبحانه اسأل لك التوفيق والنظرة التي تسددك في الخطوات
وتصونك من المفوات ، وتحياي لك وللمؤمنين النجباء من اخوانك ولن
يعز عليك .

حديث السائل مع زميل مسلم حول القياس . تحديد موضوع
القياس . خطوط وأسانيد للبحث . مصادر . من المجدي
ان ينتقل البحث الى الامامة . مصادر .

١٩

بغداد - كلية الطب .

ولدي العزيز الاديب . . .

السلام عليك قدر شوقي اليك ورحمة الله وبركاته ، مع دعائي لك في
هذه الليالي المباركة ان يمكن سبحانه لك من بلوغ هدفك ، وان يسددك في
خطواتك ، وان يكفيك ما احذره عليك انه ارحم الراحمين .

التقيت بك آخر ساعة كنت فيها في النجف ، واستمعت الى مسألتك
العجلى وأنا مرتبك الذهن من جراء سفري القريب ، فقد كانت السيارة
والرفقة تنتظرني ، والواقع انني لم ارغب ان اجيبك جواباً قصيراً مرتجلاً عن
مسألة تهتم بها ووعدتك ان اتحدث اليك عنها ضمن جوابي عن
رسالتك السابقة وعند وصولي الى البصرة ان شاء الله .

ووصلت البصرة بعد وداع ولدي بتسع ساعات وكانت - والحمد لله -

سفرة مريحة وارجو منه تعالى ان يجعلها ميمونة ، وبين تراجم الحقوق والواجبات انصرفت الى رسالتك آمم الجواب عنها ، فقد كنت بدأت في تحريره قبل سفري من النجف ، ثم رأيت ان اعجل بهذه الرسالة جواباً عن مسألتك تلك ، فقد عرفت انك تود الازجال فيها .

قلت لي : انك اتفقت مع احد زملائك من تلاميذ كلية الطب على ان تفتحاً بينكما باباً لمحادثة دينية اسبوعية ، وقد اذعرتما ان يكون الحوار بينكما حول موضوع القياس في الاسلام . هل يصلح ان يستند اليه في استنباط احكام الشريعة ام لا يصح الاعتماد عليه ؟ وطلبت ان ارسم لك المخطوط التي ينبغي ان يجري عليها الحوار ، وان اذكر بعض المصادر التي ترجع اليها في البحث .

ومسألة القياس من مسائل علم اصول الفقه وقد اختلفت فيها اقوال علماء المسلمين ، والثابت من مذهب اهل البيت (ع) وشيعتهم عدم الاعتماد بالقياس ، ووافقهم على ذلك جماعة من علماء المذاهب الاخرى ، والمعروف بين العلماء الحنفية صحة الاعتماد عليه ، ويوافقهم - جزئياً او كلياً - علماء آخرون .

وللقياس انواع عديدة وقع الخلاف في اكثرها ، واشهر هذه الأقسام التي وقع فيها الخلاف : ان يثبت بالادلة المعتمدة حكم شرعي لموضوع معين محدد ، فينظر العقل في ذلك الحكم الشرعي وفي ذلك الموضوع الذي ثبت له الحكم وفي الصفات التي يتصف بها الموضوع ، حتى يتميز من بينها الصفة التي يرى انها هي العلة التي اوجبت ثبوت ذلك الحكم للموضوع .

فاذا ميز العقل الصفة الخاصة التي يرى انها علة الحكم ، ثم رأى هذه الصفة بذاتها موجودة في موضوع آخر غير الموضوع الأول ، حكم بان هذا الموضوع الثاني يشارك الموضوع الأول في الحكم لانه يشاركه في علة الحكم ، ويسمون الموضوع الاول الذي ثبت له الحكم بالدليل : (الاصل) ويسمون الموضوع الثاني الذي الحقوه به في الحكم : (الفرع) .

هذا هو القياس الذي اعتمد عليه بعض المسلمين وانكره الآخرون . ومفتاح الحديث فيه ان يتساءل : هل يستطيع العقل البشري وهو المحدود القوة المحدود الوسائل الكثير الصوارف والمزاحات الكثير الوجوه والاحتمالات ، هل يستطيع وهو على هذه الصفات ان ينفذ بنظرته الى واقع الأمور فيتعرف على العلة الحقيقية التي اوجبت ثبوت الحكم الشرعي لموضوعه ؟ وهل يقوى ان يتعرف على حدود تلك العلة أمهي عامة ام خاصة ، ومطلقة ام مقيدة ؟ هل يستطيع ذلك لئلا يملك بعد ان يتعرف على العلة وعلى عمومها : ان يحكم بتعديده ذلك الحكم الى اي موضوع وجدت فيه تلك العلة ؟ .

الواقع ان نظرة واحدة الى حدود العقل البشري والى وسائله المحدودة التي يدرك بها حقائق الاشياء ، والى كثرة المزاحات والأوهام والوجوه والاهواء التي تعترض سبيله فتصدده عن النظر الصحيح ، ثم عن الاستنتاج الصحيح ، اقول : ان نظرة واحدة الى هذه القيود التي تثقل العقل البشري وتمنعه عن الانطلاق ، تكفي لاقتناع الباحث بان العقل لا يستطيع التسامي الى هذا المقام ، ولو أمكنه الانفلات من هذه القيود التي تشده الى الأرض وتميل به وبحكمه مع الميول والرغبات والموثرات ، لاستطاع ان يشرع لنفسه

وللإنسانية كلها النظام العام الخالد واستغنى بذلك عن شرائع السماء .

ان العقل البشري اضعف قوة من ان يدعي لنفسه هذه الدعوى ، وقد ادرك العلم الحديث منه هذه الظاهرة فلم يعتمد على نظرياته في العلوم المادية الا اذا اثبتتها الحسّ ومحصتها التجريبية ودقة الملاحظة .

ان العقل البشري اضعف قوة ، بل وهو اسمى مقاماً من ان يدعي لنفسه ذلك ، لانه لا يجهل نفسه ولا حدوده الا ان يكون مغروراً ، ولا قيمة للحكم اذا استند الى القورور .

بلى ، قد ينظر العقل في الحكم الشرعي وفي ملابساته فيحصل له الظن بعلّة الحكم ، ولا قيمة لمثل هذا الظن في استنباط احكام الشريعة .

والقوانين الوضعية في الدنيا كلها لا تصحح الاعتماد في احكامها على القياس ، فاذا ثبت حكم لموضوع معين بحسب مادة من مواد القانون ، فلا يصح لأحد ان يعدّي ذلك الحكم الى موضوع آخر يشاركه في العلة الا اذا نص عليه ذلك القانون ، وهذا ثابت لا يشك فيه من له علم باصول القانون .

اما المصادر التي يمكنك الرجوع اليها في المسألة ، فارجع اذا شئت الى مقدمة كتاب (النص والاجتهاد) للحجة المجاهد السيد عبد الحسين شرف الدين ، والمقدمة المشار اليها بقلم العلامة السيد محمد تقي الحكيم .

وفي الجزء الأول المطبوع من الكتاب القيم : (الاصول العامة للفقهاء المقارن) للعلامة السيد محمد تقي الحكيم بحوث مستوفية في الموضوع فلا بأس بالنظر فيه ، ولعل في كتاب (اصول الفقهاء) للحجة المغفور له الشيخ محمد رضا المظفر ما يحسن الاطلاع عليه في ذلك .

ولدي : وأرى من المجدي لك ولزميلك الذي تحاوره على السواء ،
مادمتما ترغبان في مثل هذا النوع من الحديث ، وما دامت ثقافتكما
ومرونتكما الفكرية تخولكما ان تبحثنا هذه الحقائق بحثاً موضوعياً بعيداً
عن العواطف والضغائن ، أرى من المجدي ان ينتقل حديثكما الى مسألة
الامامة في الاسلام .

الى مسألة الولاية الكبرى على شؤون الأمة ومقدراتها بعد فقد
الرسول (ص) ، وما يسر الانتقال من مسألة القياس الى هذه المسألة ! .
نعم ، فان من اعتمد على القياس في الشريعة من العلماء المسلمين انما
اضطر اليه اضطراراً لقلّة النصوص الصحيحة - فيما يرى - ، وعدم وفائها
بالاحكام مع تجدد الحوادث ، فاضطر من اجل ذلك الى الاعتماد على القياس ،
والى القول بالاستحسان ، والى ولوج ابواب غيرها تيسر له استنباط الاحكام .
اما القائلون بامامة الأئمة (ع) وعصمتهم بعد جدّهم الرسول (ص)
فهم في نجوة من ذلك ، فان وفرة النصوص عن المعصومين (ع) وبيانها
لمختلف الاحكام في مختلف الاشياء والابواب ، تغنيهم عن اللجوء الى سبل
غير مأمونة ولا مضمونة .

واذن فمن المجدي ومن الميسر ان ينتقل الحوار بينكما الى حديث
الامامة وحديث العصمة ما دامت الصلة بين المسألتين قريبة ، ويمكنك
الرجوع في هذه الى كتاب (المراجعات) وكتاب (الفصول المهمة)
لشرف الدين ، وكتاب (الامامة) للشيخ محمد مهدي الآصفي والى مباحث
الامامة من كتاب (الاسلام) .

ومسألة الامامة مسألة مهمة ، فاذا وجدت من صديقك رغبة في
بحثها ، فلا بأس بان تتمكنه من قراءة كتاب (المراجعات) واذا استطعنا ان
تقرأه معاً قراءة مشتركة واعية فذلك افضل وأجدى .
ومن الله أتمنى لكما التوفيق للغاية الحميدة . وسلامي لك ولمن يعز
حليكم ورحمة الله وبركاته .

رسالة كتبت الى الاستاذ عبد القادر العماوي على اثر نشره
لكتابه (مستقبل الاسلام) .

٢٠

مصر . ٣ جماد الثاني سنة ١٣٧٢ .

ايها الاستاذ :

احبيك - على بعد الدار - نحية المسلم الصحيح والعربي الصميم .
اقول : على بعد الدار نزولا على حكم المسافات البعيدة ، التي يعلها
الناس فاصلة بين البلاد ، والمسلم من المسلم اين ما حل من بقاع المعمورة ، والمؤمنون
اخوة اشقاء ، ما دامت العقيدة التي تملأ قلوبهم وتوجه ارادتهم عقيدة واحدة ،
والاعمال التي توجههم الى الله وتقربهم منه اعمالا واحدة ، وما دامت روح
القرآن تنفذ الى قلب كل مسلم ، ولغة القرآن تهيم على لسان كل عربي
وكل مسلم .

اخني : كم يحز في نفسي وفي نفس كل غيور من انصار الاسلام
وابناء القرآن هذا التناحر الذي نجده بين المسلمين ، وبين الكتاب من المسلمين
على الأخص . كم يحز في نفوسنا هذا التناحر حول هذه الأسماء التي

سموها فرقاً واعتبروها مذاهب ، فاضاعوا بها جوهر الاسلام وتوثوا بها
قداسة القرآن !! .

ليس من العجيب - ايها الأخ - ان يعمد الكاتب المسلم الذي يريد
ان يساهم في خدمة الاسلام ، فيصور اخاه المسلم الذي يجتمع معه في اهم
الروابط واقواها ، ويتحد معه في اكثر الاشياء التي توجب الوحدة .
ليس من العجيب ان يصور اخاه هذا بابشع صورة ، ويسمه باقبح
سمة ؟ ! .

ليس من العجيب ان يخلق الكاذب اختلاقاً ليصف اخاه باشنع
الصفات ، وهو لا يعلم من آراء اخيه - الخاصة به - شيئاً ، ولا يعرف
من سيرته قليلاً ولا كثيراً ، وكل ما يعرفه عن آرائه واقواله سخافات
يتقولها مستشرقون وخيالات يتوهمها مغرضون ؟ ! .

تأمل - ايها الاستاذ - فيما لو قابلته اخوه بالمثل - ويده قلم اجرى
وبين جنبه قلب أجراً - فكال له بالصاع صاعاً وكافاه على العمل جزاءً
أخذاً بشريعة القصاص واقتداءً بسنة العدل ، فوضع له صورة تشبه الاولى
في الوضع ، وتزيد عليها في القبح ، تأمل ايها الاستاذ ماذا ياخذ الغرباء
عن هاتين الصورتين من تصوير فني للاسلام بايدي ابنائه ؟ ، وتفكر فيما يجر
عليه ذلك من بلاء وما يعقبه من ويلات ، ثم انظر اليست المسؤولية تقع
في ذلك على المسلم الأول الذي اراد ان يساهم في خدمة الاسلام فواقع
الضربة الكبرى على رأسه ؟ ! .

تاملوا ايها الكتاب فيما تكتبون ، وتجردوا للعقل عن العاطفة ، وسايروا

البرهان في استنتاجكم ثم اكتبوا بعد ذلك ما تشاؤون ،
تاملوا . فان الكتابة ليست حبراً على ورق ، ولكنها تحكم في عقول
وحكم على مبادئ . ضموا لهذا التنازع حداً . فان في الحقائق غنى عن الخيال .
كان بوسعي أيها الأخ ان أمرّ على كتابك « مستقبل الاسلام » كريماً
وان اقول سلاماً ، كما علمني القرآن ان أمرّ وان اقول ، ولكن حق الاسلام
يلزمني ان اوقفك على ما فيه وقفة اجمالية ، اما حين يحتاج الامر الى التفصيل
فاني افضل السكوت لئلا اكون شريكاً في الجريمة .

والكتاب الذي يقول عن الشيعة الاثني عشرية : انهم يعتقدون بامام
خامس وبمكرر الخامس وبامام سابع وبمكرر السابع ، والذي يعتمد في ما
ينسبه الى طوائف المسلمين على كتاب الغرب البعدين عن روح الاسلام ،
البعدين عن معرفة مذهبهم جدير بالسكوت عن كل ما فيه .

وقد عرفت انك تشتهي ان تدخل كل شخص قيل بامامته في قائمة
الأئمة الاثني عشر ، وتجعله على حساب الشيعة الاثني عشرية ، وعلى هذا
القياس فكان من اللازم ان تدرج في القائمة اسماء اخرى غير زيد واسماعيل ،
وكان كل واحد من الأعداد الاثني عشر يحتاج الى مكرر او مكررين
او اكثر ! .

وبعد فقد رأيتك تتحدث عن عقيدة المهدي عند الشيعة ، وكنت
قد تحدثت « مع الدكتور احمد امين » حول هذه العقيدة فارسلت اليك
نسخة من الكتاب للاطلاع عليها .

وختاماً اغتنموا تحياتي الطيبة لكم ولكل اديب مسلم في مصر .

العقيدة اساس الاسلام واساس الشخصية المسلمة . الدبلوماسية .
لمحة من تاريخها . نظرة الاسلام فيها .

٢١

البصرة - كلية الاداب . ٢٨ شعبان سنة ١٣٨٦ .

حضرة الكامل المهذب العزيز ٠٠٠٠٠ دام بخير .

تحية طيبة كريمة وسلاماً وافياً وافرأ لك ولزملائك وأترابك من الشباب
النجباء الذين يشعرون بشعورك لدين الله وبشاطرونك حمل امانته ، ويؤمنون
معك بان سعادة الدنيا لن تتحقق الا في ظلاله ، وان بسط الأمن فيها
لن يكون الا بتطبيق مناهجه ، ودعائي لكم جميعاً ان ينير الله بصائرکم ويسعد
نفوسكم وبوفقكم للغاية التي يرضاها لكم .

عزيزي : ذكرت في رسالتك المؤرخة ٣ شعبان ١٣٨٦ صلتك بي من
طريق قراءة كتبي والافادة منها ، والصلة حين تنشأ من التجاوب العميق في
الدعوة الى الله ، والايمان به والعمل لرضاه ، يرجى في ثماتها ونتائجها الخير
الكثير الوفير ، وأسأله تعالى : ان يجعلنا اهلاً لهذا التلاقي السعيد .

ان يجعلني اهلاً للدعوة اليه والدلالة على سبيله ، ويجعلك اهلاً
للاقتباس من نوره والاتباع لهده .

بني : واسمح لي ما دامت بيننا هذه الصلة الوثيقة ، وما دمت تتمتع بثقافة جامعية تخولني ان أعقد عليك الأمل ، وقبل ان أتحدث اليك في جواب مسألتك التي من اجلها حررت رسالتك ، اسمح لي ان أوصيك واکرّر وصيتي اليك بالعقيدة . .

بالعقيدة التي يقوم ويرسو عليها بناء الاسلام . .
بالعقيدة التي يقوم ويسمو ويتأسس عليها بناء شخصية الرجل المسلم . .
بالعقيدة بالله وبرسوله وكتابه ، بانه سبحانه المبدأ واليه المنتهى .
والعلوم الكونية التي تقرأها في الجامعة وسواها في بطون الكتب ، او تسمعها من اقوال المحاضرين وألسنة العالمين ، والتي تحسّ آثارها وعجائبها ملء حواسك ومداركك حين تقلّبها في هذا الكون الفسيح النظيم ، هذه كلها براهين عقيدة الاسلام ، فلست بعدها محتاجاً الى دليل ، غير ان الناظر فيها يحتاج الى ذهن يعي وفكر يتدبر .

اسمح لي ان أؤكد وصيتي اليك بالعقيدة ، فانها القوة المركزية الجاذبة التي تناسك بها شخصيتك ، فاذا ضعفت العقيدة او عدت اضطربت الشخصية وانتثر نظامها .

أسمعت بالنواة المركزية التي بسببها يتكون نظام الذرة ، وتحصل وحدتها وترباط جزئياتها ، فاذا صدعت هذه النواة تفجرت الذرة وانتثرت الجزئيات ؟ ، ثم ارايت أولئك الشباب الذين وهت أو ماتت في نفوسهم العقيدة بالله ، كيف عاشوا سادرين حائرين لا اتجاه لهم ولا مرمى ؟ ! .
نعم ، وكما تنفجر الذرة حين تمس نواتها وتستحيل طاقة مدمرة بعد

ان كانت وحدة سليمة تسهم في بناء الكون وتسهم في تكامله ، كذلك تتمزق شخصية الانسان حين تذهب العقيدة منه ، ويصبح طاقة خطيرة تكبد المجتمع وتشقيه ، بعد ان كانت قوة صالحة تسهم في بناء المجتمع وإسعاده . والمسؤولية - ايها العزيز - كبيرة ومهمة جداً ، وخصوصاً على الشباب الجامعيين الذين ستلقى على عواتقهم - عن قريب - مهمة تربية الجيل ، فلا بد من الشعور الكامل بها ، ولا بد من الاستعداد الكامل لها . ولدي : وبعد هذه الكلمة العجلى التي أزعجها اليك والى أترابك من الشباب الميامين أعود الى رسالتك العزيزة والى مسألتك فيها . سألت عن الدبلوماسية في الاسلام : ما معناها ؟ ومتى نشأت ؟ وكيف تطورت ؟ .

والدبلوماسية كلمة ترجع في اشتقاقها الى أصل يوناني قديم ، شأنها شأن كثير من الكلمات اليونانية التي لا تزال تستعمل في مصطلحات الفلسفة والعلوم والسياسة .

وكانت هذه الكلمة تطلق في ايام الامبراطورية الرومانية على الجوازات والتذاكر الرسمية التي تعطى للمسافرين ، والعابرين الذين يتجولون في انحاء الامبراطورية وفي خارجها ، والجوازات والتذاكر - على ما يقول المؤرخون - عبارة عن قطع معدنية توضع عليها علامات مخصوصة ، ثم تطوى على هيئة مخصوصة ويسمونها ديپلوماس .

ثم اتسعت بعد ذلك الدائرة لمعنى كلمة ديپلوماس ، فاصبحت تطلق على الأوراق الرسمية على العموم ، وعلى وثائق المعاهدات التي تقرر بين دولة

ودولة اخرى على الخصوص ، ومن هذا المعنى أخذت كلمة ريس ديبلوماسيكاه واستعملت اسماً لوظيفة الكاتب الفني الذي يتولى رعاية هذه الأوراق وضبطها وتصنيفها وحفظها .

وفي القرن الثامن عشر للميلاد بدأ استعمال كلمة دبلوماسية بمعناها السياسي الحديث ، فأصبحت تطلق على الهيئة الرسمية التي توفرها الدولة ، للمفاوضة باسمها مع دولة اخرى في شأن من الشؤون المتعلقة بها .

وكانت العادة الجارية بين الحكومات : ان ترسل الحكومة وفداها او سفيرها الى الدولة الاخرى عند الحاجة اليه ، بحيث لم يكن لها سفراء دائمون ، والمعروف ان أول دولة عيّنت لها سفراء دائمين عند الدول الأخرى ، ووضعت لذلك نظاماً خاصاً ، هي جمهورية البندقية ، ثم اتبعتها الدول في ذلك وعم النظام ، وشاع استعمال كلمة دبلوماسية في تلك الهيئات الممثلة التي تتبادلها الدول ، وفي التقلم والوسائل التي توضع لها وتستعمل لانجاز مهماتها ، وكان ذلك في أواخر القرن الثامن عشر للميلاد .

وفي عام ١٨١٥ للميلاد وضع مؤتمر فينا نظاماً يتضمن ترتيب الوظائف الدبلوماسية ، فأصبح ذلك الترتيب متبعاً في جميع الدول ، فاول المراتب السفير ، وبعده الوزير المفوض ، ثم المبعوث غير العادي ، ثم الوزير ، ثم القائم بالاعمال ، ويلحق بهؤلاء موظفون من درجات أخرى ، وملحقون تجاريون وثقافيون وعسكريون وعاليون وغيرهم ، حسب اقتضاء المصلحة . وللممثل الدبلوماسي نظم ووسائل وحدود معينة بين الدول ، لا يجوز للممثل التجاوز عنها ، وله حقوق وحصانة تراعيها الدول ولا تسمح بالتجاوز عليها .

ولا تحضرني أسماء مؤلفات خاصة كتبت في هذا الموضوع عربية او
أجنبية ، وبممكنك الرجوع في البحث الى كتب دوائر المعارف ، ككتاب
دائرة المعارف للبستاني ، ودائرة معارف القرن العشرين للاستاذ محمد فريد
وجدي ، ودائرة المعارف الفرنسية ، ودائرة المعارف البريطانية ، ودوائر
المعارف الاجنبية الاخرى وهي كثيرة ، وبممكنك الرجوع الى الموسوعة
العربية المبصرة .

اما الاسلام فلم يكن له في موضوع الدبلوماسية نظام منفرد خاص
ولا تحديد معين ، ولكن انظمته العامة تشمله وتوجهه احسن التوجيه وتستثمره
اطبيب الثمر ، وكان الرسول (ص) يوجه السفراء الناطقين باسمه الى رؤساء
القبائل وزعماء البلاد ، ويعهد اليهم بحل بعض المشكلات التي تقع بينه وبين
هؤلاء على اساس مصلحة الاسلام ، ويستقبل السفراء والوفود الذين ترسلهم
القبائل اليه بهذا الصدد ، ويولي الامر ما يستوجب من الاهتمام ، ويؤتي
الرسل ما يستحقونه من الصيانة حتى يؤدوا مهمتهم ويبلغوا مأمنهم ، وفي
السيرة النبوية عدة من الشواهد على ذلك ، وكذلك في الحكومات الشرعية
بعد الرسول (ص) ، وهذا النوع من السفراء المؤقتين الذين يوفدون عند
الحاجة هو المعروف لدى الحكومات في تلك الايام .

اما السفراء الدائمون فقد ذكرت لك ان الدول لم تعرف هذا النظام
الا في القرن الثامن عشر للميلاد ، والاسلام لا يمنع منه ابدأ للحكومة التي
تقوم باسمه وتطبق نظاه ، ويحتم عليها اتباعه وتطبيقه اذا اوجبه مصلحة
المسلمين داخل البلاد أو خارجها ، وهو يمدّها فيه بالنظم المثالية الصالحة

التي تستمد من روحه وتبني على أصوله وفلسفته .
واقبست الدول المسلمة التي استلمت زمام الحكم منذ ذلك التاريخ
نظام الدبلوماسية الدائمة ، واخذت به على انه ضرورة دولية لا غنى عنها
لدولة محترمة ، وتبادلت السفراء والممثلين مع الدول الأعضاء ، ولم يخطر
- في اكثر الظن - ببال احداها ان تستنبيء الاسلام عن قولته في الموضوع ،
وعن نظامه الذي يعدّه له ، ولو أنها صنعت كذلك لافادت خيراً كثيراً ،
وليس هذا هو الموضوع الفريد الذي لم يسأل فيه عن رأي الاسلام .
وختاماً تقبل سلامي الكثير واحمل تحيائي لمن يعز عليك من الشباب
النجباء .

النفوس القلقة . علينا ان نستقبلهم بمطف . من شبهاتهم .
وما محمد الا رسول ، انزلت يوم أحد . تفسر الآية
وجواب الشبهة .

٢٢

بغداد - كلية الهندسة .

١٦ رمضان المبارك سنة ١٣٨٦ .

حضرة الكامل المهذب النجيب دام بمسرة :

سلام الله عليك ونحبته الكريمة ورأفته ورحمته ، وعلى خلطائك وخلصائك
من الشباب المؤمنين بالله الواعين دعوته المستضيئين بنوره ، وأسأله تعالى ان
يثبت أقدامكم وينير سبيل النشء بانارة بصائركم .

تحدثت الي في رسالتك عن بعض أصحابك من ذوي النفوس القلقة
والفكر الحائرة ، وهذه الفئة من الناس كثيرة العدد جداً ، ثم هي لا تزال
في زياد مستمر مع الايام ، وأكثر أعدادها من الشباب المساكين الذين
يفقدون التوجيه في بلادة الامر ثم يصرون لسبب او لغير سبب على ان لا
يتصلوا بموجه . يوضح لهم معالم الطريق .

من الشباب الذين يحرمون من نعمة التوجيه أولاً ، ثم تتلقفهم الافكار الموبوءة المنحرفة ثانياً ، ولعل هذا هو السرّ الذي يبعث لهم ان ياجؤا الى طبيب ثقة أمين يشفيهم من هذا الداء وينجيهم من أعراضه ، يكسبهم الطمأنينة ويزيل عنهم الشكوك .

نعم ، ومن سار في الطريق على غير رشد ، فأقل ما يلاقه الحيرة وأشد ما ينتهي اليه امره الضلال :

والقلق نقص كبير لا يقيم عليه ذو نفس سوّية ابداً ، ومغبته وخيمة شديدة وعلى الاخصّ اذا كان قلقاً في العقيدة ، فانه ينذر الانسان بالخطر ويعرضه لسوء المصير ، والعقل السليم يحتم عليه في ذلك أن يبحث وان يعرض شكوكه على الخبراء بمداواة الشكوك وازالة الريب ، ليعيش سعيداً فانه لا سعادة بل ولا حياة مع القلق .

ولكن اشاعة القلق هو السلاح القريد الذي تستخدمه بعض الفلسفات اليوم ، كما تحارب الدول الطائشة - لفرض سلطانها - بالغزوات الماسمة او الطاقات النووية ، ثم لا تأبه للملايين الضحايا من بني الانسان !! .

بني : لقد امتد الحديث بي وتشعب ، وقد أردت ان اقول : ان هؤلاء الشباب يستحقون الرثاء والرحمة منا ايها العزيز ولا يستوجبون المقت والزراية .

علينا ان نستقبلهم بابتسامة العطف ونشير لهم الى مواضع الأمن ، انهم قلقون خائفون ايها الحبيب ، وان كانت سؤالاتهم ومظاهرهم تدل على غير ذلك ، فهل تعدني ان تكون صلة بين من تعرفه منهم وبين الموجهين

في النجف او في غير النجف (ولأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس) كما يقول الرسول العظيم (ص) .

هل تعدني ان تبسم لمن تلقاه منهم ابتسامة تعرفه معنى الاخوة الحبيبة في الاسلام ، ثم تشير له بلهجة الناصح : ان يتصل ببعض المرشدين ويبحث لديه شكوكه دون تحرز ولا تحرج ، فليس من الخجّل ان يقول المريض لطيبه اني مريض ، وليس من العار ان يصف له داءه واعراضه ، وما اكثر المرشدين والحمد لله رب العالمين .

ولدي ، وقلت : ان ذلك الصديق الحائز القلق القمى اليك سؤالاً وانت تريد مني جوابه . يقول لك ذلك الصديق : انه لا يستطيع الاقتناع بان القرآن كتاب منزل من الله ، لانه قرأ في احدى سورته آية تقول : (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افاإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) وهي تدل على ان كاتب القرآن لا يعلم ان محمداً يقتل قتلاً او يموت موتاً طبيعياً ، فهل من المعتول ان يكون كاتب القرآن هذا هو علام الغيوب ؟ . والآية الكريمة التي يدور حولها السؤال هي الآية (١٤٤) من سورة آل عمران ، وقد انزلت يوم أحد ، يوم انهزم المسلمون عن رسول الله (ص) ولم يثبت معه من اصحابه الا النزر القليل ، وهتف هاتف بان محمداً قد قتل ، وفشا ذلك النبأ بين الناس .

فقال فريق من الناس : لو كان محمد نبياً لما قتل ، وقال جماعة : ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبي (وهو زعيم المنافقين في المدينة) فيأخذ لنا

اماناً من أبي سفيان ، وقال قوم : ان كان محمد قتل فارجعوا الى دينكم الاول ،
وتحير قوم لا يدرون ما يصنعون فجلسوا وألقوا بأيديهم ، ولعلها علامة
الاستسلام .

وقال جماعة وهم الصابرون الشاكرون : ان كان محمد قد قتل فان
رب محمد لم يقتل ، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله (ص) ؟ قاتلوا
على ما قاتل عليه الرسول وموتوا على امامات عليه ، وشد انس بن النضر
وهو يجهر بهذه العقيدة وقاتل حتى قتل . ولا اصيل في تفصيل الواقعة
وشرحها وبيان السبب في هزيمة المسلمين بعد ان كان النصر لهم بادية الامر ،
فكتب التاريخ وكتب السيرة النبوية تتضمن تفصيل ذلك وشرحه .

وعلى اي حال فهكذا كان . هزيمة نكراء واستسلام مخلول وارترداد
وانقلاب على الاعقاب ، أن سمعوا منادياً يرجف بان محمداً قتل .

وثبت الرسول (ص) . وثبتت معه القلة الشاكرة الصابرة من اصحابه ،
وتداعى القلول المنهزمون ، وتراجعوا الى الصخرة التي وقف عليها الرسول
لما علموا بانه لا يزال حياً لم يقتل .

وانزلت الآية الكريمة في عتاب من استحق العتاب ومدح من استوجب
المدح سجلاً ثابتاً الى يوم الدين .

(وما محمد الا رسول) والرسول بشر يجري عليه ما يجري على
سواه ، فليس من الغريب ان يقتل او يموت ، و (قد خلت من قبله
الرسول) وبعض الرسل من اسلافه مات وبعضهم قتل ، وشأن محمد شأنهم
فليس هو بخالد ولا دائم ، ولا بد من ان يلقي الفناء موتاً او قتلاً في يوم

من الايام ، والدعوة التي صدقتم بها محمداً باقية لا تنفنى ، ورب محمد الذي دهاكم الى توحيدهِ وعبادته والاسلام له حي لا يموت ، (افان مات) محمد (او قتل انقلبتم) انتم (على اعقابكم) وارتددتم عن دينكم ؟ (ومن ينقلب على عقبية) منكم ومن سواكم (فلن يضر الله شيئاً) ابداً ، فقد تنزه سبحانه عن ان يناله نفع او ضرر من احسد ، وسيلقى هو جزاء ارتداده وانقلابه على عقبية سعيماً وعذاباً مبيراً .

نعم ، (وسيجزي الله الشاكرين) الثابتين على الطاعة ، الذين لم تنزلزل اقدامهم ولم تتبلبل افهامهم .
اسمعت ايها العزيز ؟ .

ان الآية لم تخبر بان محمداً يموت موتاً او يقتل قتلاً ، وليست بصدد هذا ابداً ليقول صديقك ان هذا تردد ينافي العلم بالغيوب ، ولكنها تقول : ان محمداً بشر رسول سيلقى حمامه في يوم من الايام ، ولقاؤه حمامه ميتاً او مقتولاً لا ينقض دعوته ولا يبطل دينه .

على ان الآية انما ذكرت القتل لأنه النبأ الذي اشيع في ذلك اليوم وارجف به المرجفون ، وقد ذكرت معه الموت وقدّمته في السياق عليه ، فيكون ذلك اشارة خفية الى ان محمداً سيموت موتاً ، ولم تصرح به الآية الكريمة تصريحاً ، فقد شاءت الحكمة ان تخفي على العباد اسباب موتهم وآجالهم . هذا هو تفسير الآية الكريمة وهذه قصة نزولها ، وكل ذلك واضح لا لبس فيه ولا خفاء ، ثم هذا موضع الاشارة فيها ، وأي موضع بعد ذلك للتشكيك ؟ فليقرأها صديقك على ضوء هذا التفسير ، وليعد للسؤال اذا عاوده

الاشكال ، شريطة ان يترفع عن الرواسب والأهواء التي لاتليق بمنقف جامعي ،
شرطة ان يبحث القضايا ويناقشها نقاشاً موضوعياً لا ميل فيه ولا محاباة .
ونحنياي الكثيرة لك ايها العزيز ، ولمن يتصل بك من الشباب
النجباء وسلمتم .

ولينصرن الله من ينصره • توبة وقلق • يد الله مملودة
للتائب • الرواسب • الارادة القوية •

٢٣

بغداد - تل محمد - المعهد الصناعي العالي . ٢٥ رمضان المبارك سنة ١٣٨٦

حضرة الكامل المذهب دام بخير .

تحية مباركة وشوقاً بالغاً ودعاء خالصاً .

ولدي : ما زالت رسائلك تحذني بسعبك المشكور ، وعملك الدائب
في خدمة دينك ، واسعاد إخوانك من الشباب الأنجاب ، وتوجيههم الوجهة
الصحيحة في عقائدهم ، وهدايتهم الى السلوك الرضي في اعمالهم ، وما
زلت أسأل الله لك المدد الوافي من توفيقه والقبس المنير من هدايه والحصن
الحافظ من رعايته ، وان يكثر في ابنائنا من امثالك ، ممن يعرفون واجبهم
لدينهم فيقومون بنصره ، ويجهدون لرفع مناره ، يرشدون به السالكين
ويضيئون به السبيل للخاططين .

اما نصر الله الذي وعد به من نصره من المؤمنين فانك - ولا ريب -
قد لمست من أثره الشيء الكثير ، نعم ، وسترى من ذلك ما هو اكبر

واكثر كلما تهادى بك السير في هذا السبيل ، ومهما تمحض منك الاخلاص في السعي .

انه عهد قطعه الله على نفسه يوم قال : (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز) . (٤٠ : الحج) ويوم قال : (يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) . (٧ : محمد) ومن اوفى بعهده من الله ؟ .

وذكرت لي في رسالتك الاخيرة المؤرخة ١٣٨٦/٩/١٣ حديثاً جديداً لصديق جديد .

قلت : ان هذا الصديق رجلك ان توقظه لصلاة الصبح ليصلبها ثم ليستمر عليها ، وهكذا صنعاً ، فابقظته وصلى ثم استمر على اداء الصلاة بعد ذلك اليوم ، وهل شهر الصوم بعد ذلك فصام ، ولم تجد منه اي انحراف : وهذه القطعة من الحديث تدل على دعوة منك مخلص ، حبيت اليه الصلاة والصيام والقيام بمراسم الاسلام ، وهي كذلك حبيبة الى الله سبحانه ، ومن اجل ذلك حققت الاثر المرغوب .

ثم قلت : ولكنه ناداك في يوم من ايام الشهر المبارك وعيناه باكبتان وقلبه مفجوع ، ووضع امامك عدة رسائل وصورتين لبنتين ، واعترف بين يديك بماض أسيف ، قال لك : انه حطم نفسه منذ ستين باتباعه سبيل الشياطين ، وانه قاسى ما قاسى نتيجة ابتعاده عن الدين ، فهذه رسائل الحب ، وهاتان صورتا التزميلتين ، ومن وراء ذلك ما يعلمه الله وحده مما أشار اليه ولم يبيع به .

ومعنى ذلك ان صديقك قد احلّك من نفسه منزلة المرشد الموثوق
الأمين ، فهو يطلعك على مكنوم سره ، ويستنصحك في حل مشكلته
ويسترشدك الى سبيل نجاته .

وقلت : انه قام امامك بتمزيق الرسائل كلها الا واحدة ابقاها
ليسحب بها رسائله من صاحبيه ، وقد اودعها لديك مؤقتاً .
فاذا تدل عليه هذه الظواهر والاعمال ؟ .
انها تدل على صدقه ايها العزيز .

نعم انه صادق ، وكل هذه شواهد على صدقه ، فدهوع عينيه ولوعة
قلبه ولهفته في الحديث واطلاعه اياك على الرسائل والصورتين ، وتمزيق
الرسائل بين يديك ، كل هذه شواهد واضحة على صدقه في دعواه وصدقه
في غايته .

وحتى ابقاؤه الرسالة الواحدة ودبعة عندك ، انه يريد ان يكون بعيداً
كل البعد عن قراءتها وعما فيها من مؤثرات ومثيرات .

انه صادق في دعواه - ايها العزيز - صادق في غايته ، والتائب
الصادق في توبته ليس بينه وبين الله حجاب ، واقرأ معي قوله تعالى :
(انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ،
فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً) . (١٦ : النساء) وقوله
تعالى : (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا ، فقل : سلام عليكم ، كتب
ربكم على نفسه الرحمة ، انه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده
وأصلح فانه غفور رحيم) ، (٥٤ : الانعام) وقوله تعالى : (. . . الا

من تاب وآمن وعمل صالحاً ، فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفوراً رحيماً) ، (٧٠ : الفرقان) .

وهذه الحيرة التي قلت : انها تبدو عليه وتلقى ضميره ، ويرى انها مشكلة تطلب الحل وقتنضي العلاج ، اليس دليلاً على صدقه في التوبة ؟ ، انه لو لم يكن نائباً على وجه الحقيقة لما حذر هذا الحذر الشديد ان لا يكون مقبولاً .

قل له : انه مقبول التوبة مغفور الذنب ما دام مخلصاً في توبته مقبلاً على ربه ، وعلامة اخلاصه التوبة اقلاعه عن المآثم والمحارم اقلعاً عملياً كاملاً يؤمنه غضب ربه ، وقيامه بالواجبات قياماً تاماً يحرز له رضاه ، اما الرواسب التي يقول : انها لا زالت باقية ، فسزول وتمحي آثارها ، اذا تمسك بهذه الصلة وعمل على صيانتها ودأب على تقويتها وتثميرها .

سزول هذه الظلمات وتبدد اذا سلطت عليها انوار المعرفة بالله ومرشد دينه وأشعة تقواه .

ورواسب سنين قد مهتدت لما دفعة الشباب وانطلاقة الحضارة المائنة ، حتى مرنت عليها النفس ومردت عليها الارادة ، لاهتلع جذورها بين عشية وضحاها .

وواجب المسلم التائب المقبل على ربه ان يحذر كل الحذر من ان يسلم اليها قياده او يعمل على تنميتها وتغذيتها .

عليه ان يهملها ويهمل التفكير فيها ، فان التفكير فيها نحو من التغذية لها ، ويلجأ الى الله في الاستعانة عليها ، وسيرى من عون الله ما يصدق

عنه كل عادية ويكفيه كل مهمة .

وحتى اذا انزلني في ساعة من ساعات ضعفه ثم قام نادماً ، ومدّ بصره الى الله خجلاً ، وطلب منه الصفح والمغفرة ، فان الله يقبل عنده ويقبله عنثته (ومن يعمل سوءاً او يظلم نفسه ثم يستغفر الله ينج الله غفوراً رحباً) ، (١١٠ : النساء) .

اما التناقض الذي يخشى صديقك ان يقع فيه : التناقض بين توبته وصلاته وصومه وبين الرواسب التي يشعر بها وهي تنزع به الى عمله القديم ، اما هذا التناقض فأنما يُخشى منه اذا بلغ الى دور العمل ، بحيث لم يملك زمام امره واستطاعت الرواسب ان تدفع به او تقربه الى هاويته الاولى :

اما اذا كانت الرواسب شعوراً محضاً ، واستطاع هو ان يتغلب عليها بقوة الايمان ، فلم تملك قياده ، ولم تدنس ايمانه ، ولم تؤثر عليه فقد قلت لك من قبل انها لا ضير فيها ، ووصفت ما يتدرع به المسلم عنها ومبا يجب ان يقوم به ازاءها ، وقبل كل اولئك وبعده (ان الله يحب التوابين ويجب المتطهرين) ، (٢٢٢ : البقرة) .

ولدي وقلت لك : ان رواسب سنين مهتدت لمادفة الشباب وانطلاقة الحضارة لا تقتل جلودها بين عشية وضحاها ، ولست أعني ان هذه المخلفات عصبية الاقتلاع الى درجة بعيدة . فان الارادة القوية الفعالة لا يعسر عليها ابداً ان تحسم الداء وتبيد الجرثومة وتستأصل الجذور في اقل فرصة ممكنة ، وخصوصاً اذا كان مالك هذه الارادة القوية ممن عرف الله واستبان هداه وتذوق طعم طاعته ، وعلم عظيم اخذه للعاصين وشديد نكاله بهم ،

وأيقن ان ارتكاب مساخط الله يهدده بالويل وينذر به البوار .
والإرادة القوية احدى الركائز المهمة التي يفتقر اليها الانسان في اعلاء
شخصيته وانماء مواهبه واسعاد مستقبله وتصميم اعماله وتنفيذ خططه ،
والانسان السّوي يربأ بنفسه ان يكون ضعيف الارادة ازاء اي مؤثر واي
وازع ، ويعدّ ضعف الارادة نقصاً كبيراً في انسانته قبل ان يكون خطراً
ماحقاً لمستقبله ، فلا بد له من العمل لتقوية ارادته قبل ان يبدأ اي عمل وقبل
ان يرسم اي خطة .

فليبادر صديقك للعمل الجاد لوضع حد لهذه الرواسب ، وليثبت
لنفسه ولضميره قبل ان يثبت لك انت : انه قوي الارادة حقيق بهذه الصفة
التي تنرقف عليها سعادته في حاضره ومستقبله ، (وقل اعملوا فسيرى الله
عملكم ورسوله والمؤمنون وستردّون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما
كنتم تعملون) (١٠٥ : التوبة) .

وختاماً تقبل تحياتي الوافرة لك ولصديقك وان يعز عليك .

الشعور بالمسؤولية . عدة المؤمن في دعوته الى الله . البشارة
باسلام تلميذين . الوصية بها .

٢٤

بغداد - أبي غريب - كلية الطب البيطري :
الشاب المذهب النجيب ٠٠٠٠٠ دام بسرور وغبطة .
تحية مباركة وسلاماً وافراً وشوقاً متجدداً ودعاءً كثيراً ان يرني الله
فيك ما احب ويوفقك للقيام بما يجب .
لقد سررت جداً برسالتك ايها العزيز وملكت مشاعري بالتقدير
والاعجاب بك ، وسألت الله سبحانه ان ينظرك بعينه ويغمرك بفضله ، وان
يأخذ بيدك الى الخير الاعلى والحياة الفضلى ، وان يكثر في الابناء النجباء
من امثالك ، ممن يشعر بالواجب لربه والمسؤولية لدينه : لعقيدته التي يؤمن
ولمنهجها التي يستمسك ولجتمعه الذي يعيش .
والشعور بالمسؤولية هو الشرط الاول والاكبر من الشرائط التي يجب
ان تتوفر في كل داعية للحق ، وبمقدار قوة هذا الشعور في الداعية المؤمن
يكون اضطلاعه بالمهمة ويتقدر فوزه فيها ، بل وبمقدار قوة هذا الشعور

في الداعية المؤمن يكون مدده بالتوفيق للجهاد لنيل الغاية ، وتيسير السبل اليها وتذليل العقبات دونها ، فان التوفيق والتسديد من الله لا يكال جزافاً ولا يعطى محاباة ، ولكن على قدر مؤهلات في نفس العهد وهلى وفق قوانين يجب ان يتبعها في سلوكه .

ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة تلق النجاح في دعوتك .
واعضه الاخلاص في ذلك تجد التوفيق منه ينبر لك السبيل ويبسط لك الدليل .

وأخلص في النصيحة لمن تدعوه تجد قلبه وعقله ومشاعره قد تفتحت لنصائحك وتطوعت لقبول اقوالك .

والابتسامة المؤمنة والخلق المسلم والحب الالهي الطاهر - هذه العدة التي يجب ان يتزود بها كل داعية لدين الله - تذلل لك كل صعب وتمهد لنصيحتك في كل قلب .

والارادة القوية المؤمنة الطيعة لأمر الله ، المرنة في اتباع مناهجه هي التي تصنع كل اولئك .

والعلم بالحق والشعور بالمسؤولية له ، هما اللذان يطوعان الارادة ويزودانها بالعدة ويجتذبانها لنصرة الحق ويشعرانها بالتلذذ بالتضحية في سبيله .

والعون قبل ذلك وبعده من الله القوي الغالب ، الذي جعل العزة للمؤمنين وضمن النصر للمجاهدين ، واتل معي قوله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع الحسنيين) ، (٦٩ : العنكبوت) .
وصلتني رسالتك وقرات فيها بشارتك التي زففتها لي باسلام تلميذين

من زملائك في الكلية غير المسلمين ، فحمدت الله على هدايتها ، وسألته ان
يثبت قدميهما وان يهتئها دين الحق الذي اتبعاه ويبسط لها من بركاته وبفضله
حياتها بنوره .

ولدي : هل لي ان أوصيك وأوصي زملاءك المؤمنين بهما ما يستوجبان
من الخير والبر ، وما يشعرهما بالاخوة الصادقة في دين الله والحب الطاهر في
ظل الإيمان به ، وما يعلمهما كيف تكون الصلات الحقيقية تحت مناهج
الاسلام ؟ . هل لي ان أوصيك وأوصي زملاءك الأحباء بفتح القلوب لها
والسعي لتذليل العقبات التي تعترض سبيلها ؟ .

نعم فلا بد وان تعترضها في هذه الآونة عقبات ، ومن الضروري ان
يتهيأ لها انصار يؤازرونها في ازالة هذه العقبات ، ومن أحق منكم ايها
الاعزاء بان تكونوا من انصار الله ١٢ .

ثم هل لي ان تبلغها عني اسنى تحياتي واجمل تهاني وأجزل دعائي ،
وان تنبئها اني مستعد لاجابتهما عن اي سؤال وأية شبهة حول الاسلام ؟ ،
وعرفها عنواني اذا ارادا ذلك .

وختاماً ازف اليك تحياتي والى من يعز عليك من الابناء النجباء .
والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته .

صلة المسلم بالمسلم . لماذا تخصص الشيعة ميراث الزوجة
بالفروع ؟ . لم تلتزم الشيعة في موضع الجبهة في السجود أن
يكون من الأرض او ما انبثت ؟ . حديث مع أخ من أهل
العلم . السجود على التربة الحسينية .

٢٥

المملكة العربية السعودية - الدمام . ١٧ شعبان سنة ١٣٨٤ .
حضرة الماجد الأمثل الاديب الاستاذ عبد الرحمن اليوسف المحترم .
تحية الاخوة في الله ، وتكريم الحب في دينه ، والتأزر لاعلاء كلمته ،
والتناصر في ابتغاء مرضاته ، وتجلية الاسلام العظيم الذي جمع بين قلوب
اهله على الهدى ، وألزمهم كلمة التقوى .
اخى الكريم : ما اوثق هذه الصلة التي شد الله بها المسلم الى المسلم
وربط بها بين قلوبهما ، وألف بين روحيهما ! ، ما أوثقها ! وما أبقاها على
الايام ! ، وما أشدها على الطوارئ والعوادي ! ، انها ثابتة دائمة ما بقي
الاسلام دين الحياة ، وما ثبت القرآن كتاب الخلود ، ما دام الاسلام
والقرآن يمدانها بالقوة ، ويصلانها بحب المسلم لربه وحبه لرسوله وحبه لكتابه .

ما أوتق هذه الصلة ! وما احلاها في القلوب المؤمنة ، المطمئنة بالحق
المشرقة بنوره المطبوعة بسماته ! وما اجمل التفاهم في ظل هذه الأخوة النقية
والحب الاسلامي الطاهر المكين ! ، والقلوب التي تنطوي على هذا الرصيد
من الايمان البصير لا تحمل حقداً ، ولا تدينها ضغينة ، ولا يميل بها
هوى ، فان الايمان الواعي ظهور للقلوب من الضغائن ، نعم ، والقلب
الذي تنقله السخائم وينطوي على الغلّ أبعد القلوب عن الايمان الصحيح ،
وان أغرق صاحبه بالدعوى الطوال العراض ، ومن أجل ذلك كانت هذه
إحدى الدرجات التي يستكمل بها المتقون إيمانهم ، وإحدى الامنيات التي
يرفعون أيهم خاضعين الى ربهم ان يلبّغهم اياها ويقوّيهم عليها ، فيقولون
كما علمهم الكتاب الكريم : (ولا نجعل في قلوبنا غيلاً للذين آمنوا ربنا
انك رؤوف رحيم) ، (١٠ : الحشر) .

اخى الكريم :

وصلتني مسائلك مع الخطيب الفاضل الأخ الشيخ عبد الأمير بن منصور
الجمري - حفظه الله - فاجتليت من صيغتها ذهننا ناقداً ، وثقافة واعية ،
وابصرت من خلالها روحاً مسلماً ، يتطلع الى أقوال اخوانه من دعاة
الايمان وحلة القرآن ويتدبر مواضع اختلافهم معه في الرأي يلتمس
وجوهها الصحيحة من مصادر الاسلام ، ومنابع التشريع فيه ، تنزيهاً
للمسلمين ان يقولوا في دينهم بغير حق ، او يسيروا في مذاهبهم وآرائهم
بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

وصلتني مسائلك ، وقد حتم تراكم الاعمال علي ان اتأخر في الجواب

مدّة تدبف على شهر ، فإليك معلرتي مع بالغ تقديرى .
سألت أولاً عن ميراث الزوجة : لماذا تخصّصه الشيعة في الفروع
مع أن الآية الدالّة على ميراثها عامّة لا اشعار فيها بالتخصيص ، فقد قال
سبحانه : (ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد ، فان كان لكم
ولد فلهنّ الثمن مما تركتم من بعد وصيّة توصون بها او دين) ، (١٢ : النساء)
هكذا ، لمن الربع او الثمن مما تركتم ، ولم يستثن منه الا الوصية والدين
وهو على غرار قوله تعالى في أول الآية الكريمة في بيان ميراث الزوج :
(ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد ، فان كان لهن ولد
فلكم الربع مما تركن ، من بعد وصيّة يوصين بها أو دين) ولا تخصيص
في الآية في كلا الموضعين .

وتوطئة للجواب أود أن أشير إلى أمرين جديرين بالاهتمام ، وكلاهما
غير خفي عليك ، ولكنني اذكرهما هاهنا لنستحضرهما في الجواب ، وسأذكر
الأمرين على وجه الاجمال ، وبوسع اخي الكريم ان يعرفني إذا كان يرغب
في التفصيل .

الأمر الأول : ان تخصيص العمومات الواردة في الكتاب الكريم لا
يجب ان يكون المتكفّل ببيانه هو الكتاب الكريم ذاته ، وكذلك تقييد
مطلقاته وشرح مجملاته ، لا يجب ان يكون المتكفّل ببيانه هو الكتاب
ذاته ، فكثيراً ما يأتي تخصيص عموم الكتاب وتقييد مطلقه وبيان مجمله من
طريق السنّة المطهرة ، ولا خلاف في ذلك - حسب ما اعتقد - بين
علماء المسلمين .

واكثر ما ورد لظواهر الكتاب الكريم من تخصيص او بيان فانما ورد من هذا السبيل ، وندر ان يوجد باب من ابواب الفقه الاسلامي لا تعمل فيه هذه القاعدة ، ولو مرة واحدة على أدنى التقادير .

ومن شواهد ذلك في ابواب الفرائض : ان الآيات الكريمة ذكرت الوراث الذين توزع عليهم تركة الميت من أبناء وآباء وإخوة وأخوات وأزواج وأولي ارحام ، وأشارت الى استحقاقهم من التركة ، والى مقادير سهامهم اذا كانوا من اهل السهام ، والى قرابتهم اذا كانوا يرثون بالقرابة ، ذكرت كل اولئك على سبيل الاطلاق ، ثم قيّد هذا الاطلاق - عن طريق السنة - بما اذا لم يكن الوارث كافراً يرث من مسلم .

فقد اخرج مالك والبخاري ومسلم عن اسامة بن زيد ، قال : قال رسول الله (ص) : لا يرث الكافر المسلم . .

واخرج الكليني في الكافي والشيخ الطوسي في التهذيب عن الامام جعفر بن محمد (ع) : المسلم يحجب الكافر ويرثه والكافر لا يحجب المؤمن ولا يرثه ، واخرجنا عن الامام محمد بن علي الباقر (ع) : ان الله عز وجل لم يزد (اي المسلم) بالاسلام الا عزاً ، فنحن نرثهم ولا يرثوننا .

وقيّد الاطلاق مرة اخرى - وعن طريق السنة المطهرة كذلك - بما اذا لم يكن الوارث قاتلاً للمورث :

فقد اخرج ابو داود والبيهقي عن ابن عمرو قال : قال رسول الله (ص) : ليس للقاتل من الميراث شيء .

واخرج الكليني والطوسي في كتابيهما المتقدم ذكرهما قول الرسول (ص) :

لا ميراث للقاتل .

وعلى اي حال فهذا أمر في منتهى الجلاء لمن نظر في ادلة الاحكام .

* * *

وثاني الامرين الذين أردت تقديمهما ، وقلت لك انها جديران بالاهتمام :
ان الشيعة تقول بإمامة الأئمة الاثني عشر من أهل البيت ، وبعضهم من
الآثام ، وتطهبرهم من الرجس ، على حدّ تعبير الكتاب الكريم ، وادلة
الشيعة على هذا القول غفيرة وفيرة ، وهذا القول هو المأثر الجلي الذي
تعرف به الشيعة الإمامية من بين سائر اخوانها من فرق المسامين .

ومن نتائج قول الشيعة بإمامة الاثمة ، واعتقادها بعصمتهم أنّها
توقن بان هؤلاء المعصومين لا يقولون ابداً الا بقول جدّهم الرسول (ص) ،
ولا يحيدون عنه قيد أنملة ، فاقوالهم مصدر من مصادر السنة ، ومرجع
من مراجع علم الكتاب ، وليست على حد اقوال العلماء المجتهدين قائمة على
الاجتهاد ومقبسة بالنظر ، فقد اغناهم الله بالتسديد والعصمة عن ذلك .

ومن اجل ذلك فاذا صحّت عن احدهم (ع) رواية ينخصّص بها
عموماً ورد في الكتاب او يقيّد بها اطلاقاً او يبيّن مجملأً ، فان الشيعة
تأخذ بتلك الرواية ، وتخصّص بها ذلك العام وتقيّد المطلق ، لانها تعتقد
يقيناً ان شأن تلك الرواية شأن الاحاديث الثابتة الصحّة من قول الرسول (ص) ،
فهم الحفظة المأمونون على السنة المطهرة .

وعلى اقل الاحتمالات فالرواية الثابتة بطريق احدهم لا تقل عن
رواية صحيحة يروونها أحد الصحابة العدول عن جدّهم الرسول (ص) .

اخي الكريم : هذان هما الأمران اللذان رغبت ان اقدمهما اليك ،
لنستحضرهما عند البحث في جواب السؤال ، وقد اكتفيت فيهما - كما
وعدتك - بالاشارة ، وخصوصاً الامر الثاني منها ، فانه موضوع طويل ،
وقد كتبت فيه مئات المؤلفات .

وعذري الى اخي اولاً : انني احرّر له رسالة لا أولّف كتاباً .
وعذري اليه ثانياً : ان الامرين لم يكونا مقصودين بالاصالة ، وانما
ذكرتهما تمهيداً للجواب .

وبعد هذه التوطئة اقول :

ان الآية الكريمة الدالّة على ميراث الزوجات وان كانت عامّة كما
ذكر في السؤال ، ولكننا روينا من السنّة الصحيحة من طرق اهل البيت (ع)
ما يخص هذا العموم ، فقد صحّّ باسانيد كثيرة عن الباقر والصادق (ع)
انها قالوا : ان المرأة لا ترث من تركه زوجها من تربة دار أو أرض ،
الا ان يقوم الطوب والخشب قيمة فيعطى ربعها او ثمنها ان كان ، من قيمة
الطوب والجذوع والخشب .

وفي الصحيح عن محمد بن مسلم عن الباقر (ع) : لا ترث النساء
من عقار الارض شيئاً . الى غيرها من الاحاديث الصحيحة والموثقة .
واشير مرّة ثانية الى أن اقوال الأئمة - عند الشيعة - انما هي أحاديث
جدّهم الرسول (ص) ، لا يجبدون عنها قيد اعملة .

وقد اخرجت جوامع الحديث المعتمدة لدى الشيعة ، كالكاافي ، ومن
لا يحضره الفقيه ، والتهذيب ، والاستبصار ، والوسائل ، عن ميسرة بن

عبد العزيز ، وهو أحد أصحاب الامام محمد بن علي الباقر (ع)
الثقات ، عن الامام جعفر بن محمد (ع) ، قال ميسرة : سألته عن
النساء : ما لهن من الميراث ؟ .

قال (ع) : لهن قيمة الطوب والبناء والخشب والقصب ، اما
الارض والعقار فلا ميراث لهن فيها .

قلت : فالثياب ؟ .

قال : الثياب لهن نصيبهن منها .

قلت : كيف صارذا ، ولهذه الثمن ولهذه الربع مسمى ؟ .

قال (ع) : لأن المرأة ليس لها نسب ترث به وانما هي دخيل عليهم ،
وانما صار هذا كيلا تزوج المرأة فيجيء زوجها او ولدها من قوم آخرين
فيزاحم قوماً في عقارهم .

وبمقتضى دلالة هذه الاحاديث الصحيحة الكثيرة الواردة من طريق
اهل البيت عن جدهم (ص) ، فقد ذهب اكثر فقهاء الشيعة الى حرمان
الزوجة من الارض ، فلا ترث من عينها ولا قيمتها ، وتعطى ربعها او
ثمنها من قيمة الآلات والابنية الموجودة في الأرض ، ومن سائر الاموال
الاخرى التي تركها الزوج .

* * *

أخي : وسألت ثانياً : لم تلزم الشيعة في موضع الجبهة - وهي احد
المساجد السبعة التي يجب عليها السجود - ان يكون من الارض او مما
أنبتته ، عدا المأكول والملبوس والمعدن ؟ .

وعبارة هذا السؤال محتملة لاحد وجهين :

الوجه الاول : ان يكون المراد منه : لماذا اشترطت الشيعة هذه الشرائط في موضع السجود ، فمنعت من السجود على غير الأرض ونباتها ، ومنعت من السجود على المأكول والملبوس من النبات ، وعلى المعدن وشبهه مما خرج عن اسم الارض ، وان كان في الاصل منها ؟ .

الوجه الثاني : ان يكون المراد منه : لماذا خصصت الشيعة موضع الجبهة بهذا الاشتراط ، دون سائر الاعضاء الاخرى التي يقع عليها السجود ، فاجازت ان تقع الكفَّان والركبتان وابهاما القدمين في حال السجود على الصوف والقطن والقير ، وأمثالها مما هو من غير الارض ، او من المعدن ، او من نبات الارض المأكول او الملبوس للانسان ، اجازت ذلك اذا وضعت الجبهة على شيء يصح عليه السجود ؟ .

قد يكون المراد من السؤال هو الوجه الأول ، ولعل هذا هو الظاهر منه ، وادلة الشيعة على هذا القول كثيرة .

فن ادلتهم احاديث مستفيضة وردت من طرق اهل البيت عن جدِّهم الرسول (ص) صريحة في الدلالة على ذلك ، ووفرة من هذه الاحاديث صحيحة الأسانيد ، فقد اخرجت الكتب المعتمدة بسند صحيح عن هشام بن الحكم ، عن الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) ، قال : السجود لا يجوز الا على الارض او ما انبتت الارض ، الا على ما أكل أو لبس . واخرجت بسند صحيح كذلك عن زرارة بن اعين ، عن الامام محمد

ابن علي الباقر (ع) :

قال زرارة : قلت له : أسجد على الزفت (يعني القير) ؟ .
فقال : لا ، ولا على الثوب الكرسف ، ولا على الصوف ، ولا
على شيء من الحيوان ، ولا على طعام ، ولا على شيء من ثمار الارض ،
ولا على شيء من الرياش .
الى روايات عديدة تشبه هاتين في صراحة الدلالة وفي علو الاسناد ،
وروايات كثيرة أخرى من الموثق ومن الحسن تؤكد الحكم وترفع
اللبس عنه .

ومن أدلتهم على هذا القول : ما أخرجه الحاكم في الاربعين ، والبيهقي
في كتاب السنن الكبرى ، في باب الكشف عن الجبهة في السجود ، وأخرجه
الشوكاني في كتابه نيل الاوطار ج ٢ ص ٢٦٨ ، عن خبّاب بن الارت :
قال : شكونا الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حر الرمضاء في
جباهنا واكفنا فلم يشكنا .

انظر ايها الاخ الكريم ، لماذا يشكو الاصحاب الى رسول الله (ص)
حرّ الرمضاء اذا صح لهم السجود على الثياب والبسط وأمثالها مما يقيهم حرّ
الرمضاء ؟ ! ، وهب انهم لم يعلموا ذلك فكيف لم يشكّهم الرسول (ص) ؟ ،
وقد أخرجه مسلم في صحيحه ايضاً ، ولكنه لم يذكر الجباه والاكف (انظر
ص ١٠٩ من الجزء الثاني ط محمد علي صبيح) .

وما أخرجه البيهقي في الباب المتقدم ذكره ، ورواه النسائي في باب
تبريد الحصى للسجود عليه ، والامام أحمد (ص ٣٢٧) من مسنده : عن
جابر بن عبد الله ، قال : كنّا نصلي مع رسول الله (ص) الظهر ،

فناخذ قبضة من حصى في أكفنا لتبرد حتى نسجد عليه من شدة الحر .
وما أخرجه البيهقي عن انس بن مالك : كنا نصلي مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في شدة الحر فيأخذ احدنا الحصباء في يده ، فاذا برد
وضعه وسجد عليه .

والواقع ان دلالة هذه الصحاح على الحكم وافية كافية ، فقد كان
الاصحاب في سعة من السجود على الحصى الملتهب بحرّ الرضاء ، وكانت
لهم مندوحة بالسجود على غير الارض ونباتها ، وعلى النبات الملبوس لو
كان ذلك مما يصح ، كانت لهم بذلك مندوحة عن الشكاية الى الرسول ،
وعن معالجة الحصى الملتهب بالاكف ، وهو أمر يذهب بخشوع الصلاة ،
الأمر الذي عرف به الرسول (ص) وصحابته المكرّمون (رضي الله عنهم
اجمعين) .

وفي سنن البيهقي عن عمر بن الخطاب : مطرنا من الليل فخرجنا
لصلاة الغداة فجعل الرجل يمر بالبطحاء ، فيجعل في ثوبه من الحصباء
فيصلي عليه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك قال : ما احسن
هذا البساط ! ، فكان ذلك اول بدء الحصباء .

وفي صحيح مسلم (ص ١٠٩) من الجزء الثاني ط محمد على صبيح ،
وفي سنن الدارمي (ص ٣٠٨) في باب الرخصة في السجود على الثوب
في الحر والبرد ، عن انس بن مالك قال : كنا نصلي مع رسول الله في
شدة الحر ، فاذا لم يستطع احدنا ان يمتكّن جبهته من الأرض بسط ثوبه
فصلى عليه ، ورواه النسائي وأورده البيهقي عن الجماعة .

اخي : أ رأيت ؟ هذا هو عمل الصحابة : السجود على الأرض ،
الآ عند الضرورة ، وهذا هو بذاته قول الشيعة ، وواضح ان الضرورات
أما تقدر بقدرها .

الى أحاديث أخرى ، تروى بها الصحاح والمسانيد ، وكأنها دالة عليه .
ومن أدلة الشيعة على قولهم : ان السجود عبادة شرعية يجب ان
يؤخذ فيها بما ثبت يقيناً من عمل الرسول (ص) ، وقد اتفق المسلمون
كافة على أنه (ص) سجد على الأرض ، وسجد على الحصر وأمثالها من نبات
الأرض غير المأكول ولا الملبوس ، ثم اختلف المسلمون فيما سوى ذلك .
ومقتضى الاحتياط في الدين ، أن يؤخذ بما اجمع المسلمون على ثبوته
وصحته عن الرسول (ص) ، ويتوقف في ما عداه حتى يثبت بدليل
قاطع ، تحصيلاً لليقين بامتنال امر الله بالصلاة .

ويبدو أن سائر مذاهب المسلمين يقولون بنذب السجود على الأرض
أوما أنبتت ، قال في كتاب البحر الزخار (ص ٢٢٥) : مسألة ، ونذب السجود على
الأرض او على ما انبتت الأرض لقوله (ص) : (جعلت لي الأرض مسجداً) .
هكذا يفتي هذا العلامة الضليع بنذب السجود على الأرض ونباتها على
وجه الاطلاق ، ولا ينسب الحكم به الى مذهب معين من مذاهب المسلمين .
اخي : وههنا وبمناسبة هذا الأثر الشريف : (جعلت لي الأرض
مسجداً وطهوراً) الذي ذكره في البحر الزخار والذي أطبق على روايته
وصحته عن الرسول جميع فقهاء المسلمين ، أتذكر حديثاً جرى لي مع اخ
من اهل العلم عام ١٣٨٠ للهجرة .

كان هذا الأخ الى جانبي في المسجد النبوي الشريف ، ورآني قد
افترشت مصلّى من الأسفل الهندي لأسجد عليه ، فقال لي نَصَرَ الله وجهه:
ما بال اخي يصلي على الأسفل ؟ ولماذا لا يسجد على هذه (وأشار الى
الطنافس التي كست ارض المسجد) ؟ .

فقلت : لاني لا استبيح السجود على الصوف .

فقال : وعلى اي المذاهب تقول هذا ؟ .

فقلت : وما شأن المذاهب هاهنا يا اخي ، ونحن بين يدي صاحب

الرسالة (ص) ، فلماذا لا نرجع الى ما يقول ١٢ .

فاستحسن كلمتي وابتم ، ثم قال لي : وما يقول صاحب الرسالة
في هذا السبيل ؟ .

فقلت : يقول (ص) في حديثه المستفيض أو المتواتر بين جميع علماء
الحديث من المسلمين : جعلت لي الارض مسجداً وطهوراً .

وكلمة المسجد في اصل مدلولها تعني موضع السجود ، وبهذه المناسبة
أطلقت على الموضع الذي يعين للصلاة في عرف المسلمين ، لأن الصلاة
افضل العبادات التي شرّع فيها السجود ، ولأن السجود أظهر أحوال
الصلاة في التعبد ، وابلغها في الخضوع .

واذن فالحديث الشريف يدل أولاً : على ان الارض هي موضع
السجود ، وبديل ثانياً : على ان الأرض كلها موضع للصلاة ، (فاعلم
رجل من الأمة ادركته الصلاة فليصل) ، كما اخرج به البخاري في تنمة
الحديث .

ثم علمنا بإجماع المسلمين ، وبالصحيح المستفيض أو المتواترة من السنة
كذلك : ان الرسول (ص) صلى على نبات الارض غير المأكول ولا
الملبوس ،

فالثابت لنا من قول الرسول ومن فعله ، انما هو السجود على الأرض
ونباتها الذي لا يؤكل ولا يلبس ، وعلينا ان ندع ما سواه لانه مشكوك الثبوت .
فقال - وهو يادي الموجدة - : وعلى قولك هذا ، فهل نحكم بالخطأ
على مذاهب المسلمين التي أبحاث ذلك ؟ ! .

فقلت : على رسلك ايها الأخ ، ان هذه نظرة ضيقة يترفع عنها
أمثالك من أولي العلم ، الذين عرفوا مرونة الاسلام وسعة آفاقه ، وعلماء
المذاهب مبرورون مشكورون ، محمولون على أفضل محامل الخير ، انهم
يجتهدون ، والمجتهد الذي يتفياً في اجتهاده ظلال الاسلام ، ويتبع اصوله ،
ويترسم مناهجه ، ويتوخى الادلة الصحيحة في تعرف احكامه ، لاشك
في عذره ولا ريب في أجره ، وقد ثبت بالادلة ان له اجرين كاملين اذا
هو أصاب ، واجراً واحداً اذا أخطأ ، وبعد فانتا قد تجنبنا ذكر المذاهب
في اول حديثنا ، فما بال أخي يرغب ان يعود بنا اليه .

فضحك صاحبي ضحكة طويلة ، ثم صلينا وردنا وودعته بعد ذلك
محمداً .

• • •

أخي : وقد تريد من السؤال : لماذا خصصت الشيعة موضع الجبهة
وحده بهذا الاشتراط ، من بين سائر الاعضاء التي يقع عليها السجود ؟ .

ووجه التخصيص واضح لا يخفى على أمثالك ، ومن أجل وضوحه
 فإني أستبعد أن يكون هو المراد من السؤال ، وإنما أذكره انا لمجرد الاحتمال .
 والوجه في ذلك : ان الجبهة هي العضو الذي تقوّم به حقيقة السجود ،
 فاذا وضعت الجبهة على الأرض تحقّق مفهوم السجود ، وإذا لم توضع
 هي لم يتحقّق ، وأمّا أعضاء السجود الأخرى فانما هي واجبات وليست مقومات .
 ومن أجل هذا الفارق الواضح ، فالادلة المتقدمة كلّها انما نظرت
 الى الجبهة وحدها ، لا الى الأعضاء الأخرى ، وبعضها صريح في ذلك :
 ومن أجل هذا الفارق قام الاجماع على عدم اشتراط هذه الشرائط في
 غير الجبهة من جميع المسلمين ، والأمر في الركبتين أشدّ وضوحاً ، فان
 السجود عليهما في الأحوال المألوفة بين الناس انما يكون على ما يسترهما
 من الثياب ، وسترهما في الصلّاة مستحب في فقه أهل البيت (ع) ،
 وواجب عند بعض المذاهب الأخرى .

* * *

وسألت ثالثاً وأخيراً : متى بدأ السجود على التربة الحسينية ، وكيف
 صحّ ذلك ؟ .

أخي الكريم : قدّمت لك في جواب المسألة الثانية : ان الواجب في
 السجود عند أهل البيت (ع) أن يكون على موضع طاهر من الارض ،
 أو على شيء طاهر من نباتها ، على أن لا يكون مما يأكله الانسان او مما
 يلبسه ، وقد ورد في تعليل ذلك عن الامام الصادق (ع) : ان السجود
 خضوع لله عزّ وجلّ فلا ينبغي ان يكون مما يؤكل ويلبس ، لأن أبناء

الدنيا عبيد ما يأكلون ويلبسون ، والساجد في سجوده في عبادة الله عز وجل ،
فلا ينبغي أن يضع جبهته في سجوده عليها .

وأشرت هناك الى أن هذا هو الثابت من صحيح السنة عن الرسول (ص) ،
وعلى ادنى التقادير فهذا هو سبيل الاحتياط ، بعد حصول الاختلاف بين
المسلمين في صحة السجود على ما عدا ذلك .

وبعد هذا كله - وقد علم أخي أنني إنما أشير الى أدلة القول اشارة
بلا تفصيل ولا استيعاب - فلا لوم على مسلم يريد أن يكون محافظاً على
صلواته - وكل مسلم يجب عليه ان يكون محافظاً عليها ، وقد قال سبحانه
في كتابه الكريم : (والذين هم على صلواتهم يحافظون) (٩ : المؤمنون) -
اقول : لا لوم على المسلم في أن يعدّ لصلاته شيئاً يصحّ السجود عليه
بالاتفاق ، من أجزاء الأرض الطاهرة ، أو من نباتها الذي تجتمع فيه الشروط ،
لا لوم عليه في أن يعدّ ذلك الشيء ، ويحمله معه ليسجد عليه متى
صلى على الفرش المألوفة ، المصنوعة من الصوف أو الوبر أو القطن ، أو
على مكان لا تتوفر فيه شرائط السجود ، كالامكنة المزققة او المبلطة
بالحجر الصناعي أو المعدني ، مما خرج عن اسم الأرض ، وان كان في
أصله منها ، وقد كانت للرسول (ص) خرة أعدّها لسجوده ، وقد
تكرر ذكرها في الأحاديث الصحاح .

فقد اخرج البخاري في باب الصلاة على الخمرة : عن عبد الله بن
شداد ، عن ميمونة ، قالت : كان النبي (ص) يصلي على الخمرة .
وأخرج في آخر كتاب الحيض : عن عبد الله بن شداد قال : سمعت

خالتي ميمونة زوج النبي (ص) : أنها كانت تكون حائضاً لا تصلي ، وهي مفترشة بجذاء مسجد رسول الله (ص) وهو يصلي على خرته ، اذا سجد اصابني بعض ثوبه . وأخرج حديثاً آخر قريباً منه في المعنى ، في باب اذا اصاب ثوب المصلي امرأته اذا سجد .

وأخرج هذا الأخير مسلم في باب جواز الجماعة في النافلة والصلاة على حصير وخرقة .

وأخرج في باب جواز غسل الحائض رأس زوجها : . . . عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ، قالت : قال لي رسول الله (ص) ناوليني الخمرة من المسجد ، قالت : فقلت : أي حائض ، فقال : إن حيضتك ليست في يدك ، وأخرج بعده حديثاً آخر قريباً منه في المعنى .

وأورد ابن الاثير في كتاب النهاية من حديث أم سلمة ، قال لما النبي (ص) وهي حائض : ناوليني الخمرة .

وذكر الخمرة أحمد ، وابو داود ، والبيهقي ، وغيرهم ، وأوردوا فيها عدة أحاديث .

والخمرة - على ما يقول العلامة ابن الاثير في كتاب النهاية - : مقدار ما يضع الرجل عليه وجهه في سجوده من حصير ، أو نسيجة خوص ونحوه من النبات ، ولا تكون خمرة الا في هذا المقدار ، وسميت خمرة لان خيوطها مستورة بسعفها .

ويقول العلامة جلال الدين السيوطي في تلخيص نهاية ابن الاثير : الخمرة شيء منسوج يعمل من سعف ، على قدر ما يسجد عليه المصلي او

فويق ذلك ، فان عظم حتى يكفي الرجل لجسده كله فهو حصير وليس
بخمرة ، قاله ابو عبيد .

لا لوم على المسلم في أن يقتدي بعمل نبيه (ص) ، فيعدّ لصلاته
شيئاً طاهراً مما يصحّ عليه السجود ، سواء أكان من النبات ، كهذه الخمرة
التي اتخذها الرسول (ص) ، أم كان من خالص التراب ، كهذه التي
يتخذها الشيعة لصلواتهم ، وقد ورد في الصحيح عن الامام الصادق (ع):
السجود على الأرض أفضل لأنه أبلغ في التواضع والخضوع لله عز وجل .
ولا سبياً اذا كانت تلك الأرض قد أطلّت عليها دماء زكية في
الجهاد في سبيل الله ، وتناثرت عليها أشلاء شهداء قاموا لنصر الله ،
وأخلصوا في اجابة دعوته ، وجاهدوا لإعلاء كلمته .

ولا سبياً إذا كان المستشهدون على ذلك الصعيد هم آل محمد ،
المطهرون بنص الكتاب ، الذين شروا أنفسهم وأموالهم لله ، فوفى لهم
بعهده ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعتهم الذي بايعوا به ،
وذلك هو الفوز العظيم .

ان السجود على هذا التراب الزكي ، الذي شهد ألواناً رفيعة في مجالي
الخضوع لله تعالى ، والعبودية الخالصة له ، والتفاني الشديد في سبيله ، ان
السجود على هذه التربة يضاعف للمصلي خضوعه لربه ، ويمثل بين عينيه
صفوف الخاشعين الراكعين بين يدي الله ، تتناهبهم السيوف وتتوزعهم
الأسنة ، وهم مقبلون ، صابرون مصابرون ، لا تختلج ألسنتهم بغير ذكر الله ، ولا
تحقق قلوبهم الا بحبه ، ولا تتعلق أمانيتهم الا باعزاز دينه وابتغاء مرضاته ،

فيقتدي بهم في شدة الخشوع لله ، وبالغ الانقطاع اليه ، ويتمنى مثل موقفهم في الجهاد بين يديه .

نعم ، وهذا هو معنى الحديث الذي رواه الديلمي في كتاب الارشاد : كان أبو عبد الله (ويعني به الامام الصادق (ع)) لا يسجد الا على تربة الحسين (ع) ، تذللًا لله واستكانة اليه ، وهذا هو معنى الحديث الذي أخرجه الشيخ الطوسي في كتاب المصباح : عن معاوية بن عمار ، قال : قال الصادق (ع) : ان السجود على تربة ابي عبد الله (ع) يخرق الحجب ، والمراد بالحجب : الموانع التي تلم بالانسان فتحجبه عن الاخلاص في العبادة ، وهذا هو المراد من الأحاديث التي وردت عن اهل البيت (ع)، بالامر باتخاذ التربة والسجود عليها .

اخى الكريم : هكذا بدأ السجود على التربة الحسينية ، وهكذا صح . بدأ السجود عليها وصحّ لأنها جزء من الأرض ، والأرض أفضل ما يسجد عليه المصلي باتفاق المسلمين .

وبدأ السجود عليها وصح لان الرسول (ص) اتخذ خمرة يسجد عليها ، وهذا إذن منه للمسلمين في أن يتخذوا لصلواتهم شيئاً معيناً يسجدون عليه من اجزاء الأرض ، أو من نباتها الذي يصح السجود عليه . وبدأ السجود على التربة واستحب ، لأن السجود عليها بضاعف الخضوع لله ، ويمكن للعبد الاخلاص في العبادة .

وبدأ السجود على التربة واستحب ، لأن الائمة من اهل البيت أمرت به ، ودعت اليه ، وواظبت عليه ، وأوضحت تلك المعاني المتقدمة التي

يبالغها المصلي بسببه .

اما أول من صلى على التربة من أئمة المسلمين ، فهو الامام علي بن الحسين زين العابدين (ع) ، فقد أخذ من تربة أبيه الحسين (ع) قبضة ، وعمل منها سجادة لصلاته ومسبحة لتسبيحه ، وتلاه أولاده وأحفاده من أئمة اهل البيت ، وعنه اخذت شيعتهم وبهم اقتدت .

وارجع - اذا شئت - الى كتاب (الخصائص الكبرى) للعلامة السيوطي ، في باب إخبار النبي (ص) بقتل الحسين (ع) ، لتعرف موقع هذه التربة الحمراء من الرسول (ص) .

اقرأ جميع ذلك ، وفي الكتاب المذكور ما يناهز عشرين حديثاً ، يرويه عن أكابر الثقات ، اقرأ ذلك ، وفكر في هؤلاء الرواة وفي مارووا ، وقرأ كذلك ما قدمته اليك في رسالتي ، ثم احكم بنفسك لنفسك ، غير متهم ولا مردود .

اخني : لقد أوجزت الحديث ، لأن أعمالي التي أومأت اليها في ابتداء الرسالة تمنعني عن الاطالة ، وأرجو أن تجد في ما حررته لك كفاية .

والى الله سبحانه أضرع : أن يجمع كلمة المسلمين ، ويؤلف شتاتهم ، ويشد أزهرهم ، ويرفع أمرهم ، ويقر عين الرسول (ص) بوحدتهم ، ويرفع الغل من صدورهم ، انه ارحم الراحمين .

وختاماً اقدم لأخني أوفر التحيات ، واطيب الأمانى ، واجمل الثناء ، واجزل الدعاء ، وتحياتي الكثيرة لمن يعز عليكم من الاخوان في الله .. وسلمتم .

السؤال الذي قدمه الأديب الفاضل الشيخ عبد الزهراء الصغير :

قد سألت الفقيه عن كنهه ذاتي

كيف اوجدت ؟ .. كيف ابغث رمة ؟ !

ولماذا نفى زهوراً . . . وبمفـن

بالتماذي قد غيّر الدهر رسمه ؟

ولماذا نهوى الرقاد وانّا

قد كرهنا من واقع الموت إسمه ؟

فغدى الشيخ في سكون وصمت

طبع الحصر فوق شذقيه ختمه

ولذا للاديب يمت وجهي

ليريني من ثاقب الرأي علمه

مداعبة صديق . جواب القرآن الكريم . هذا السؤال ليس
جديداً . السؤال بذاته اتجه الى علة واعتراف بخلق .
كيف اوجدت ؟ . طريقان لا ثالث لهما . ازالة المادة
وابتداء الحياة . المصادفة . يمتنع ان تكون المادة ازلية .
القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية . هكذا عرفت
كيف اوجدت وكيف أبعث . كل شيء منوط بحكمة .
الموت كالحياة .

٢٦

بغداد

اخني ابا عز الدين . . سلمت ، وسلم لك ادبك ومواهبك .
تحية الاخوة في الله ، وولاء الايمان به ، وتكريم الدعوة الى دينه .
اخني : قدّمت اليّ سؤالك في من قدّمته اليه من الادباء ، ولا بدّ
وأن تكون خلعت عنيّ ثوب الفقه قبل أن تقدّم السؤال اليّ ، لانك
قدّمته الى الفقيه فعجز عن جوابك - كما تقول في أبياتك الجميلة - ، ثم
أوليتني الثقة التي أوليتها للادباء ، فقدّمته اليّ في عدادهم . وانا احتجّ
اولاً حيث نزعني ثوباً أعزّ به ، وأتسامى بان اكون من اهله ، ثم
اشكر ثانياً ، حيث أوليتني ثقة ارجو من الله ان يجعلني لها اهلاً ،

والدعوة الى الله وذبّ الشبهات عن دينه ، هي غاية المؤمن الصحيح ، بأي
الاثواب بلغها وبأي الاسماء سعى اليها .

اخى - واثنن لي ان ابدأ حديثي معك بهزل يشبه الجدد، اوجد يشبه
الهزل ، - كما يعبر " اساتذتنا الابداء القدماى - : من هذا الفقيه الذي القيت اليه
سؤالك هذا (كيف اوجدت ؟ كيف ابعث رمة ؟) ، فغدى في حيرة وصمت ، ولم
يدر بخلده - على ادنى التقادير - ان يقرأ لك إحدى معجزات القرآن في
جواب هذا السؤال ؟! وهي كثر وُفر في الكتاب الكريم ، وهذه واحدة منها:
(ياايها الناس ان كنتم في ريب من البعث ، فانا خلقناكم من تراب
ثم من نقطة ، ثم من علقه ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ، لنبين لكم ،
ونقرّ في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلاً ، ثم لتبلغوا
أشدكم . ومنكم من يُتوفى ، ومنكم من يردّ الى أرذل العمر ، لكيلا يعلم
من بعد علم شيئاً ، وترى الأرض هامدة ، فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت
وربت وانبتت من كل زوج بهيج . ذلك بان الله هو الحقّ ، وانه يحيي
الموتى ، وانه على كل شيء قدير . وان الساعة آتية لا ريب فيها ، وان الله
يبعث من في القبور) . (٥ - ٧ : الحج) .

هكذا اتلوها معك تلاوة ، دون تعليق او تفسير ، وخصوصاً بعد
ان كشف العلم من عجائبها الشيء الكثير .

من هذا الفقيه الذي القيت اليه هذا السؤال ، فلم يملك مثل هذا
الجواب ؟ ! .

أما ان يكون قرأ لك بعض اجوبة القرآن عن سؤالك ، ثم تدعي

عليه الحصر والبكم ، فهذا امر لا اعتقد ان يكون .
اقرأ الآيات السابقة مرة اخرى ، تجدها جواباً لك عن اكثر النقاط
التي تساءلت عنها ، حتى عن قولك :

ولماذا نفى زهوراً وبعض بالتمادي قد غير الدهر رسمه
وبعد ، فالي وللفقيه الذي سألته ثم وصمته بهذه الوصمة ؟ ، ولعله
يشبه شيوخ الدبر الذين القى اليهم ايليا ابو ماضي نظير هذا السؤال ، ثم
آب عنهم كما وفد عليهم ، وهو حائر ليس يدري ! .

ولكنني احاول ان أقول : ان الذي يملك من الأرصدة الفكرية ما
يملكه المسلم من كتابه العظيم ، لا يستعصي عليه جواب هذا السؤال ، كما
استعصى على شيوخ الدبر ، الذين مرّ بهم شاعر الطلاس .

وهذا السؤال - كيف اوجدت ؟ كيف ابعث رمة ؟ - ليس
جديداً في التاريخ ، ولا مختصاً باحد دون احد من الناس ، فقد عرفه
اول انسان ملك القدرة على التفكير ، ثم عرفه كل انسان ذي فكر ،
وسيظل يراود كل فكرة ، ويبقى ما بقي مفكر ، حتى كأنه فريضة حتمية
على الانسان ، لا بد له من ادائها ، فلا محيد له من ان يسأل هذا السؤال
وان يفكر فيه ، ويطلب الحل الوجيه له .

وسواء آهتدى الانسان الى الحل الصحيح ام لم يهتد ، فان لهذا السؤال
جدواه وله دلالاته ، فهو لم يعرض للفكر البشري ، ولم تكن له هذه
الاصالة وهذا الشمول هكذا اعتباطا ، ومحال او شبيه بالمحال ، ان تتطابق
افكار الناس كلهم ، من اولهم الى آخرهم ، ومن اقصاهم الى اقصاهم ،

على هذا التساؤل ، وعلى هذا البحث ، دون ان يكون لذلك سبب اصيل
يوجه الافكار والعالمين كلهم هذا الاتجاه .

ومن موائز هذا السؤال هذا العناد الملحوظ فيه ، فهو يلجّ على الانسان
ويلحف ، ويتنوّع في الصيغة ، ويتنوّع في الاسلوب ، ولا يهدأ ولا يخفّ
الحاحه ، ولن يقر ابدأ حتى يظفر بالاجابة الصحيحة التي يقتنع بها الانسان
ويثلج لها صدره .

واذن فللسؤال مبعث أصيل في ذات الانسان وفي اغوار طبيعته ،
ومن أجل ذلك كان له هذا العمق ، وهذه الاصاله ، وهذا الشمول
للانسانية جمعاء ، ثم هذا الالحاح العنيف .

واذن فانبثاق السؤال في طبيعة الانسان على هذا الشكل وهذا العمق
هو بذاته أحد الاسانيد للاجابة الصحيحة عليه ، فهو صدى لفطرة ،
واتجاه عميق الى علّة ، وهو بالتالي اعتراف ذاتي بخلق .

ولا اطيل ولا افصل ، فلا استحبّ هنا ان اكون فيلسوفاً ، وقد
قدّم اخي سؤاله اليّ على ان اكون اديباً ، وموعدي في هذا البحث مقدمة
كتابي : (التوحيد في القرآن)

* * *

كيف اوجدت ؟ كيف ابعث رمة ؟ .

هكذا يبتدئ السؤال ضيقاً محلوداً عن بداءة هذا الانسان وعن
نهيته ، والانسان أرقى نماذج الطبيعة التي أنتجها معمل الكون ، فاذا استطاع
بوجه ما ان يعلل مبدأه ونهيته ، فقد استطاع أن يتعرّف على مبدأ هذا

الكون كله ونهايته .

كيف اوجدت ؟ .

لقد وجدت ولم اك شيئاً ، فانا لم اوجد نفسي ، وابواي اللذان ولدت منهما مثلي في ذلك ، والناس الآخرون الذين سبقونا او عاصرونا في الوجود كلهم مثلنا ، فالانسان لم يوجد نفسه ، فكيف اوجد ؟ .

ثم لنفترض ان الانسان انحدر من سلالات اخرى سبقتة في سلسلة التطور - وان لم يقم على صحة هذه النظرية دليل علمي متين - ، لنفترض ذلك كي يمتد المآل بايدينا ويتسع ، وحتى ننظر في صدق بعض النتائج التي يحتملها بعض الناس على هذه النظرية .

والسلالات الحيوانية التي سبقت الانسان بالوجود ، كلها مثله حدثت بعد ان كانت معدومة ، فهي لم تخلق نفسها ، حتى الخلية البسيطة التي زعموا انها خلية الحياة الاولى .

فالحياة كلها نشأت بعد العدم ، وهي لم تخلق ذاتها ، ومن بدهيات العقل التي لا يرتاب فيها احد ، انه لا شيء يحدث من لا شيء ، فكيف اوجدت الحياة ؟ .

وامامنا طريقان لا ثالث لهما ، فلننظر أيها احرى بالسلوك ؟ .
الطريق الأول : ان نعتبر المادة قديمة ازلية ، لا ابتداء لوجودها ، ويتبع ذلك فلا بد لنا من ان نعتبر القوانين الطبيعية التي تحكم المادة وتوجهها ، قديمة ازلية كذلك ، وأولى مشكلة عصبية الحسل تعرضنا في هذا الطريق مشكلة ابتداء الحياة ، كيف تنشأ الحياة من الجهاد ؟ . والقائلون بأزلية

المادة لم يأتوا في حل هذه المشكلة بشيء يحترمه الفكر ، ويعترف به العلم .

زعموا ان الحياة جاءت اول مرة نتيجة مصادفة سعيدة ، التقت فيها عناصر معينة بمقادير محدودة في وقت مناسب وفي بيئة مناسبة ، فكانت الخلية الاولى التي بدأت منها الحياة .

وهذا القول يعتمد على دعويين ، كلتاهما تفتقران الى تمحيص .

وقد نظر العلم في العناصر الجامدة : هل فيها ما يمكن ان يتألف فينتج حياة ؟ ، وبحث ، وجرب ، وهياً الجو الصالح ، والبيئة الصالحة والفرص والشروط والمناسبات ، ولاحظ وصابر ، فلم يفد شيئاً ، وهو لا يزال يبحث ويجرب ويهيب ويصابر ، ولعله لا يفيد شيئاً كذلك ، ولعله يفقد حتى الامل .

يقول العالم البيولوجي الكبير الدكتور (رسل تشارلز ارنست) : لقد وضعت نظريات عديدة ، لكي تفسر لنا كيف نشأت الحياة من عالم الجملادات ، فذهب بعض الباحثين الى أن الحياة قد نشأت من البروتوجين ، او من الفيروس ، او من تجمع بعض الجزئيات البروتينية الكبيرة ، وقد ينحيل الى بعض الناس ان هذه النظريات قد سدت الفجوة التي تفصل بين عالم الاحياء وعالم الجملادات ، ولكن الواقع الذي ينبغي ان نسلم به هو ان جميع الجهود التي بذلت للحصول على المادة الحية من غير الحية قد باءت بخذلان وفشل ذريعين . « انظر ص ٧٩ من كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) » .

هذه قيمة الدعوى الاولى التي يعتمد عليها القول الآنف الذكر .

اما المصادفة ، وهي الدعوى الثانية التي يعتمد عليها ذلك القول ، فان العلماء الرياضيين قد درسوا نظرية المصادفة والاحتمال ، دراسة دقيقة مستوفية ، ووضعوا لها اسساً رياضية مبتنية على الارقام ، واصبح من الميسور لديهم - بمراعاة هذه الاسس - ان يميزوا بين ما يمكن من المصادفات وما يستحيل ، وان يحددوا - في ما يمكن منها - درجات قربها من الوقوع واللاوقوع ، ويصدروا في جميع ذلك احكاماً هي اقرب الى الصواب . وعلى هذه الاسس - التي قرروها - نظروا في المصادفة الخاصة التي ادّعت في نشأة الحياة .

وقد نظروا في هذه المصادفة بمقدار تنتج جزئياً بروتينياً واحداً فحسب ، لا بمقدار تنتج خلية كاملة الاجزاء والحياة ، فان حساب ذلك ليس بمستطاع ، (والبروتين احد المركبات الاساسية في كل خلية حية) .

فعدّوا ما يحتمله حصول هذه المصادفة من فرص ، وما يلزم ان تتوفر لحدوثها من عناصر ، وما يتطلبه خلط تلك العناصر خلطاً مستمراً من برهة زمنية ، حتى يحدث التفاعل ، ثم ما يمكن ان تتألف به ذرات ذلك الجزيء البروتيني الواحد من الطرق :

فكانت الفرص المحتملة لتكوّن الجزيء البروتيني الواحد هي عشر مضروبة في نفسها (١٦٠) مرة ، وهو على ما يقولون عدد لا يمكن التعبير عنه بكلمات . وكانت المادة التي يلزم ان تتوفر لتكوّن ذلك الجزيء بالمصادفة ، اكثر مما يتسع له هذا الكون بملايين المرات .

وكانت البرهة الزمنية التي يقتضيها خلط تلك المادة خلطاً مستمراً ،

حتى يحصل التفاعل بالمصادفة بين ذرات ذلك الجزيء الواحد ، هي عشر مضروبة في نفسها (٢٤٣) مرة من السنين .

وكانت الطرق التي يمكن ان تتألف بها ذرات ذلك الجزيء الواحد ، هي عشر مضروبة في نفسها (٤٨) مرة .

والفرصة المنتجة في كل واحد من العوامل الأنفة الذكر ليست الا بنسبة الواحد الى تلك الاعداد الهائلة منها ، فاذا نحن ضربنا هذه الاعداد الضخمة بعضها ببعض ، لنحصل على مجموع الاحتمالات ، كان الناتج منها هولاً في هول ، والفرصة الصحيحة المنتجة ، هي واحدة فقط من كل هذه الأعداد .

هكذا عدّوا الفرص والاحتمالات لهذه المصادفة ، واستنتجوا من ذلك : ان تألف هذه الفرصة الواحدة من بين هذه الأعداد البالغة الهول محال عقلاً ، وانظر اذا شئت كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) ، الذي اشترك في تأليفه ثلاثون عالماً من كبار علماء الطبيعة ، وكتاب (مصير البشرية) للفيلسوف الشهير (ليكونت دي نوي) .

وقال بعضهم : ان خلية الحياة وفدت الى الارض من كوكب آخر مجهول ، وكان وفودها الى الأرض من باب المصادفة ، وكان وفودها في وقت اصبحت الأرض صالحة لاحتضان الحياة ، وهو من باب المصادفة كذلك . وخروج هذه الخلية من ذلك الكوكب المجهول لا بد وان يكون نتيجة مصادفات كذلك ، ثم خروجها من حكم جاذبيته ، وتوجهها نحو الأرض ، وإفلاتها أو ابتعادها من جاذبيات الكواكب الاخرى ، لا بد وان تكون

نتائج مصادفات كثيرة لا عداد لها .

ثم هي لابد وان تكون قد قطعت في رحلتها الى الارض مآت من
السنين - ان لم تبلغ الالف والملايين - ، واحتفاظها بالحياة وبالمناخ
الذاتية ضد الطوارئ والمزاحم طوال هذه المدة وعبر هذا الطريق ، لابد
وان يكون نتيجة مصادفات ومصادفات ومصادفات .

وهكذا نجدهم يلجؤون من مصادفة الى مصادفة ابعد ، ومن إحالة
إلى إحالة اشد .

ووفود خلية الحياة من كوكب آخر لا يقطع التساؤل ، فان هذه
الخلية الوافدة حادثة مسبقة بالعدم من غير ريب ، وهي لم تخلق نفسها ،
فكيف اوجدت ؟ .

والحياة التي تسلسلت منها الخلية على ظهر ذلك الكوكب المجهول ،
اذا لم يكن لها خالق فلا بد وان تكون مستندة الى المادة الازلية ، وتعود
المشكلة الاولى ، مشكلة نشأة الحياة من الجهاد . الا ان يقولوا بوفود خلية
الحياة من كوكب ثالث ، وهكذا الى الأزل ، فتتضاعف المصادفات ،
وتتضاعف الاحالات .

• • •

والمشكلة الثانية التي تعرض القول بازلية المادة ، مشكلة الازلية ذاتها ،
وهي تعرض كذلك ازلية الحياة ، ان يقول بها قائل .
وهي مشكلة اساسية عصية الحل ، وقد تأزر عليها العقل والعلم ،
ونظر فيها كل من ناحيه اختصاصه ، وخرجا بنتيجة واحدة مشتركة .

اما العقل ، فقد رأى ان المادة والحياة ممكنتا الوجود ، والممكن هو الشيء الذي لا يجب - لذاته - ان يكون موجوداً ، ولا يجب - لذاته - ان يكون معدوماً ، بل هو قابل لها ، والمعنى الصريح لذلك : ان الممكن لا يوجد من تلقاء ذاته ، وإنما يوجد بسبب خارج عنه يؤثر فيه ، واذا كانت المادة والحياة لا تتصفان بالوجود لذاتها ، فكيف تتصفان بأزلية الوجود ؟ .

واما العلم ، فانه درس الحرارة دراسة مستوعبة ، وقسم الطاقة الحرارية الى طاقة ميسورة وطاقة غير ميسورة ، ثم كشف ان اي تغير حراري يحدث ، فلا بد من تحول جزء من الطاقة الميسورة الى الطاقة غير الميسورة ، وانه لا سبيل الى العكس ابدأ ، فلا يتحول جزء من الطاقة غير الميسورة الى الطاقة الميسورة بوجه من الوجوه ، وقد سمي هذا القانون بالقانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية .

ثم اثبت ان ذلك قانون كوني عام ، ولا يختص بالحرارة ، فكل تغير أو تحول طبيعي ، فلا بد وان يصحبه تحول او نقص في النظام الكوني ، ونتيجة هذا القانون : ان الكون سائر لا محالة الى الفناء ، فلا بد من ان تنعدم الطاقة الميسورة فيه ، وتصل الحرارة الى درجة الصفر المطلق ، وعندها فلا حياة ولا طاقة .

واذا كانت هذه هي النهاية المحتومة للكون ، فمن المحال ان يكون ازلياً ، لانه لو كان ازلياً لكانت هذه النهاية قد تحققت منذ أمد بعيد . واذن ، فالمادة ليست ازلية ، والحياة ليست ازلية ، بحكم العقل وحكم

العلم ، واذا لم تكونا ازليتين ، فلا بد وان يكون لهما خالق ، نعم وهذا هو الحل الوحيد لمشكلة الابداد .

والنظام الرتيب العجيب الذي نحسّه في موجودات هذا الكون كافة ، فكل موجود لغاية ، وكل حركة لميقات ، وكل شيء بمقدار ، ان الفكر السليم لا يشك ابداً في ان له مبدعاً منظماً ، اوجده بحكمة ، ودّبره بعلم واتقان ، والانسان - كما قلت في اوائل رسائلي هذه - ارقى نماذج الطبيعة التي انتجها معمل الكون ، ان الفكر السليم لا يشك ابداً في ان موجد له منتهى الكمال ، ومنتهى الحكمة ، ومنتهى العلم ، ومنتهى الاحاطة .

واخيراً فوجد الكون يجب ان لا يكون مادياً ، لانه لو كان مادياً لوجب ان يخضع للقانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية ، فتكون له نهاية محتومة ، ويتبع ذلك فلا يكون ازلياً ، ويكون بدوره محتاجاً الى موجد .
اخني ابا عز الدين :

هكذا عرفت كيف اوجدت ، وهكذا اعرف كيف ابعث رمة .
ان باعثي بعد ان اكون رمة ، هو موجدي بعد ما لم اكن شيئاً مذكوراً ، وان جامع اجزائي واعضائي بعد أن تتمزق وتنفرد ، هو مكون خلاياي من عناصرها ، ومركّب عناصري من ذراتها ، ومؤلف ذراتي من جزئياتها وان معيد حياتي في جسدي بعد الموت ، هو نافخ الحياة في مادتي الجامدة عند نشأتي الاولى ، لم ينقص علمه ، ولم تضعف قدرته ، ولم تقصر حكمته ، والقادر على الابتداء قادر على الاعادة .

هكذا يقول لي عقلي ، فاجد شواهد التكوين في نفسي ، وفي الكون

العظيم الذي يحتويني ، بينات واضحة على صدق ما يقول .
ثم اقرأ معي ان شئت : (او لم ير الانسان انا خلقناه من نطفة
فاذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ، قال : من يحيي
العظام وهي رميم ؟ . قل : يحييها الذي انشأها أول مرة ، وهو بكل خلق
عليم . الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ، فاذا انتم منه توقدون ،
او ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على ان يخلق مثلهم ؟ ، بلى
وهو الخلاق العليم) . (٧٧ - ٨١ : يس) .

ونظرت في شؤون وجودي ، فرأيت ان حكمة خلقي لا تكمل الا
ببعثي ، وان اقامة العدل الكامل في هذه الحياة ، لا تكون الا بتوفيتي
جزاء اعمالتي ، فأمنت بوجوب البعث ووجوب الجزاء ، وما دام كل شيء
منوطاً بحكمة ، ومتجها الى غاية ، فان كمال الفرد البشري لا يتم الا ببناء
اخرى ، وان غاية التكليف لا تكمل الا باعداد جزاء وتوفية حساب ،
وصدق الله العظيم اذ يقول : (افحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم اليانا
لا ترجعون ؟ ، فتعالى الله الملك الحق ، لا آله الا هو رب العرش الكريم)
(١١٥ - ١١٦ : المؤمنون) .

• • •

اخني :

وما دام كل شيء منوطاً بحكمة ومرتبلاً بقانون ، والعلم الكوني الحديث
وفروعه وكشوفه ونظرياته ، كلها ادلة على صدق هذه الدعوى ، والناس
كلهم مطبقون على الاعتراف بها ، ولا يشك فيها منهم احد ، اقول :

وما دام الأمر أمر حكمة وقوانين ، جرت عليها سنة الله في التكوين فليس من الحق ان نتهم حكمة الحكيم اذا اخفي علينا الوجه في بعض اعماله ، وليس من الوهن ان يقف الانسان المحدود القدرة ، المحدود الادراك ، عند السفح اذا لم يستطع ان يبلغ القمّة ، وقد وقف العلم عند كثير من الظواهر يستطرق الابواب ويطلب الاذن ، فإمّا يفتح له الباب فيدخل ، واما يبقى موصداً في وجهه فينصرف ، ليس من الوهن ان يصنع الانسان كذلك ، ولكن الوهن ان يقتحم ثم يتهم .

بلى ، من الحق له ان يسأل عن وجه الحكمة الذي خفى عليه ، وسواء استعصى عليه جواب المسألة ام سهل ، فهو مسلم موقن بحكمة الحكيم ، وان خفيت عليه .

من الحق له ان يقول مسترشداً :

ولماذا نفنى زهوراً وبعض بالتأدي قد غير الدهر رسمه
وقد أقامت الحكمة بناء هذا الكون وفق قوانين ثابتة ، وأطلقت احكامها في الاشياء ، فلا يتعدّى شيء قانونه ، ولا يتخلّف عنه ، ومن اهمّ القوانين الكونية قانون الاسباب والمسببات ، فقد اتاقت القدرة الخالقة كل شيء بسببه ، وعقدت ما بين كل سبب ونتيجته ، فمن المحال ان يوجد شيء بدون سببه ، ومن المحال ان تتخلّف نتيجة عن سببها التام .

والعالم المادي عالم يزخر بالاضداد والمنزاحات ، وتبعاً لذلك ، فقد يوجد سبب ما لشيء من الاشياء ، او لكامل من الكمالات ، او لغاية من الغايات ، وقبل ان يتمّ ذلك السبب ، وقبل ان يستكمل تأثيره في النتيجة ، يزاحمه

ما يضاده ، فيمنعه عن التأثير ، ويحول ما بينه وبين الأثر ، فيموت انسان
وهو طفل او جنين ، ويحيى انسان حتى يرد الى ارضل العمر ، وحتى يغير
الدهر رسمه ، والحكمة العامة التي سببت الاسباب ، ووضعت القوانين
لنظام العام ، هي الحكمة ، لم تتغير ولم تضعف .
اما الحكمة الخاصة ، فلها شؤون خاصة بين الله وعبده يوقيه إياها
كاملة غير منقوصة .

• • •

والموت كالحياة تقدير وتدبير ، وحكمة سلامية المعنى بعيدة الغور والحدود ،
لنوع الانساني ولل فرد معاً ، ووجه الحكمة ظاهر لا خفاء فيه ، ولعل أخى
لذلك لم يتعرض له في السؤال .

انظر ما لو استمرت الحياة في عشرة اجيال او عشرين جيلاً من
الناس ، فكيف تتيسر لهم الإقامة والمعيشة على ظهر هذا الكوكب ؟ ،
وقد انتشرت في الآونة الاخيرة بين الناس فكرة عن ضائقة اقتصادية
موهومة ، فحكم بعض المفكرين بوجوب تحديد النسل ! .

ثم انظر ما لو استمرت الحياة بال فرد ، حتى تتجاوز الحد الذي يغير
الدهر فيه رسمه ، فإذا ينتفع هو بهذه الحياة ، وماذا ينتفع بها الآخرون ؟ .

أما حديث النوم والموت ، واننا نحب النوم ونكره الموت ، فليسمع
لي أخى ان اقول له : إنه ليس من صميم المشكلة ولا من حواشها ، فالنوم يحبه
الانسان لانه راحة طبيعية مؤقتة ، يلجأ اليها ليعوض بها ما يفقده جسمه
من طاقات اثناء يقظته وعمله ، ثم ينتبه وهو موفور الطاقة متجدد النشاط ،

وهو يكره الموت لانه مفارقة حياة حبيبة ، وورود على مستقبل حالك رهيب ، شديد الرهبة والظلمة ، والموت ذاته غامض في فكرة الانسان ، شديد الغموض ، وغموضه هذا يضاعف من وحشته ووقعه على النفوس ، ان هذا الحديث ليس من صميم المشكلة ولا من حواشيها ، ولذلك فحب النوم وكراهة الموت لا يختص بهما فريق معين من الناس ، مهما كانت فكرته او عقيدته في المبدأ والمعاد .

اخني : ارجو ان لا اكون اغمضت في بحث الموضوع ، وماذا اصنع للمصطلحات التي تدخل نفسها في طوايا الحديث ، وتأبى على الادب ان يحوّرهما ؟ .

اما الشعر فقد راودته فاستعصم ، وأراه واجداً علي ، فقد هجرته منذ زمن طويل ، وختاماً اكرّر لك تحياتي واجدد اشواقي .

التيارات المتآزرة على حرب الاسلام . قادة الاسلام لا
يأسون . الغايات العظمى غالية الاثان . ويطعمون الطعام
على حبه . الابرار وأوصافهم . من انزلت فيهم الآيات .
سبب النزول . مناقشة وجواب . زمن الحادثة . النتائج
المرتبة عليها .

٢٧

بغداد - كلية الطب ، ٢٦ ذي الحجة سنة ١٣٨٦ .
ولدي الزكي الأديب ٠٠٠ بَلِّغْكَ اللهُ الأمل وحقق فيك الأمانة :
تحية زكية وشوقاً متجدداً وذكرأ طيباً ، ومنه سبحانه أسأل لك
ولزملائك المؤمنين الأنجاء توفيقاً دائماً ، وسعادة موفورة ، ونظرة مسددة ،
تجعلكم من دعاة الهدى ، وأدلة الحق ، وتؤهلکم لحمل الاعياء ، ونشر
ألوية السلام في ظل الاسلام .

بني : لعلك تعدتي قد ابطأت في جوابك كثيراً ، وإن شهرين كاملين
يمرّان على وصول رسالتك الي لبرمة طويلة تكفي حجة لك على هذا القول .
ولكن شهرين فحسب ، فرصة قصيرة في ميزان مناهجي الخاصة التي
اضطرت لوضعها لترتيب أعمالي ، ومن الله استمدّ العون والتوفيق لبلوغ

الغاية وتحقيق المني .

ذكرت في رسالتك التيارات الفكرية المتلاطمة ، المتآزرة على حرب الاسلام ، واخذاد صوته ، وابعاده عن قيادة الحياة ، ثم اقصائه أخيراً عن عالم الوجود . التيارات الكثيرة ، التي لم تدخر قوة دون هذه الغاية ، ولم تأل جهداً ، ولم تترك وسيلة : (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا أن يتمّ نوره ، ولو كره الكافرون) . (٣٢ : التوبة) .

وما أبسر أمر هذه التيارات وان كانت كثيرة وشديدة ! وما أقل خطرها لو لم يكن من صميم مناهجها ، ومن أساليب حربها أن تسمم التربة !! . أن تبذر في اذهان النشء انواع السموم ، وتوبئها بمختلف الأوبئة ، ثم تملأ الجو والماء بالجراثيم والطفيليات ، حتى تنعدم قابلية التربة وتعود غير صالحة لغرس ، ولا قابلة لثمر .

ما أهون أمر هذه التيارات على الاسلام ! وما أضعف خطرها لو لم تكن هذه مناهجها وأساليبها ! ، فان بذور الاسلام تغرس مع الفطرة ، وافكار الاسلام تتسلسل مع الطبيعة ، وعقائد الاسلام تبني على أسس التكوين ، وبراهين الاسلام وأدلته وشواهد ملء الكون ، وملء الطبيعة ، وملء الحياة ، وملء الفطرة ، وتشريع الاسلام من وضع خالق جميع هذه المقدرات : (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ؟ ، ونحن له عابدون) (١٣٨ : البقرة) . واي مبدأ من مبادئ الدنيا ، أو فلسفة من فلسفاتها ، أو دين من أديانها يملك مثل هذا الرصيد ، أو يقوم على مثل هذه الركائز ؟ .

انها - جميعاً - لن تستطيع أن تقف مع الاسلام على قدم ، ولن

تقوى أن تبدي له صفحة ، اذا كانت المحاكاة الى الحقائق الصحيحة ،
والى الفكر الواعي السليم .

ولكن . ماذا يصنع قادة الاسلام ودعائه إذا أوبت الأذهان وأقرت
الآذان ، فلم تع هتاف هائف ، ولم تنفتح لدلالة دليل ١٩ .
نعم ، ولكن ليس معنى ذلك أن يأس قادة الاسلام ودعائه ويخلدوا
الى السكون .

كلا . كلا ، فن طبيعة الحق أنه نير ثابت ، ومن طبيعة الايمان
الصحيح أنه باسم متفائل ، فلن يأس المؤمن الداعي الى الحق ، ولن يكليج ،
ولن يتشائم ، ولن تنزل قدمه ابداً .

ان المؤمن ليشعر في أعماق أعماقه أن الكون والطبيعة والحياة كلها
تسير معه في ركابه ، وتتجه معه الى غايته ، وقد انحدرت معه من مبدئه ،
ولذلك فهو متفائل ابداً وموقن بالظفر ، والأفكار والمبادئ والفلسفات
الأخرى التي تخالفه ، إنما تعاكس التيار الكوني العارم المنحدر معه عن المبدأ
الحق ، المتجه معه الى العاية الحق ، ولذلك فلا يمكن لها البقاء مطلقاً ،
وان بقيت فالى أمد جدّ قصير .

ليس معنى ذلك أن يأس قادة الاسلام ودعائه ويخلدوا الى السكون ،
بل معنى ذلك أن يضاعفوا الجِدَّ ويضاعفوا الأهبة ، ويصبروا ويصابروا
ويرابطوا ، والمدد من الله وحده .

ولقد إمتحنت دعوة القرآن في ابتدائها يقوم من أسلاف هذه الناس ،
فأصموا آذانهم عن الحق ، وأوصدوا قلوبهم عن نوره وصرخوا أذهانهم

عن أدلته ، فأبأسهم القرآن من جدوى هذه المحاولات ، فقال لهم :
(افنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين) . (٥ : الزخرف) .
بلى ، وجهر القرآن بكلمته وأتمّ دعوته ، ومرّ الزمن وانحدر
التيار ، وإذا بنور الحق يرتفع ويرتفع ، وإذا بالظلمات المعتمة تنجاب وتنجاب ،
وإذا بالآذان الصمّ والقلوب الغلف والدعوات الماكرة تهوي وتهوي .

ولدي : أصغ الي فانك من الشباب الذين يعقد الاسلام عليهم الأمل ،
ويعتد بهم للمستقبل الزاهر القريب ، وأرجوا أن يكون لكلمتي هذه وقعها
المحدي ، وأثرها البعيد ، والغايات الكبيرة والأهداف الضخمة ، لا بد وأن
يكون عبؤها كبيراً وثمنها غالياً ، ولكنها خفيفة رخيصة على ذوي الكفاءات ،
إذا عرفوا قلة ما يبذلون بازاء ما يقصدون .

والآية التي سألت عنها - ايها العزيز - والمقطع القرآني العظيم الذي
يشتمل عليها ، يتضمنان نموذجاً رفيعاً من الأثمان الغالية التي يدفعها عظماء
الدعاة ، حين يؤمنون بعظم الغاية ، فيدفعونها خجلين وجلين كأنهم مقصرون .
ووددت لو سمحت لي الفرصة فأفصت في الحديث حول هذا المقطع
كلّه ، لأقدم لولدي شاهداً نموذجياً على هذا البذل العظيم .

وددت لو أفصت في هذا الموضوع حتى نتعرف مكانن السر في عظمة
العطاء ، ونتبين مواضع القدوة من أعمالهم ، ثم نستعين الله على الاقتداء
بها ، والاستضاءة بنورها ، اما الآن فحسبي أن أشير ، وأن أعتمد في تجلّية
هذه الاشارة على ذكاء ولدي .

عزيزي : تعرضت للآية الكريمة : (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً

ويتمياً وأسيراً) وسألت أولاً عن أبعاد الحادثة التاريخية التي تصورها الآية ، من حيث زمان الحادثة ، ومن حيث سبب النزول ، ومن حيث النتائج المترتبة عليها .

ومطاف السؤال هي الآية الثامنة من سورة التّهر ، والمقطع الذي يحتويها هو المقطع الثاني من السورة الكريمة ، وهو يتألف من سبع عشرة آية ، أولها قوله سبحانه : (ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً) وآخرها قوله : (ان هذا كان لكم جزاءً ، وكان سعيكم مشكوراً) . والمقطع يتضمن تعريفاً بصفوة من الناس ميّزتهم أعمالهم ، وميّزهم لإخلاصهم ، وميّزتهم رهبتهم الشديدة من الله .

انهم الأبرار - كما تسميهم الآية الأولى - ، المطيعون لله ، البالغون أقصى حدّ الإطاعة ، المخلصون له دينهم وعملهم ، أقصى درجات الأخلاص . وانهم عباد الله - كما تسميهم الآية الثانية - ، العارفون حقّ المعبود ، المؤدّون له حقّ العبودية .

وانهم الموفون بالنذر ، وبكل ما التزموا به لربهم من برّ ، وبكل ما أمرهم به ربهم من زلفة .

وانهم المطعمون الطعام - على حبه وشدة الفاقة اليه - المحاويج من الناس ، المؤثرون بالقوت على أنفسهم وهم في خصاصة من العيش . وانهم المخلصون ، الذين يطعمون قوتهم للمسكين واليتيم والأسير ، لا يريدون منهم جزاءً ، ولا يبتغون منهم شكوراً ، وانما يفعلون ذلك لوجه الله وحده . لحبّ الله الذي امتزج بلحومهم ودمائهم ، وخالط

شعورهم وأحاسيسهم .

وانهم الخائفون من الله يومه العظيم - على شدة اخلاصهم له -
الوجلون منه - على شدة تقواهم اياه - .

انه الاحساس القوي العميق بعظمة الله وعظمة دينه وعظمة مبدئه ، يقوى
ويتسع في قلوب هذه الصفوة وقلوب من يلتزم نهجهم ، حتى يملأ آفاق
نفوسهم ويسيطر على قواها ، فلا تقول ولا تعمل إلا له ، ولا تكدح الا في
سبيله ، وتستصغر كل غاية دون رضاه ، وتستسهل كل صعب غير غضبه .
وانها تبعات العقيدة النيرة الثابتة التي آمنوا بها ملء قلوبهم وعقولهم
ونفوسهم ، يوفون بها راضين مبتهجين .

هكذا يعرفهم القرآن للناس ، ويذكر ما اعده الله لهم من نعم وملك
كبير ، وما هبأ لهم من سعادة لا يحيط بها وصف ولا ينتهى بها أمد ،
نعم هكذا يعرفهم القرآن للناس ليأتم بهم من يوم الاقتداء ، فان الباب
مفتوح والسبيل ميسرة .

وقد اجمع أهل البيت وأتباعهم ، وكثير من علماء الحديث وعلماء التفسير
من صواهم ، على ان المقطع الكريم أنزل في علي وفاطمة والحسن والحسين (ع)
لما آثروا بقوتهم ، وأطعموه المسكين واليتيم والأسير ، وطوروا ساغين .
والحادثة معروفة مشهورة ، وقد رواها الأئمة الحجة من علماء
الاسلام ، وان اختلفوا في بعض مشخصات الحادثة ، ففي جملة من أسانيد
الحادثة انها وقعت في يوم واحد ، وفي بعضها أنها وقعت في ثلاثة أيام .

ولأكتف هنا بذكر ما نقله الواحد في كتابه (اسباب النزول) :

(عطا عن ابن عباس : ان علي بن ابي طالب آجر نفسه ليسقي نخلاً بشيء من شعير ليلة حتى أصبح ، فلما أصبح وقبض الشعير طحن ثلثه ، فجعلوا منه شيئاً ليأكلوه يقال له الحريرة ، فلما تمّ انضاجه أتى مسكين فأخرجوا اليه الطعام ، ثم عمل الثلث الثاني فلما تمّ انضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه ، ثم عمل الثلث الثالث فلما تمّ انضاجه أتى أسير من المشركين فسأل فأطعموه ، وطووا يومهم ذلك) .

أقول : لأكتف بهذه الرواية ، لا لأنها أوثق الأحاديث سنداً ، بل لأنها نموذج قصير مما يورده غير الشيعة في سبب نزول الآيات .
وأقوى مناقشة يتمسك بها من ينكر ذلك هي : أن سورة الدهر مكية ، فكيف تحتوي ذكر حادثة جرت في المدينة ؟ .

نعم ، والمصاحف المتداولة بالأيدي تذكر سورة الدهر في عداد السور المكية .

ولكن الروايات الصحيحة تدلّ على انها من السور المدنية ، وعلى هذا اجماع أهل البيت (ع) وشيعتهم كافة ، وهو كذلك قول كثير ممن خالفهم .

ومن روى ذلك من غير الشيعة : الحاكم النيسابوري في كتابه المستدرک ، وأحمد الزاهد في كتاب الايضاح ، وهو قول مجاهد وقتادة وعكرمة والحسن البصري وجماعة كثيرين ، فالمناقشة الآتفة الذكر لا تقوم على أساس متين .
أما زمن الحادثة فالراجح انها وقعت في السنة الخامسة للهجرة فما بعدها ، فقد صرّحت الأدلة بأن الحسين (ع) قد اشترك في الإيثار ،

وأن الآيات الكريمة قد شهدت له مع أهل بيته المطهرين بهذه الكرامة ، وبوأنه معهم هذه المنزلة ، فلا بد وأن تكون الحادثة قد وقعت بعد ولادته (ع) وغطامه ، لتصحّ منه المشاركة بالفعل .

وأما النتائج المترتبة على ذلك ، فهل استطيع أن أحصيها أولاً ، ثم أخصيها لك في رسالة ١٢ .

إنها النتائج التي يحوزها المؤمن الكامل الإيمان ، حين يأخذ نفسه بتطبيق مناهج الاسلام في أوسع نطاق ، وأبعد حدٍ ، وأتم تطبيق ، وأنه الكمال الأعلى الذي يحوزه الإنسان حين يسلم وجهه لله في سره وعلايته ، وفي قوله وفعله ، وفي حركته وسكونه .

إنها نتائج الاسلام الكبرى ، وحياته الفضلى .
هذه هي النتائج المترتبة على ذلك : إشراقه نفس ، ووضاءة حياة ، وسعادة مضاعفة في الأولى والأخرى .

والآيات الكريمة لم تفرد قصة اطعام الطعام بالذكر ، ولكنها نظمتها مع سائر صفات هؤلاء الأبرار في سلك ، وقدّمها نموذجاً حياً خالداً لسائر أعمالهم ، ولما يبذلونه في الله من تضحية ، وما يقدمونه للعقيدة من تكاليف . وهذا هو سرّ العظمة ، وموضع القدوة ، اذا أردنا الاقتداء .

وبعد ، فإن السورة الكريمة تقدّم هذه الصفوة من الناس صورة شاخصة كاملة للاسلام الكامل الحيّ المجسّد ، ليصوغ الناس نفوسهم على مثاله ، اذا كانوا يرغبون في الوصول الى الغاية . غاية الاسلام الكبرى .
ثم هي ترشيح لأفراد هذه الأسرة للولاية العامة ، التي سيقول الاسلام

فيها قولته الصريحة .

نعم ، هي ترشيح لهم للزعامة الكبرى على الأمة ، فان الذي يؤثر بالقوت على نفسه وهو في ضرر الطوى ، لا يتصور فيه أبداً أن يتسامح أو يستأثر في شيء من حقوق الأمة ، يوم يكون عليها زعيماً .

عزيزي : وهكذا طال الحديث بي وأنا أجيب على سؤالك الأول حول الآية الكريمة ، وألجأني الى أن أختم الرسالة ، وأرجي الجواب عن سؤالك الثاني الى رسالة قريبة ان شاء الله ، ومن الله العون والتوفيق .

محاولات في التربية . مهمات ومسؤوليات . يهتمون
المجتمع الاسلامي بالتأخر المادي . لا يفرقون بين الاسلام
والمجتمع المسلم . العصر الذي انزلت فيه الآية . لم يطبق
الاسلام كثير آمن نظمه . ضرورات قائمة . العلاج المستطاع
في تلك الضرورات .

٢٨

بغداد - كلية الطب . ١٤ محرم الحرام سنة ١٣٨٧ هـ :
الشاب المؤمن الزكي ٠٠٠٠٠ دامت مسراته .
اهدي اليك أنفس التحيات ، وأبث اليك خالص الشوق ، وأترجم
لك عن مكن الحب وبالف الإعجاب .
بني : لقد ارسلت اليك قبل ايام رسالتي الأولى ، وقد ضمنتها الجواب
عن سؤالك الأول ، وآمل أن تكون وصلت اليك وانت في غبطة ، فأوفيتها
بحسب واستقصاء ، ففيها إيماءات تحوجك الى تفكير .
ورسائي اليكم - ايها الأعزاء - محاولات في التربية العملية الاسلامية ،
فلا يستغني قارئها عن تكرارها اكثر من مرة ، ولا يستغني عن أن يفعل
بأحاسيس الكاتب وبصطنع بمشاعره ، ويتكيف مع أساليبه ، ويكون رهن

اشاراته ما دام قارئاً له .

وكلما تعددت الفرص وامتدت به في تملي هذه الدروس واستبطانها ،
كان اقرب الى النجاح .

انها محاولات في التربية العملية على ضوء مناهج الاسلام ، ارجو ان
نصل بها الى الغاية التي ارادها الله لنا من اقرب طريق ، وفي أيسر مدة ،
وهو المسؤول لتحقيق الأمنية ، وهو دليل المرشد والمسترشد ، ومنه توفيقها
وبه قوتها .

ولا أريد هنا بيان منهجي هذا الذي سلكته في مراسلاتي لكم ، ولا التعريف
بخصائصه ، ولكنني اذكر بعض معالمه ، لينتفع بها ولدي العزيز ، حين
يقرأ رسائلي اليه ، أو الى سواه ، ولعلي أوضح منهجي ، واذكر معالمه
وخصائصه ، يوم أقدم رسائلي هذه للنشر ، وارجو أن يكون ذلك قريباً
ان شاء الله .

ولدي : قلت لك في رسالتي الأولى : انك من الشباب الذين يعقد
الاسلام عليهم الأمل ، ويعتد بهم للمستقبل .

وهذه الكلمة وحدها تكفي للدلالة على سمو المنزلة ، وكبر المسؤولية
في وقت واحد .

ان دين الله انما يعقد الأمل على ذوي الطاقات القوية من أبنائه ،
يريد أن يجعلهم في الطليعة من دعائه ، وفي الرعيل الأول من حماته ، وانها
لمنزلة سامية ، ما في ذلك من شك .

ولكن هذه المنزلة تستتبع مسؤولية كبيرة ، فهو يريد منهم انجاز

المهمة التي نيطت بهم ، وتصديق الأمل الذي علق عليهم .
ثم اذا أتم الداعية شوطه ، وأنجز مهمته ، ارتفع الى منزلة أسمى ،
والى مسؤولية أكبر ومهمة اعظم ، وهكذا يرتقي ، وترتفع منزلته ، وتعظم
مسؤوليته كلما سار شوطاً وقطع مرحلة .

اما الفوز الذي يسجله الاسلام له في نهايات الاشواط ، والذي به
يحرز السبق ، وينال الجزاء في الأولى والعقبى ، أما هذا الفوز فهو بقدر
ما يبذل في الله من جهد ، وما يتحقق له من اخلاص ، وهذه حقائق غير
خفية من دين الاسلام ، ولكني أوردتها لتستذكرها في ميادين عملنا لله .
والشباب - ابها العزيز - طاقات جبارة تثمر الخير وتسعد الأمة اذا زودت
بالإيمان ، وثبتت بالعقيدة ، وهتذبت بمناهج الاسلام ، وعصفت بمبادئه
وغاياته ، وهي - على الفسد من ذلك - ثمر الشر ، وتبغني الهدم ، اذا تركت
للتيارات الملعدة ، تملأها بالسموم ، وتطلقها للتدمير .

وانتم فصائل الشباب المؤمنين مفاتيح هداية الجيل ، وأدلة رشده ،
فلا بد لكم من الشعور بمسؤوليتكم ، ولا بد لكم من الاستعداد لها ، والله
في عونكم وعون العاملين في سبيله .

ولدي : ولنغد بعد هذا الى رسالتك ، الى سؤالك الثاني حول قوله
سبحانه : (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) .

قلت : ان البعض يتهم المجتمع الاسلامي - من خلال هذه الآية -
بالتأخر المادي الفظيع ، فقيه - كما تقول الآية - مسكين ويتيم وأسير ، والكل
بلا مسكة من طعام ، والروايات التي ذكرت سبب النزول ، حدثت

أن علياً (ع) حين أطعمهم بقي بلا طعام كذلك ، وهذا يدل على فقر شديد ، وهو ينافي ما يقوله دعاة الاسلام من أنه يوجب الرفاه للبشرية ، واذا صحّ ذلك ، كان من المستحيل قيام مجتمع اسلامي مرتّفه في عصرنا الحاضر . ثم قلت : فاذا قلنا لهم : ان الخيرات في ذلك العصر كانت قليلة ، حيث لم يوجد نفط أو معادن ٠٠٠٠ قالوا : ان المدنية بشكلها ومتطلباتها اليوم تختلف عنها بشكلها ومتطلباتها في ذلك العهد ، من حيث بناء الدور والآلات والأدوات ، فتصبح المسألة نسبية ، ولا نخرج بحمل .

ويبدو أن هذا البعض الذي نقلت عنه هذه التهمة لا يفرق بين الاسلام والمجتمع المسلم ، ودعاة الحق انما يقولون - والأدلة كثيرة موفورة على صحة ما يقولون - : ان الاسلام يكفل الرفاه للبشرية ، ويوجب لها الحياة الهانئة اذا اتبعت سبله في تنظيم الحياة ، وطبقت مناهجه في الاقتصاد ، ونفّذت تعاليمه في التكافل والاجتماع ، وواضح جداً ان المجتمع (اي مجتمع) لن يتحقق له هذه الغاية إلاّ اذا واثته الفرصة فطبّق هذه المناهج كلها غاية التطبيق ، واستثمرها أتم الاستثمار .

وقد لا تواتيه الفرصة لذلك ، لضرورات اجتماعية أو اقتصادية أو حربية ، يضطرّ معها الى ايقاف بعض الأنظمة عن التنفيذ ، ويخضع لحكم الضرورة الراهنة علاجاً للمشكلة ، وتقديماً لأشدّ الضرورتين ، وواضح كذلك ان حكم الضرورة لا يتخذ منه قياس ، ولا تبني عليه قاعدة إلاّ لضرورة مثلها .

وهذه هي الحالة الراهنة في العصر الأول للإسلام :

العصر الذي أنزلت فيه الآية الكريمة ، ووجه ذلك البعض تهتمه من خلالها الى الاسلام ، والشواهد على ذلك من التاريخ ، ومن النصوص الأدبية ، ومن الشعر العربي ، كثيرة وصريحة .

نعم ، هذه هي الحالة الراهنة في ذلك العصر ، فان المجتمع العربي في زمان الجاهلية ، (وعرب الجزيرة على الخصوص) كان من أشد المجتمعات تأخرأ في الاقتصاد ، وفي ميادين الحضارة الأخرى ، وقد أكثر المؤرخون والمحللون في بيان ذلك وتعليله ، وذكر الشواهد عليه ، حتى لم يتركوا مجالاً للشك فيه ، وفي القرآن الكريم اشارات كثيرة اليه .

وقد كان في مكة والطائف والمدينة أفراد يذكرون بالثروة ، ولكن ليس معنى ذلك تحسن الحالة الاقتصادية في هذه البلدان ، بل معنى ذلك توفر الثروة النسبية عند اشخاص معينين من أهل هذه البلاد ، ويقابل ذلك فقرٌ حالِكٌ أسود عند الناس أجمعين .

فقر اضطر كثيراً من القبائل ان تقتل أولادها خشية اطلاق ، وأن ترتكب الجرائم والموبقات لتحصل القوت .

وحتى بعد ايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف ، فإن نتيجة ذلك نهيت القوت للبعض فقط ، لا للعرب ، بل ولا لقريش أجمعين .

وأشرق الاسلام في تلك الربوع ، ومرّت من عمره الكريم ثلاثة عشر عاماً في مكة ، قضاها الرسول (ص) في تبين العقيدة ، وتثبيت الرسالة ، وفي الكفاح الدائب دون الدعوة ، ودون الضعفاء الذين اعتنقوا الدين ، ولم يستطع الاسلام في هذه البرهة ان يقول في ميادينه الأخرى كلمة ، أو

يشير الى غاية .

ثم هاجر الرسول (ص) الى المدينة لينشر دعوة ، ويبني مجتمعا ، ويؤسس دولة ، ويقيم حكما ، ويشرع نظاما كاملا شاملا : ينظم الدولة ، ويوجه الحياة ، في شتى المناحي ، وشتى الحقول ، وشتى المجالات ، ويسعد البشرية من أقصاها الى أقصاها ، ويكفل لها بحل كل معضلة ، وجواب كل مسألة . وأتم الاسلام كلمته في كل اولئك ، وأوفى بوعده على أتم وجه ، وفي انصع صورة .

نعم ، ولكن الضرورات القائمة الملازمة لم تمكن الاسلام من تطبيق بعض مناهجه ،

ومن مناهجه الفريدة التي لم تطبق ، بعض أنظمتها في الاقتصاد ، وتعمير الأراضي الصالحة للتعمير ، وتشغيل الأيدي التي تستطيع العمل ، واستثمار الموارد القابلة للاستثمار .

فان الحروب التي اضطرت الاسلام الى اعلانها للدفاع عن الدعوة ، ونسف السدود التي تقام في وجهها ، ثم لتثبيت قدم الدولة ، وصدد العوادي عنها . ان هذه الحروب الدائمة الشديدة منعت الدولة الاسلامية عن التوجه الى أي فكرة من هذا القبيل ، وشغلت المسلمين عن التفرغ لأي عمل .

ويكفي للدلالة على ذلك حدوث ثلاث وثمانين غزوة في مدة لا تزيد على عشر سنين ! فالمسلمون في تأهب دائم ، والدولة في تعبئة مستمرة ، والقيادة في شغل متصل .

هذه هي الحالة الراهنة في عصر الاسلام الأول ، ومن أجل ذلك فلم يستطع الاسلام تغيير الحالة الاقتصادية ، ورفع المستوى المادي ، الا بمقدار تسمح به الضرورة ، وترك الأمر للأيام المقبلة .

للدولة الاسلامية يوم تتخلص من الضرورات وتطبق مناهج الاسلام كاملة غير منقوصة ، وتحقق الرفاه الكامل والحياة الطيبة للمجتمع المسلم .
والعلاج المستطاع في إبان تلك الضرورة أن تثبت روح الاحسان في الأمة ، وتعود أفرادها على المواساة والإيثار ، فيحسن من يملك الى من لا يملك ، وبواسي من يجد القوت من لا يجد ، ويؤثر من يستطيع الصبر على الخصاصة من لا يستطيع ، ويطعم الطعام على حبه المسكين واليتيم والأسير ، ويشد القائد الأعلى للأمة حجر الحاجة على بطنه ، ليقندي به الفقير فيصطر ، ويجهز بها خليفته وإمام الأمة من بعده فيقول في أحد كتبه : (ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي الى تخيير الأطعمة ، ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ، ولا عهد له بالشعب ، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حثرى) ويقول : (أقنع من نفسي بأن يقال : أمير المؤمنين ، ولا أشاركهم في مكاره الدهر ، أو اكون أسوة لهم في جشوبة العيش) .

هذا هو العلاج المستطاع ربّما ترتفع الضرورة ، فتطبق المناهج ويعم الرفاه ، والعيشة الراضية .

عزيزي : أرأيت أرأيت ؟ ان ذلك البعض الذي اتهم الاسلام تلك التهمة لم يفرق بين الاسلام ذاته والمجتمع المسلم ، ومثاله في ذلك مثال

الآخرين الذين يهتمون بالآخر الخلقى ، وهم ينظرون الى واقعنا نحن الذي نعيش فيه ، على فارق عظيم بين واقعنا الفاسد وواقع ذلك العصر الكريم .

هكذا تكال التهم كيلاً من أناس يؤسف لهم ، لدين الله العظيم الذي يريد اسعادهم ! .

ولعل الثقافة تتسع ، فتزول الرواسب ، وتنقى الضمائر ، وتأخذ الأحكام مجراها الصحيح ، ونرجو أن يكون ذلك في يوم قريب ، وما ذلك على الله بعزيز ! .
واكرر لك تحياني واشواقي .

مماذير . مقطع من سورة قآ . حقائق شاخصة . الحديث
في سابق هذه الآيات . تفسير المقطع . عبر وعظات .

٢٩

النجف . ٤ رجب سنة ١٣٨٤ .
ولدي المهدب . . .
سلام الله عليك ورحمته وبركاته .
تناولت رسالتك ، ولست عواطف البنوة البرة فيها ، ودعوت الله
لك بدوام التوفيق .
ذكرت فيها لقاءك لإيادي قبل أسبوعين على أعتاب الحرم المطهر .
نعم . التقيت بك أيها العزيز ، وكانت كل ظاهرة مني ومنك تدلني
على أنك هو .
ولكنها - كما تعلم - فحاسة وحس ، وكثيراً ما يخطئان ، وقد
أحييت تصديقهما .
وذكرت في ضمن منهاجك العملي أنك بالغ الحرص على حضور
مجلس الشيخ (٠٠٠٠) والإفادة منه ، وقد سرّني كثيراً أن يكون هذا
الفاضل موضع ثقتك ومصدر افادتك .

وطلبت مني في آخر رسالتك أن أختار لك مجموعة من الآيات الكريمة
القوية التأثير ، التي تصف الجنة وما فيها من نعيم ، والأخرى التي تصف
النار وما فيها من جحيم ، مع شرح بسيط للغريب من مفردات الالفاظ .
وقد وردت عليّ أمنيّتك هذه أيها العزيز وأنا في ضائقة من الشواغل ،
فماذا أعمل ، وماذا أصنع ؟ .

فهل تعلم أن بين يديّ أكثر من عشرين عملاً يتطلب الإنجاز ؟ .
وفي ضمن هذه الأعمال أكثر من ثلاثين سؤالاً ينتظر الجواب ؟ .
وان بعض هذه الأسئلة يفتقر الى أكثر من خمس صحائف في الشرح
والتعليق ؟ .

هل تعلم أنني منذ شهرين كاملين ، لم أكتب جملة واحدة في الحلقة
الثانية من كتاب (الاسلام) ؟ ! .

ولدي : ولم أكتب إليك هذا لأعتذر ، فلست محتاجاً معك الى
معذرة ، وطلباتك ومساائلك في قة الأعمال التي أهمّ بها والله الحمد ، ولكنني
كسبت هذا لأستمدّ الدعاء بالعون ، فان الإنسان ضعيف لولا مدد الله
وعونه ، ودعوة الشاب المؤمن من أقرب الدّعوات الى الله وأحرارها باجابهته .
ومع رسالتي هذه كتاب (الجامع) ، وقد اخترته لك لأنه يتكفّل
لك بهذا النوع من الأغراض التي تتطلب مصادرها من القرآن ، وتستجد
آيات الجنة في العناوين الواردة في صفحات (٣٨٧) و (١٣٥) و (١٤٥) ،
وآيات النار والأهوال في العناوين المذكورة في صفحات (٣٨٣) و (٣٦٣)
الى (٣٨٢) ، و (٥٠٢ الى ٥٣٢) و (٥٤٨ الى ٥٥١) ، تجد الآيات

التي تطلبها مجموعة في هذه العناوين فاختر منها ما أحببت .
وطلبت لك مصدراً أعتمد عليه في شرح الغريب من ألفاظ القرآن ،
وقد تعذر علي الآن وجوده في المكاتب ، بعد أن فحصت عنه أياً ، ولم
أعثر إلاّ على كتاب (البيان) للمرحوم الشيخ قاسم محي الدين .
وليس معنى لإرسالي لهذا الكتاب أنني أرضي لك كل ما فيه ، ولكنه
المصدر الذي لم أجد سواه ، على أن الكتاب فيه جدوى كبيرة ، فافحص
فيه ، وانت - بحمد الله - تملك ذوقاً ناقداً أديباً يميز بين الطعوم ،
ويمكنك أن تستعين ببعض كتب التفسير متى التبس عليك شيء منه ، أو
بأحدٍ تعتمد عليه من حملة العلم .
ثم ماذا ؟ .

ثم لأقف معك على نموذج واحدٍ مما تبتغي .
على مقطع واحدٍ من آيات الكتاب التي تذكر النار ، ومقطع واحد
من الآيات التي تصف الجنة . على مقطعين فقط . وليكونا من سورة
واحدة هي سورة ٠٠٠ (ق) .

هي هذه السورة التي ما مررت بها إلاّ وقفّ شعري وجرت ٠٠٠
هذه السورة الرهيبة التي تحضر الهول إحضاراً وتجنّسه تجسّداً ،
وتصكّ السمع وتذري الدمع .

ووددت لو تناولت السورة بكاملها من ابتدائها الى ختامها ، فإنها
تؤلف وحدة متصلة الأبعاد ، ولكن من لي بذلك ؟ وكيف لي ؟ ولعلّ
الله يوفقني له بعد حين .

ولدي : لتتل المقطع تلاوة قبل أن نشرع في الحديث عنه ، لنفيد من عرض القرآن ذاته ، ومن زجره ، ومن إيقاعه ، ومن إيحائه وإيمائه ما لا يبلغه الشرح ، ولا توفيه العبارات .

اقرأ معي أيّها العزيز ، وإن استطعت فبلفظ مسموع ، وبصوت خافت . منقطّع . يعين على التدبّر ، ويدفع الى الاعتبار :

(ولقد خلقنا الإنسان . . . ونعلم ما توسوس به نفسه . . . ونحن أقرب اليه من حبل الوريد إذ يتلقى الملتقيان ، عن اليمين وعن الشمال قعيد . . . ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد .

(وجاءت سكرة الموت بالحق ، ذلك ما كنت منه تحيد .

(ونفخ في الصور ، ذلك يوم الوعيد .

(وجاءت كلّ نفس معها سائق وشهيد . لقد كنت في غفلة من

هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد .

(وقال قربه : هذا ما لديّ عتيد .

(ألقيا في جهنم كل كفّار عنيد . متّناع للخير ، معند ، مريب .

الذي جعل مع الله إلهاً آخر ، فآلقياه في العذاب الشديد .

(وقال قربه : ربّنا ما أطغيته ، ولكن كان في ضلال بعيد .

(قال : لا تختصموا لديّ ، وقد قدّمت اليكم بالوعيد . ما يتبدّل

القول لديّ ، وما أنا بظّلام للبعيد .

(يوم نقول لجهنم : هل امتلأت ؟ . . . وتقول : هل من مزيد) .

ولدي : أرايت ؟ ، أرايت ؟! .

إنّھا لیست معانی یُحضرها لفظٌ یتلى ، ولکنّھا حقائِق شاختة ،
مائلة ، مُحسّنة ، یبعثها وحی القرآن فی روع الانسان .

حقائِق کالحة مرعبة ، تتقدّ هولاً ، وتتفسّج رعباً !! .

أرأیت خالق الانسان ، وملیک أمره ، وعالم ما توسوس به نفسه ،
وربّ الحیاة والموت ، والحشر والنشر ، یعرض مواقف الحشر فی قرآنه ،
کما یعرضها بعد هذا بقدرته ، فتمرّ خاطفة عاصفة ، مع مرور الکلم ،
ومع تسلسل السیاق !! : وجاءت سكرة الموت . ونفسخ فی الصّور .
وجاءت کُل نفس . ومع کُل نفس سائق . ومع کُل نفس شهید . وكشف
الغطاء . وتعرّت الحقائق . وبدأ التخاصم والتلاوم !! .

أسمعت الأوامر تتحدّر من ولیّ الأمر : ألقیا فی جهنم . ألقیاه فی
العذاب الشدید . لا تخصّصوا لیدیّ . ما یبدل القول لیدیّ . ١٤ .
والناس تنهاوی الی القعر . وجهنّم تتلوی وتتلظى . والأوامر تترادف :
ألقیا ، ألقیا .

وأخيراً ، أسمعت قولة الله العظیم العظیم لجهنّم : هل امتلأت ؟ ٠٠٠٢
ثم قولتها الرهیبة الشدیدة ٠٠٠٠ : هل من مزید ؟ ١٤ .
ولدی : لقد انحرف القلم بی الی منهج العبرة ، وقد كنت أردت
التفسیر ، ولعلّی أعتنک بهذا التحویر .

* * *

والحدیث فی سابق هذه الآیات عن فئة من النّاس ، تنکّرت لفطرتها
ولموازین التّفکیر المستقیم فی عقولها ، فعجبت مما لا داعی الی العجب منه ،

وانكرت ما لا مساغ لإنكاره .

عجبوا أن جاءهم منذر منهم ، وما موجب العجب في ذلك ؟ أليس مقتضى الحكمة أن يكون نذير القوم منهم ؟ : لأنه أبصر بأدوائهم ، وأحرص على نجاتهم ، وأقدر على إفهامهم ، وفي سورة الاسراء : (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً) : (٩٥ : الاسراء) .

وأنكروا عود الحياة بعد الموت ، فقالوا : إذا متنا وكنا تراباً ، ذلك رجع بعيد ، وما سبب الإنكار ، بعد أن وجدوا بملء عقولهم ، وملء أبصارهم ، دلائل القدرة على الابتداء ؟ وهل يرتاب عاقل في أن القادر على الابتداء قادر على الإعادة ؟ ! .

وكذبوا بالحق لما جاءهم ، ودلائل اثباته ماثلة أمامهم في كل وجه ، وفي كل صوب ، في بناء السماء ، وفي زينتها وما لها من فروع ، وفي مد الأرض ، وإلقاء رواسبها ، وإخراج نباتها ، وفي تيزيل الماء ، وتجديد التبات ، وتصنيف الثمرات .

كذبوا بالحق ، وكذبت قبلهم فئات أخرى من أصحاب القلوب الغلف ، فقالوا مغبة جحودهم ، وسبيل من تأخر من الطاغين هو بذاته سبيل من تقدم منهم ، فلا يحيد من أن يحق عليهم الوعيد كما حق على أولئك . هكذا يولع الانسان بإنكار الحق ، وإن كانت شواهد ملء السماوات والأرض ، وملء الاكوان والازمان ، ويولع بتكذيب حقائق الدين كلها ، وتكذيب عقيدة البعث منها على الخصوص ، وإن كانت تنهّده بالخطر ،

وتنذره بالبوار ! .

لعله يتوهم أنه مخلى السرب ، حرّ من التبعة ، لا سلطان عليه ،
ولا رقيب على عمله ، ولا مطلع على سرّه .

وما أسخفه وهماً ! وما أضعفه وهماً ! ، فقد خلّق وأنشئ ودبّر ،
وانه ليعلم ذلك حق العلم ، ولم يكن مخلى السرب ، حرّاً من السلطان في
ذلك كلّه ، ولو كان مخلى لا رقيب عليه ، ولا مطلع على أمره ، لما
بلغ الكمال الذي يعتزّ به ، ولم يعرف أكثر آفاه حتى اليوم .

(ولقد خلقنا الانسان) ، والانسان ذاته مهما تقلبت به التصوّرات
لا يشك في أنه كائن حادث ، ولا يشك في أن لوجوده سبباً مؤثراً ،
فلا شيء يحدث من لا شيء ، كما تقول الفطرة ، وكما يعترف العلم .

واذن فلا محيد من ان يكون عليه سلطان .

سلطان العلة التي كوّنته ودبّرتّه ، واستقلّت في ملكه وتصريفه
وتدبيره ، ولا مخرج له ابدأ من قبضتها .

وشيء غير ذلك ، وهو أن خلق الانسان نعمة ، يتحمّ عليه من
أجلها طاعة الموجد ، وشكر نعمته ، وهذا هو سلطان الدين ، كما أن ذلك
هو سلطان التكوين .

(ولقد خلقنا الإنسان) يحملته وأبعاضه ، ومتنوع أجهزته ، وظاهره
وباطنه ، وأمددناه : أمددنا بجلته وأبعاضه وأجهزته ، وكل وحسنة من
عناصره وطاقاته بالتدبير المتّصل ، والمدد المتتابع ، في كل آن من آتات
حياته ، ولو اننا قطعنا المدد والتدبير عنه آنأما لتداعى بناؤه وتمزق شرمزق .

أفلا يدّله هذا التدبير على علم شامل ، محيط بخفايا الانسان وطواياه ، وعلى رعاية دقيقة مستمرة لحركاته وسكناته : (ولقد خلقنا الانسان ، ونعلم ما توسوس به نفسه) ، وما وسوسة النفس ، وما خلجات القلب ، وما ذات الصدر ، وما أسرار الضمير ، وما همسات الشعور ، وما رعشات العاطفة ؟ أليست هذه كلّها لا تسنح الا بتدبير ، ولا تجري الا بتقدير ؟ فكيف تخفى على خالق الانسان ومقدره ؟ !

والوسوسة هي الصوت الخفي ، فاذا أضيفت الى النفس أو القلب أو الصدر وما اليها ، أريد بها الخطرات والتصورات والأحاديث التي تمر بها . (ولقد خلقنا الانسان ، ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) . والوريد مجرى الدم في الجسد ، وقد ينصرف الى الموجود منه في العنق خاصة ، والكلمة مثل " يذكر للشيء لشدة قربه ، وخالق الانسان ومركب جزيئات دمه ، ومقدر دورته ومجاريه في بدنه ، أقرب من كل قريب اليه .

وماذا بعد هذا السلطان العظيم المسيطر ، الذي لا يتد الانسان عن قبضته ، وهذا العلم الدقيق الذي أحاط حتى بخطراته وهمه وهمسات قلبه ، وهذه الرقابة الشديدة الدائمة القريبة ، التي لا تشذ عنها حركة من الإنسان ، ولا كلمة ، ولا نية ؟ ما بعد ذلك كلّه ، اذا كان هذا الرقيب هو الحسيب ، وهذا الشهيد هو الحاكم ؟ ، وما حاجته الى رقابة وشهادة أخرى ؟ ، وما ضرورته الى تسجيل وتدوين ؟ .

ولكنّه التشدد في الأمر ، والدلالة على ضخامة المسؤولية ، والتاكيد

على وجوب الخذر ، ووجوب اليقظة ، واتخاذ الأبهة . فوراء كل أولئك ملكان مع كتل إنسان ، مهمتهما رقابة أعماله وأقواله ، وإحصاء كل صغيرة وكبيرة منه ، وتدوين كل حركة او كلمة : (اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) .
متلقيان يفظان ، يرقبان بامانة ، ويسجلان بدقة ، فكل واحدٍ منها لمهمته الخاصة المنوطة به قعيد عتيد . والقعيد : الملازم ، والعتيد : الحاضر المعد .

(وجاءت سكرة الموت بالحق ، ذلك ما كنت منه تحيد) .

ولدي :

ماذا اكتب في شرح هذه الآية ؟ .

إن القلم ليجمد . . وان القوى لتخور . . وان الحركة لتسكن .
انها لسكرة الموت . . وانها للحق اليقين . . وانها ما كنت منه تحيد ، وهل يملك أحد من المخلوقين أن يحيد ؟ ! .

ولدي : مرت الحياة . . وختم العمل . . وانفضت الرقابة . .
وطويت الصحيفة وجاءت سكرة الموت بالحق ! ! .

مرت الحياة ذات الصخب والذجب ، كما تطرف العين وكما تلمح ،
وكما ينتقل السياق الكريم من آية الى آية ، وانها لفترة جد قصيرة ، بلى ،
وما الحياة سوى لحظة ، وما الدنيا كلها سوى لحظة ، وستفنى هذه اللحظة
اذا جاءت سكرة الموت بالحق .

ومرت سكرة الموت كما مرت فترة الحياة ، وكأنها لحظة .

(ونفخ في الصّور ٠٠٠٠٠ ذلك يوم الوعيد) .

باللهول . وباللههشة . وبألقلوب الذائبة الذاهلة المدهشة من اعلان
هذا النفير !! .

ان الآيّة تفعل بالقلوب ما يفعله نفخ الصور .

ويوم الوعيد لا يبد فيه من إعلان هائل يبلغ الجمع ، ويوقظ الحياة ،
ويرج اقطار الأرض ، ويعرف الناس وهم يبعثون من قبورهم : انه اليوم
الذي كانوا يوعدون ، ونفخة الصّور أول أهوال اليوم ، وأول زلزلة
السّاعة ، وأول مبادئ العرض .

الى الحشر الى الحشر ، الى الله الى الله ، أيّها المبارزون لله ،
المنغمسون في مغاصيه .

الى الحشر الى الحشر ، الى الله الى الله ، أيّها المستكبرون عن طاعته ،
المكذّبون بوعيده .

(وجاءت كلّ نفس ، معها سائق وشهيد) مهطعة ، مسرعة ،
شاخصة من الفزع ، ناكسة من الذلّ ، والسائق من خلفها يدّع ، والشهيد
بين يديها يسعى ، وهل تملك أن تتخلف اذا لم يكن سائق ، وهل تستطيع
أن تجحد اذا لم يكن شهيد ١٩ .

وهبط التقريع مجلجلاً ، مدوّياً ، يشدّد الهول ، ويضاعف المحنة :
(لقد كنت في غفلة من هذا ، فكشفنا عنك غطاءك ، فبصرك اليوم حديد) .
والغفلة لا تجد سبيلها الى القلوب الحيّة اليقظة ، التي تنظر بموازين
الفطرة ، ومقاييس التفكير السليم ، وأما تجد سبيلها الى القلوب المحجوبة ،

التي بصرتُها الهوى ، ويمتلكها حبّ اللذائذ ، ونجليّ الحقائق بزيل الغباء ،
ويكشف الغطاء .

والبصر الحديد : هو القوي الحادّ الذي ينفذ الى المراثيات البعيدة
والدقيقة .

• • •

ويعمر السّياق - كما هو - سريعاً خاطفاً ، فلا يصف عرضاً ، ولا
يذكر سؤالاً ولا إثباتاً ، فالأعمال مدونة مثبتة ، والنتائج واضحة معلومة ،
وليس سوى الحكم ، وليس سوى التنفيذ . ووجه ذلك أن الحديث - كما
قلت - عن فتنة أنكرت الحق ، واستهانت بالأمر ، وتجاهرت بالإنكار
والاستهانة ، ولا موقع معها لسؤال ، ولا حاجة لبيئة ، ولا تملك أعمالاً
صالحة الى جنب أعمالها السيئة فتتصب لها موازين .

وايتدبر قرينه : ملكه الذي لزمه طوال حياته ، وضبط عليه ديوان
أعماله ، ابتدر ويده للكتاب ، ينشره بين يدي ربّ الأرباب : (وقال
قرينه : هذا مالدي عتيد) : والإنسان دهش حائر ، قد برق بصره ،
وانخلع قلبه ، وهو لا يملك حجة ، ولا يؤذن له في قول .

وأعلن الحكم ، وقرر التنفيذ : (ألقيا في جهنم كل كفار عتيد .
مناع للخير ، معتدٍ ، مربب . الذي جعل مع الله إلهاً آخر ، فآلقياه في
العذاب الشديد) . إنها صيغة حكم كاملة ، تتضمن الحكم ، وتعين الموضع ،
وتوضح التعليل ، وتقرّر التنفيذ .

والملكان المأموران بالالقاء لا ينتظران وراء هذه الكلمة شيئاً . لقد

حقّت غضبة الله ، وضاعت رحمته عن هذا الانسان فإذا ينتظران به ؟ :
وجهنم فاغرة فاما ، تنغيّظ وترجّر وتلقف وتبتلع .
وألقي وهو يعّج ، والتقمته النار وهو يستغيث ، وغلّ وصفّد وهو
يسترحم ويدعو .

وانزلت الكلمة الغاضبة الناقة ، التي تقطع الرجاء ، وتميت الأمل ،
تجيبه وتجبب الصارخين في النار معه : (اخسؤوا فيها ولا تكلمون) .
(١٠٨ : المؤمنون) .

(وقال قرينه) ، والقرين هذه المرة شيطان كان يغويه في حياته
الدنيا ، ثم قرن اليه هاهنا في العذاب الشديد ، (وقال قرينه : ربنا ما أطفئته ،
ولكن كان في ضلال بعيد) .

والسياق يدلّ على ان الإنسان يريد أن يحمّل شيطانه هذا بعض
تبعاته ، لانه مسبب طغيانه ، والشيطان يتبرأ من ذلك وبروم التخلص بهذا
القول .

وتأتي الزجرة المربعة المسكنة تخمد الأنفاس وتبطل الحجج : (لا تختصموا
لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد) . انتهى كل أمر ، واحتمل كل تبعة عمله ،
ولقي جزاءه : (ما يبدل القول لدي ، وما انا بظلام للعبيد) .

ثم يتم السياق هذا المقطع بهذه الآية التي ترعد الاوصال وتذيب
الاكباد : (يوم نقول لجهنم : هل امتلأت ؟ ، ونقول : هل من مزيد ؟) .
وسواءاً أكان ذلك حواراً يقع بين جهنم وخالقها ، ام مثلاً يضرب
لسعتها وشدة نهمها ، فانه أمر نحيف مرعب ، يستوجب الحذر ، واتخاذ الحيلة.

ولدي : لقد طال الحديث على هذا المقطع وتنوّعت الآلام بتنوّع
محاوراته ومشاهده ، فلأختم رسالتي هذه بختامه ، وسأوافيك إن شاء الله في
رسالة ثانية عن المقطع الثاني ، وآمل باذن الله أن نلتقي فيها على ابتسامة .
لقد أطلت الحديث ، لأنه درس عملي في التربية القرآنية ، وقد رغبت
ان أودّي فيه بعض حقوق البنوة ، ورجوت أن تتخذه منهجاً عملياً في
دراسة الآيات التي تطلب .
ومن الله سبحانه أسأل لك دوام التوفيق منه ، ومزيد الرغبة في ما
عنده ، وتقبل تحيات ابيك .

حديث الخشية من الله على شدته شهبي لذيد . مقطع آخر من
سورة قـ . من طرائق القرآن . كيف يتلو الاديّب آيات
القرآن ؟ . مقارنة بين المقطعين . تفسير المقطع . موعظة
وذكرى .

٣٠

النجف . ١٢ رجب سنة ١٣٨٤ .

ولدي ٠٠٠

سلام الله عليك ورحمته وبركاته ، مع سؤالي ودعائي .
لعلّي أعتنك في رسالتي تلك ، فقد كان الحديث فيها مرهّباً مرعباً ،
وماذا أعمل أنا ؟ فالحقيقة القرآنية التي تحدثت عنها في الرسالة كانت
مرهبة مرعبة .

غير أن العنت في أمثال هذه الحقائق محبوب لي ولك على سواء ،
وحديث الخشية من الله على شدته شهبي لذيد ، وليس الذّ من دمة خفية
يلذّرها خوف الوعيد ، وليس أقرب الى الله من موقف يرى فيه عبده قد
تأثر لجزره ، فحنّ قلبه ولوعاً ، وفاضت عيناه دموعاً .

انها دروس التربية القرآنية - ايها العزيز - تصهر المسلم لتتفي عنه
الأدران والأخباث ، وهل تفعل ذلك إلا حين تتخذ هذا السبيل ١٩ .

لقد أطلت الحديث في تلك الرسالة ، فاسمح لأبيك إذا اختصره في هذه ، فقد قلت لك : انني في ضائقة من الشواغل .

* * *

والمقطع الثاني الذي وعدتك بتفسيره في هذه الرسالة : جزء متمم للمقطع الأول ، الذي قدّمت لك الحديث فيه ، قرنها السياق القرآني جنباً الى جنب ، ومنظراً الى منظر ، والوصف العام للمحشر ومواقفه ونتائجه لا يتم الاّ بهما مقترنين .

ومن الطرائق التي يكثر استعمالها في القرآن : في أحاديثه عن الجنة والنار ، أنه يشفع ذكر احدهما بذكر الأخرى ، فاذا ذكر النار اردف لها ذكر الجنة ، واذا وصف الجنة قفى عليها بوصف النار ، حسب اقتضاء المورد ، ولعلّ هذه طريقته في غالب تلك الأحاديث .

ومن آثار هذه الطريقة الحكيمة ، أن اقتران وصف العذاب الشديد المييد بوصف النعيم العظيم غير المحدود ولا المنكود ، يبعث في شعور المسلم مزيجاً قوياً متعادلاً من الخوف والرجاء ، من الرّهبة الشديدة التي تمنعه أن يتردّى في بؤرة أو يفكر في حطة ، والرغبة البالغة التي تدفعه دفعاً الى السبق في مضامير الخير ، والارتقاء الى معالي الأمور ، وتعاذل هذين الخلطين القويين في نفس الانسان يصوغ منه المسلم الحق ، ويجمع له كل ما يبتغي الاسلام من صفة حميدة ، تؤهّله لكل مقام كريم . وهذا أحد مناهج التربية في الاسلام .

ومن جدوى هذه الطريقة : أن اقتران منظر النار وانكالها وأغلالها

وطعامها ذي الغصّة ، وشرابها الحميم ، وعذابها المقيم ، بمنظر الجنة
الوارقة الظلال ، المطردة الأنهار ، الموفرة الهناء ، المستكملة السعادة ،
أن اقترن هذين المنظرين ذاته عذاب شديد لأهل العذاب ، ونعيم كبير
لأهل النعيم . فان رؤية السعادة الكاملة تضاعف من شقاء الشقي ، ونظرة
الشفاعة الشديدة تزيدني سعادة السعيد ، وفي القرآن الكريم مشاهد ومحاورات
بين أهل الجنة وأهل النار تجري في هذا السبيل .

* * *

ولدي :

لنتلُ المقطع الكريم قبل أن نبحت عن مدلوله ، فقد جربنا هذه
الطريقة فأفدنا من نفعها الخير الكثير .

لنتل المقطع بصوت مسموع - كما صنعنا أول مرة - ، ولنتحسّس
أجراس آياته ونبراتها وذبذباتها ، ولنتبين مواقع الإشارة ومدلول العبارة ،
ومن أخرى من الأديب بهذا التفكير ؟

ولي الفخر أن اعترف - ها هنا ، وفي هذه المناسبة - بأن جزءاً مهماً
من أدبي أنا مدين به للتفكير في أدب القرآن .

وبعد ، فهي نصيحتي لكل شابٍّ أتوهم فيه الخير .

اقرأ معي أيّها العزيز :

(وأزلقت الجنة للمتقين غيرَ بعيد . هذا ما توعدون لكلّ أبواب
حفيظ . من نخشي الرّحمان بالغيب ، وجاء بقلب منيب . أدخلوها بسلام ،
ذلك يوم الخلود . لهم ما يشاؤون فيها ، ولدينا مزيد) .

أرأيت . أسمعت ؟ .

إن السياق يحتفظ بمقوماته الأصلية المشتركة بين المقطعين ، ولكن
الفارق بينهما كبير خطير ، هو الفارق بين منظر الجنة ، ومنظر النار .
إن السياق يمرّ - كما هو - سريعاً عجلًا بطوي المراحل ، ويلفّ
التفاصيل ، ليلحق كلاً من الفريقين بنهايته ، ويوفيه حساباً ، ولكن
الإجمال لأولئك شقاء ومهانة ، ول هؤلاء أسعاد وتكريم .

يمرّ كالخاء ، لافحاً ، متجهماً ، يسوق بين يديه حشوداً هائلة من
البشر ، حتى يوقفهم على شفير الهاوية ، ثم يلقي بهم أكراماً وأكداً ،
وجهمهم تأكل الوقود وتطلب المزيد .

ثم يلتفت الى اليمين الى المتقين .

الى الوجوه المشرقة بالنور ، الباسمة بالرضا ، المطمئنة بالكرامة .
يلتفت اليهم باسم الثغر ، منهلل الوجه ، مشرق الأسارير ، يستقبلهم
بالبشرى ، ويبتدئهم بالترحيب والتكريم ، ويشير لهم الى المنازل الكريمة ،
والجنان الرفيعة .

(وأزلفت الجنة للمتقين) .

بالكرامة . . وبالفوز . . إن الجنة أزلفت لهم لإزلافاً : قرّبت
اليهم وأدّنت ، لئلا يتكاثفوا السعي اليها ! إن الجنة ذاتها هي التي تستقبلهم ،
وأملك الرحمة ، وخزان الجنة ، على الأبواب تحييتهم وترحب بهم ،
وحور الجنة وولدانها وأطيّارها وأنهارها تهتف لهم ، وتبشّر بمقدمهم ،
فعلى كل شيء بهجة وفي كل قلب فرحة ، وبكل فم بسمه .

ومالك الجنة وخالقها يعلن رضاه عنهم ، ويعدهم بتوفية أمنيائهم ،
واعداد المزيد لهم .

ويبدو أن المشهدين اللذين يعرضهما السياق : مشهد أصحاب الشمال
وهم يساقون من قبورهم الى الحشر ، ثم من محشرهم الى النار ، ومشهد
أصحاب اليمين وهم يرفعون الى مراتب الكرامة ، وينالون أنواع التبجيل ،
يبدو أن المشهدين ليس بينهما ترتب في الزمان ، فان (واو) العطف
التي ربطت بين جمل السياق لا تدل على ترتيب ، فيينا كان اولئك يتقاذفهم
الهلول ، وتراهم الشدائد ، كان هؤلاء يستقبلهم النعيم ، ومظاهر
التكريم ، ولكن السياق ذكر أصحاب النار أولاً ، لأن الحديث كان عنهم
منذ بدائه .

(وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد) . ان تكريم المتقين لا حاجة
فيه الى اعلان حكم وتقرير تنفيذ ، فازلاف الجنة وتقريبها اليهم أبلغ من
اعلان الحكم وتنفيذه ، وليستقبلوا بكلمات الرضا من إلههم وخالقهم ، فانها
أبلغ في التكريم من إزلاف الجنة :

(هذا ما توعدون لكل أبواب حفيظ ، من خشي الرحمن بالغيب ..
وجاء بقلب منيب .) ، وهذه هي الصفات التي وعدوا من أجلها بالجنة ،
واستحقوا الرضوان ، والأواب : الرجاء الى الطاعة مهما صرفته الصوارف ،
والحفيظ : شديد المحافظة على امثال ما أمر الله به ، شديد التحفظ عن
الوقوع في معصيته ، ومن خشي الرحمن بالغيب : من راقب الله حيث
يأمن مطلقاً سواء ، وحذره حيث لا يخشى معاقباً غيره ، والمنيب : الراجع

الى الله ، التائب اليه من سيئ عمله ، وجاء بقلب منيب : قد استمكنت خشية الله في أعماق قلبه حتى وصلته بالله ، فواظب على طاعته والرجوع اليه ، وحتى وافى الله في حشره وهو موصول السر والعلانية به .

(ادخلوها بسلام) بسلام من كَلَّ آفة ، ومن كَلَّ فتنة ، ومن كَلَّ ما ينقص السعادة التامة ، ويكدر العيشة الراضية الهائلة ، (ذلك يوم الخلود) خلود الحياة فلا موت ، وخلود الكرامة فلا نقص ولا ضعة ، وخلود السعادة فلا شقاء ولا بؤس ، وخلود النعيم فلا غول فيها ولا هم عنها ينزفون ، وخلود الأمن فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ه (ادخلوها بسلام) ، بالكرامة ، وبالمجد والرفعة ، ان الله هو الذي يبتدئهم بالسَّلام ، وملائكة الله تستقبلهم على أبواب الجنة بالسَّلام ، وقد وصفها كتابه الكريم بانّها دار السَّلام .

وينتهي المقطع بهذا الوعد وهذا الضمان :

(لهم ما يشاؤون فيها ، ولدينا مزيد) .

بهذه الآية الكريمة التي تضاعف لهم الحبور ، وتملأ نفوسهم بالغبطة ، وتضمن لهم أعلى درجات الفوز .

ليتمنوا من اللذائذ والطيبات ما شاؤوا ، وليدبروا بأمانيتهم وطلباتهم ما اشتهوا وما رغبوا ، فكُل شيء لهم موفور ميسور ، ان الحبيب لا تحجب عنه امنية .

ثم ما هي أمانى الانسان وما وفاؤها بالتكريم غير المحدود ، وبالعطاء غير المجنود ؟! ، انهم يستوجبون من الحباء ما هو فوق ذلك ، (لهم

ما يشاؤون فيها) من صنوف اللذائذ وأنواع الرغائب ، (ولدينا مزيد)
مما لا يحيطون به علماً ، ولا يدركونه وصفاً .

ولفئة قرآنية حازمة أود أن اشير اليها قبل أن أختم الحديث .
ان المقطع - كما رأينا - يصور واقعا حاضرا ، فقد أزلت الجنة ،
واستقبل المتقون بالبشرى ، وبالترحيب وبالتكريم ، واستحقوا النعم والخلود ،
ووعدوا بالمزيد .

ولكن الآية الثانية من المقطع : الآية التي يقدم الله بها الجنة لأهل
الجنة ، و يعلن بها رضاه عنهم ، ويعدّ موجبات استحقاقهم ، اقول :
ولكن هذه الآية الكريمة تأتي بصيغة الفعل المضارع : (هذا ما توعدون
لكل أبواب حفيظ) .

واذن فالوعد لا يزال مستمرا ، والموعود به لا يزال مستقبلا ، واذن
فالفرصة لكل عامل لا تزال باقية ، ومضمار السباق لا يزال مفتوحا ، فليعمل
من يشاء أن يعمل ، وليحرز سبق ، وليفز بالغاية .

لقد طال الحديث وأنا أروم الاختصار ، لعل ذلك لأنه حديث عن
أهل الجنة ، ولعل ذلك لأنه حديث الى ولد حبيب ، ولعل ذلك لأنه
حديث عن القرآن حبيب كل نفس وشفاء كل صدر ودليل كل رشد .
واستودع الله دينك وجميع مواهبك .

امانة الله . الاسلام مفتقر الى اقلام تكتب . قولة لبعض
ادباء الغرب يهاجم بها الاسلام . حطة يهوي اليها الانسان .
لا يتعرضون لقوانين الدنيا اذا سنت للمعاقب على مخالفتها .
صرخة الاسلام انها هي صرخة التنذير . انذار البشر بالخطر
ليدبروا .

٣١

النجف . ١٥ رجب سنة ١٣٨٤ .
ولدي ٠٠٠٠ دمت ودام لك التوفيق .
سلام الله عليك ورحمته وبركاته .
وصلتني بالأمس رسالتك ، وتلونها مغتبطاً بما فيها ، حتى في الضيق
الذي تعانيه من نظام التعليم الجديد ، نعم ، حتى في هذا القفص الذي
يحيط بك من الجهات ، فلاني اتوسم لك منه الخير الكثير ، ما دام الظن
قد صدقني في درجتك من الذكاء .
وصلتني رسالتك ظهر أمس ، وصممت على أن أدخل جوابها في
تسلسل منهاجي للأعمال ، وهو كما حدثتك عنه منهاج طويل .
وكان التسلسل المنهجي قد انتهى بي الى سؤالات أرسلها أحد الأمراء

السعوديين يناقش فيها بعض احكام المذهب الجعفري ، والسؤالات من حيث مجموعها ، ومن حيث مصدرها وموضوعها تستوجب الاهتمام ، وبعضها حساس يفتقر الى مزيد من التفكير ، وهي على اي حال تتطلب الإعمال .
وبعدها الى سؤالات أحد الشباب النجباء من أهل الكوت ، وكنت بعثت اليه جواب سؤالين منها ، والنوبة لسؤاله الثالث عن نظرية العقد الاجتماعي في رأي الاسلام .

وهلّم جراً ، الى ان يصل العدد الخامس والأربعون .
صممت على أن أضعم جواب رسالتك في تسلسل الواجبات ، ولي من بنوتك البارة عاذر عن التأخير .

والتميت بك هذه الليلة على عتبة الحرم المطهر ، فرأت أن أجلسك الى جانبي بضع دقائق ، وأحدثك بما ينبغي الإسراع فيه من مضامين الرسالة ، واترك الباقي منه الى المنهاج .

ولكنني لمحت منك بوادر العجلة ، فأنت تريد أن تصلي وردك ، ثم تبادر الى مجلس افادتك ، ولم أشأ أن أزاحم عملاً ترغب فيه .

ثم قلت - بعد عودتي الى المنزل - ماذا علي لو أتممت ليلتي مع ولدي العزيز ؟ على أنني أحترر له رسالة ينظم بعضها في سلك رسائلي الاسلامية ، وستنشر ان شاء الله سبحانه وأمدني منه بالتوفيق .

وتناولت القلم لأحترر لك هذا الكتاب .

ولدي : ذكرت في رسالتك جانباً من شعورك نحو أبيك .

وما ادري - ايها العزيز - لعل الله ينظر هذا الجهد الصغير المتواضع

بعينه ، فيعده وفاء ببعض ما يجب ، ويمد بالعون على اداء الباقي .
لقد قلت لك في إحدى رسائلي : انها امانة الله .

أجل ، انها امانة الله يا بني ، وحامل هذه الأمانة ان أداها تامة غير
منقوصة ، فهو أحفظ الأمانة ، وان التوى في أداها أو حرقها أو جزأها
وفق مبوله ، فهو أخون الحقنة ، ويخادع نفسه وضميره ودينه من يتجاهل
ذلك ، أو يصدد عنه ، او يتأري فيه .

بني : لقد اطلت لاعلاء كلمة الله دماء ووزعت أشلاء ، فما الذي
بذله أبوك - هذا الذي يطارجك الحديث - مما يستحق الإكبار ؟ .
بسمه في وجه ولدي ، وهو مقبل علي ٠١٠٠٠ اصغاه إلى كلمته ٠٠٠
اجابة عن سؤاله ٠٠٠١

انه جهد متواضع صغير ، اذا لم يتعهده الله بلطفه ، فينمي صغيره ،
ويرفع وضيعة ، ويبارك في نتاجه .

ونمو الجهد وارتفاعه ، هو أن يشعر ولدي بالمسؤولية التي أحملها من
أجله ، فيشاركني في القيام بها نحوه ، ونحو الأعزاء الآخرين من اخوانه وأقربائه ،
الى أن يشعروا بشعورنا ويشاركونا حمل الاعباء . وتسري قوة الإيمان الحي
القوي الصنّاع الى اكبر عدد استطاع من الابناء الأحياء .

ولدي : ان الاسلام مفتقر الى السنة تقول ، وأقلام تكتب ، وأعمال
تهدي ، وطاقات تبني .

اي وعينيك انه لمفتقر ٠٠٠٠٠٠ وانسه ليستنصر ٠٠٠ والى أي
موضع يمد عينيه ، ويطلب النصرة ، الا الى النجف ؟ والى أي جيسل

يطمح ببصره ، الا الى شباب النجف ١٩ .

انني اكتب اليك هذه الكلمات وأدعي تسابق قلبي ٠٠٠٠

لست متشائماً ٠٠٠ والتشاؤم ليس من سمات الإيمان الصحيح ، ولكن
المسؤولية كبيرة جداً ايها الحبيب .

* * *

وذكرتَ قولة لبعض أدباء الغرب يهاجم بها الاسلام ، يقول : ان
دعاة الإسلام يفتنون في الأساليب التي تجبر الناس على اتباع دينهم ،
ومن أساليبهم : انهم يخوفون الناس العذاب الأليم بعد الموت اذا هم لم
يعتقوه ، ويمدونهم بأنواع المتع واللذائذ في الجنة اذا هم اتبعوه ، يصنعون
كذلك لتدفع الناس غرائزهم وانفعالاتهم الى اتباع هذا الدين . ذكرت
هذه القولة وطلبت مني الجواب عنها .

ولدي : قرأت هذه الكلمة في كتابك فلم أعجب ، فقد وقفت على
كثير من أقاويل هؤلاء ، التي يهاجمون بها الاسلام ، ويشنون الغارة عليه ،
مما هو أشدّ غرابة وأبعد شناعة ، وقد تعرضت لبعضها في مقدمة كتابي
(من أشعة القرآن) .

ولكنني عجبت من الحطة التي يهوي اليها الإنسان حين يدفعه الحقد
إلى أن يقول .

ان هؤلاء لا يتعرضون لقوانين الدنيا ، ونظمها الوضعية ، وشرائعها ،
ومبادئها ذات النفوذ والقوة ، لا يتعرضون لهذه كلها بشيء ، وهي تسن
العقاب الصارم لمن يخالفها ، أو تحدته نفسه بالخروج عليها ، بل ويمدون

ذلك منها موافقاً للحكمة ، قالقانون الذي لا يفرض العقوبة على مخالفته ،
لا يضمن لذاته البقاء .

لأنهم لا يتعرضون لها بشيء ، ولكنهم يهاجمون الاسلام وحده اذا
أراد أن يصنع هذا الصنيع ! ، وكأنهم يريدون منه أن ينقض بناءه بيده ،
فيهمل الجزاء ويسوي بين من عصى ومن أطاع ! : (أفجعل المسلمين
كالحجريم . مالكم كيف تحكمون ١٩) . (٣٥ ، ٣٦ : القلم) .

انهم لا يتعرضون لمشرعي القوانين ، وواضعي المبادئ ، والقائمين
عليها : أن يعملوا (صلاحياتهم) من أجل حفظ النظام ، وتطبيق العدل
الذي يرون ، أفيحظرون على إله الكون أن يعمل (صلاحياته) من أجل
حفظ النظام ، وتطبيق العدل الذي يريد ١٩ .

وصرخة الاسلام والقرآن في هذا السبيل انما هي صرخة النذير .
وتذكيرهما بالقيامة وأحوالها ، وبالجنة والنار وأحوالها ، انما يكون في
أحد مقامين اثنين ولا ثالث لهما أبداً .

أحد المقامين : انذار البشر عامة بالعاقبة المدمرة ، فهم واردون على خطر
مهول ، وأثر هذا الإنذار : أن يبعثهم الخوف على التأمل في البراهين التي
يقدمها لهم هذا النذير ، ما درجتها من القوة ؟ وما مبلغها من الصحة ؟
وقد زودتهم الحكمة الخالقة بركائز من الفطرة ، وأوليات من الفكر السليم .
أن يبعثهم الحذر فيتأملوا في هذه الأدلة حتى التأمل فيؤمنوا باقتناع
كامل أو يرفضوا كذلك : (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن
شاء فليكفر) . (٢٩ : الكهف) ، ومن بدهيات الاسلام أنه لا يقبل

الإيمان المسوق المجير .

انهم بعد النظر الصادق في الأدلة إمّا أن يؤمنوا بصدق النذير ،
وإمّا أن يؤمنوا بكذبه ، والنتيجة لذلك : انهم قد عَيّنوا سبيلهم ، وعرفوا
موقفهم في كلتا الحالين .

أفريد أن اقدّم لك شاهداً واحداً على ذلك من الكتاب الكريم ؟ .
أقرأ معي من اوائل سورة فصلّت ، من الآية التاسعة :
(قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له انداداً ،
ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر
فيها أقواتها في أربعة أيام ، سواءً للسائلين . ثم استوى الى السماء ، وهي
دخان ، فقال لها وللأرض : اتبيا طوعاً أو كرهاً ، قالتا : أتينا طائعين .
فقضاهن سبع سموات في يومين ، وأوحى في كلّ سماء أمرها ، وزينا
السماء الدنيا بمصابيح ، وحفظاً ، ذلك تقدير العزيز العليم .
(فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقة عاد وثمود) .
أرأيت ؟ .

انه عرض على أسماعهم وأبصارهم وعقولهم ألواناً من الآيات التي
تنير السبيل وتكشف اللبس ، وحشّتهم على التفكير فيها ، والاعتبار بها ،
فما كان جوابهم ؟ .

انهم أعرضوا وصّدوا (وقالوا : قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه ،
وفي آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب ، فاعمل اننا عاملون) .
فكان من العلاج الحكيم أن يصلك مسامعهم بهذا الإنذار المرعب :

(أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عادٍ وثمود) لعل الخوف يدفعهم فينظروا في الأمر نظرة الجد ، ويستنبثوا العقل الواعي عن حكمه في تلك الآيات .
والمقام الثاني لتذكير الاسلام بالقيامة وبالجنة والنار : أن ينذر بها أتباعه ومصدقني دعوته .

وأثر هذا التذكير أولاً : أن يمكن في نفوسهم عقيدة النشور ، فانها ثالثة العقائد الكبرى التي يقوم عليها بناء الاسلام .

وأثره ثانياً : أن يوازن في نفوسهم شعور الخوف وشعور الرجاء ، فيتكون منها المزيج القوي الفعّال المتعادل ، الذي يضع أسس التقوى في نفس المسلم ، ويوجه أخلاقه وأعماله وسره وعلايته ، وقد ذكرت هذا الأخير في رسالتي المتقدمة .

أما سؤالك الأخير : سؤالك عن بيت المال وموارده ومصادره وشؤونه وأحكامه ، فإن الحديث عنه يستدعي وقتاً طويلاً ، وبحثاً مسهباً ، وأرجو من الله أن يوفقني للقيام به في مستقبل الأيام ، فنه العون وبه القوة ،
واسلم .

تنبؤ صادق . كليات العلم الكوني معاهد تلقن الإيمان .
المفريات والمزالق . ماذا تدل عليه آية الحجاب ؟ . تفسير
الآيتين . بحث حول الحجاب .

٣٢

بغداد - كلية الطب . ٢٨ جمادى الاولى سنة ١٣٨٦ .
ولدي دمت كما أتمنى .
سلام الله عليك ، وعلى كل عزيز لديك ، ورحمة الله وبركاته ، مع
وافر شوقي ، وكثير دعائي .
وقفت على رسالتك الأخيرة ، ثم وقفت ، وطال وقوفي عليها ، وطال
تكراري اياها .
ولم يكن في الرسالة شيء جديد بالنسبة إليّ ، فكل ما تحتويه أمر
قد تفاءلت به لك منذ أولى رسالة واصلتني منك ، ومنذ أول يوم تكونت
فيه هذه العلاقة التي شدتك إليّ ، وبوأتك الموقع السامي من نفسي .
لقد ابتسمت لك منذ ذلك اليوم - ايها العزيز - ، ابتسمت للآمال
الكبيرة التي عقدتها عليك ، والتي أجذك تحدثني عن بعضها في رسالتك
اليوم ، وسأرى - ان شاء الله - ما يصدّقها جميعاً في الغد القريب . القريب .

ابتسمت لك منذ ذلك اليوم ، ولم اعرف - على وجه التحقيق -
أثر هذه الابتسامة في نفسك ، ووددت - والأمني البقطة هي الموحيات
الأولى التي ترجّه الأبوة كيف تضع الخطوط الرشيدة لساوك البنة -
وددت لو اتصلت بك من قريب ، ولو صحت هذه الأمنية لاسترحت
من كثير من السؤالات التي تبحث عنها اليوم .

نعم ، لم يكن في الرسالة شيء جديد بالنسبة إليّ ، فقد كنت عرفت
الطاقة ، وقدّرت مبلغها ، وعلمت اتجاهها ، ورغبت أن أؤدي أمانة الله
في إمدادها وتعبئتها وتوجيهها والله أمر هو بالغه .

ولكنني وقفت حتى طال وقوفي على رسالتك هذه ، وطال تكراري
لقراءتها ، لأنها تقول لي : ان المرتقى الذي كنت توسمه لولدي بالأمس ،
هو بذاته الهدف الذي يخطه لنفسه اليوم ، ويدأب في السعي له ، ويؤمن
بأنه مسؤول عنه ، ويضع طاقته و (امكانياته) في رصيده !! :
هو هو بذاته ، لم تبدل ملامحه ، ولم تضعف قوّته ، ولم ينحرف
اتجاهه !! .

سرايها الحبيب سر ، ان الغاية منك قريب جداً ، هي في تناول يدك ،
ولا يمنحك اي شيء من ان تشدّ عليها بكفك .

سرايها الحبيب سر ، ان الغاية التي تبتغيها ، ونعدّ طاقتك لها رفيعة
جداً ، ولكنها ليست ببعيدة على ذوي الكفاءات .

لا . لا يابني ، لست في بداية السلم كما تقول ، وليس الأمل بعيداً
منك كما تشير ، ولكنها الطموح والوله الشديد بالغاية يدفعان بك اليها

دفعاً ، وانت من أجلها تستبطئ ما هو عاجل ، وتستبعد ما هو قريب ١١ .
سر الى غايتك ، فالله نصيرك ما دمت تضر نصره الله ، والدعوة
الى دينه والتعريف بشريعته ، من سبيل علم الطب ، ومن سبيل إيضاح
العجائب والمدهشات التي يحتوي عليها تشريع الاسلام ، والعجائب والمدهشات
التي يشتمل عليها تركيب جسد الانسان ، والقوانين الحكيمة التي تسند
كيانه . وتدبر حياته . سر الى غايتك فالله نصيرك ومجيرك ، وسرى آثار
نصر الله لك ، ورحمته اياك في كل خطوة تخطوها ، وفي كل عقبة تمر بها .
ولكن الشرط الأول والاكبر لهذا الضمان - ايها الحبيب - هو الاخلاص .
هو الاخلاص في النية ، والاخلاص في العمل .

الاخلاص في النية ، فلا تحيد عن هدفك ، ولا تتجه فيه لغير ربك .
والاخلاص في العمل ، فلا تنزلق مع الهوى ، ولا تلين للزوات ،
ولا تذلل للمغريات .

حبيبي . . . - واسمح لأبيك ان يؤدّي بعض واجبات الأبوة ،
وان كنت اتق انك أسئ نفساً من هذه الهناة - :

انا لا أحاذرُ على عقيدتك ابداً ولا على ايمانك ، فقد مهّدت لها
الفطرة ، وحصّتها الفكرة ، وعلم الطب الذي اخترته من علوم الكون ،
ومقدّماته وتوابعه وصائر ما يتصل به من قريب او من بعيد ، كلّها مما
يعزّز العقيدة الحق ، ويشدّ بناءها ، ويثبت الايمان بها تثبيتاً قوياً لازلزلة
معه ولا اضطراب .

انا لا احاذر على ايمانك أبداً ، فالجؤ الذي أقبلت عليه ، وكل جؤ

علمي سواء مشرق بنور الحق ، ساطع بعبير الايمان ، وان حجب عنه الغافلون والمتجاهلون .

ان الايمان بالله وبقدرته وبأمر حكمته ، وبصدق الرسول محمد(ص) وصدق دينه وصدق كتابه ، يشعّ من مبضع الجراح ، وسكين المشرح ، ومجهر المختبر ، ومن كل آلة للكشف اخترعها الطب ، وكل وسيلة وضعها للوقاية ، وكل طريقة ابتكرها للعلاج ، ويشعّ من آفاق الصحة في الصحيح ، وأطواء المرض في المريض ، كما يشعّ من فكرة الأستاذ وهو يحاضر ، ومن روع التلميذ وهو يتلقّى ، وكتيّبات العلم الكونيّ ومعايده ومختبراته ومعامله معاهد تلقّن الايمان الراسخ بالله ، وتقيم الحجج الدامغة على علمه وقدرته ، قبل ان تلقّن التلميذ قوانين العلم وتفهمه نظرياته وأساسه ، وان غفل أكثر التلاميذ ، بل وأكثر الأساتذة عن هذه الحلقة من الدرس !! .

انا لا احاذر على عقيدتك وانت مقبل على هذا الجوّ المشرق بالنور العابق بالشذا ... ولكن .

ولكن المغريات ، والمزاليق الكثيرة المتنوعة ، المبتوثة في كلّ سبيل ، هذه هي التي أحوّل ولدي منها ، وأربأ به ان يستذلّها ، او ينخدع باغرائها . وغابتك اكبر وأسمى من هذه المنحدرات والمباعات . والله سبحانه هو العاصم الكافي ، ومنه أسأل ان يزودك بعصمة من تقواه .

هذه المغريات الكثيرة بجميع ألوانها ، وبمختلف فنونها وأساليبها ، لست اخص منها صنفاً ولا نوعاً ، هذه الصوارف التي تعترض سبيل الشاب أنّي سار ، وأنّي أتجه ، فتحوّل وجهه عن الله وهو يريد القرب منه ،

وتشغله عن هدفه الذي رسمه لنفسه ، وتبدد طاقته التي جمعها ، وتصرفه عن غايته الكبرى أو تكاد !! .

لا . لا . إنك اسمي من ذلك وأبعد ، ولكنها قولة أردت أن أزيدك بها بقطة وحذراً .

وبعد ، فإن رسالتك قد احتوت عدداً من الأسئلة ، وكل واحدٍ من مؤالاتك يقتضي جواباً مبسوطاً ، وانت تعلم بوقت ابيك ، وشدة مضايقاته ، ولذلك فسأعرض في رسالتي هذه لجواب مسألة واحدة منها ، وادع الباقي لرسالة اخرى .

سأعرض في هذه الرسالة لحديثك عن المرأة ، وللنواحي التي تطرقت اليها من شؤون المرأة واحكامها في الاسلام ، وسأختصر في الجواب ، نزولا على حكم المضايقات التي أشرت اليها ، وأحاول ان يكون الحديث - على اختصاره - وافياً بالمرام .

تعرضت للآية الكريمة الحادية والثلاثين من سورة النور : (وقُلْ للمؤمنات يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ (٥٥٥٥٥)) وسألت عن معنى قوله تعالى فيها : وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا . وقوله فيها : وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ، وقلت : ما هي الزينة التي استثنيت في الجملة الأولى ، فايح للمرأة المسلمة ان تظهرها لغير البعل وغير المحارم من الرجال ؟ ، وتساءلت : كيف يكون شكل الحجاب ، اذا أخذ من هاتين الجملتين ؟ .

ثم سألت عن الحجاب المعروف اليوم ، وعن مدى انطباقه على الحد الشرعي للحجاب في الاسلام ، وهل عرفت المسلمات في صدر الاسلام هذا المقدار من الحجاب ، فأخذن به على أنه هو المقدار الواجب ، لا على سبيل المبالغة فيه ؟ .

وأودّ ان اقف معك وقفة قصيرة على تفسير الآية الكريمة ، لنستوضح الجواب عن النقاط المسؤول عنها ، وسابقة هذه الآية آية أخرى تقرأ معها في السياق ، وتتصل بها في المعنى ، وترمي معها الى هدف واحد ، بحيث يتألف من كلتا الآيتين درس واحد متكامل في الحجاب ، وهما توميان الى بعض الأسباب التي شرّع من أجلها هذا الحكم في الاسلام ، فمن المجدي ان نتعرض لكلتا الآيتين ، وقبل الدخول في الموضوع أود أن تقرأ الفصل (٢٤) من كتاب (العفاف بين السلب والایجاب) ففيه أحاديث لاخفي عنها في ايضاح معنى الآيتين الكريمتين ، ولا موجب لتكرارها في هذه الرسالة . ان الاسلام يرمي الى انشاء مجتمع طاهر نقي ، منزّه في صلاته وعلاقاته ، وفي اخلاقه وعاداته واعماله ، عن كل ما يخل بالطهر ، أو يخذش بالكرامة ، أو يهبط برفيع الأخلاق ، وسامي الصفات والعادات ، وتحقيق هذه الغاية يتطلب من الاسلام نظرة جادة واعية ، تحيط بكل ما يخذش وما يريب ، وبالأبواب التي تنفذ الى ذلك ، والذرائع التي تؤدي اليه ، ثم يتطلب منه - بعد هذه الإحاطة - علاجاً حاسماً شاملاً ، بقي الأفراد ، ويوصد الابواب ، ويستد الذرائع .

عليه ان يقوم - أولاً - بتحديد جرثومة الداء ، وضبط مؤثراتها ،

واسباب نموّها وانتشارها ، ويقوم - ثانياً - بدور الوقاية العاصمة ، التي
تحمّر الداء ، وتمنع العدوى ، وتكسب المناعة ، ثم بدور العلاج الحاسم
الذي يببّد الجرثومة ، ويبحثّ الأعراض ، ويضمن الصحة .

وكذلك صنع الاسلام ، والآيتان اللتان زبّد التحدث عنها تتكفلان
بناحية واحدة من تلك النواحي ، انها تتكفلان بحسم الفساد الذي يصيب
الآحاد ، ثم بطرق المجتمع من طريق النظرة الخائنة ، وما يمهّد لها من بواعث ،
وما يتبعها من أحوال وشؤون .

والنظرة الخائنة - بالمعنى الذي عنه الاسلام ، وأومات اليه الآيتان
الكريمتان - هي أوسع الابواب التي يتطرق منها هذا الوباء وينتشر ،
وهي اشدّها خطراً ، وأقواها تأثيراً ، ولا بدّ للمشرّع من أن يلاحظ كل
اولئك بنظر الاعتبار ، فيتخذ له أهبتّه ، ويضع للداء ما يستأصله من الدواء .
والإجراء الأول الذي اتخذه الاسلام في هذا السبيل : هو حكمه على
الرجال ، وعلى النساء بوجوب غضّ البصر : (قل للمؤمنين يغضوا من
أبصارهم وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن) .

والغضّ في اللغة : النقص والخفض ، فيقولون : غضّ منه ، اذا
انتقصه وخفض من قدره ، ويقولون : لاغضاضة في الأمر ، اي : لانقص
ولا ضعة ، وفي سورة الحجرات : (ان الذين يغضون اصواتهم عند
رسول الله) اي يخفضونها ، وعلى هذا ، فمعنى الغضّ من البصر ان
يخفضه الانسان ، فلا يمتدّه الى ما لا يحلّ له النظر اليه ، وفي عقيدتي ان
معنى الجملة اوضح من أن يحتاج الى تفسير .

(قل للمؤمنين : يغضّوا من أبصارهم) ، فلا ينظروا الى مالا يسوغ لهم النظر اليه ، وستوضح لهم الآياتان من يجوز النظر اليه من الأشخاص ومن لا يجوز ، وما يباح النظر اليه من مواقع النظر وما لا يباح .
(قل للمؤمنين : يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم) . واقرآن هاتين الجملتين - وخصوصاً بملاحظة اقترانهما في كلتا الآيتين - يوحى بصلة قريبة قوية ملحوظة في التشريع ما بين غض البصر وحفظ الفرج . وحفظ الفرج عن التعدي والانزلاق في الرذيلة : هو الغاية المهمة المقصودة من الحكم بوجوب غض البصر ، والنظرة الحائنة : هي السبب الأوّل والأقوى الذي يمهّد لهذا الانزلاق ، فلعل الجملتين تشيران الى ذلك ، فهما توميان الى حكمة التشريع ، والصلة القريبة الملحوظة ما بين غض البصر وحفظ الفرج - على هذا التفسير - هي الصلة ما بين الوسيلة والغاية .
وفي الآثار الواردة عن اهل البيت (ع) : ان المراد بحفظ الفرج في هاتين الآيتين : هو صونه عن أن ينظر اليه ، وعلى هذا التفسير ، فالصلة ما بين مضموني الجملتين قريبة جداً ، فكلماتهما لتحديد مواقع النظر ، ووجوب كفه عما لا يحل ، فيجب على كل مؤمن ان يغض بصره عن كل محرم ، وان يحفظ فرجه عن كل ناظر ، عدا ما دلت التصوص الكريمة على استثنائه ، واذا وجب على كل مؤمن ، وعلى كل مؤمنة ، أن يصونا فرجهما عن كل ناظر ، فقد وجب عليهما ان يحفظاه عن أي تعدّ وأي انزلاق .

(ذلك اذكى لهم) اذكى لنفوسهم وقلوبهم ، وأطهر لاجتماعهم

وعلاقتهم ، وأبعد لهم عن التواءات الغريزة ، وما تجرّ وراءها - اذا أثرت -
من مخازي يوجبها الانطلاق ، أو عقد ومتاعب نفسية يسببها الحرمان ،
وهي حين تستثار بغير سبلها المشروعة ، فانها تنتهي الى إحدى النهايتين
لا محالة .

(ذلك اذكى لهم) ومن أجل هذه الزكاة شرّع هذا الحكم ، ومن
أجل هذه الزكاة شرّعت جميع احكام الحجاب .

(ان الله خبير بما يصنعون) ، وانها لرقابة شديدة محيطية ، لا يفلت
من قبضتها سر ولاعلن ، ولا قول ولا عمل ، ولا اغضاء جفن ، ولا
حركة لحظ ، ولا خاطرة قلب . رقابة الله الخبير بما يصنعون ، الحسيب
على ما يسترّون وما يعلنون ، والعبد المؤمن يستشعرها عقيدة ثابتة ، تمتلئ
بها مشاعره ويقوم عليها ايمانه ، فيكون - من أجلها - يقظان الحسّ ، يقظان
الضمير ، دائم المراقبة لأعماله ، دائم المحاسبة لنفسه عليها .

وقد تنشز بالمرء احوال يتبلّد فيها ضميره ، أو يغفل ، أو ينخدع ،
فلا يؤنب على مخالفة ، ولا يحاسب على تقصير ، والآيات القرآنية تذكره
برقابة الله العظيمة ، القادرة القاهرة ، ليكون دائم اليقظة ، دائم الحذر .
وتأتي الآية الثانية ، لتلقي الى النساء ذات الأمر الذي القته الآية
الأولى الى الرجال ، ثم لتتبعه بالمهمّ الوائى من احكام الحجاب : (وقل
للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ، ويحفظن فروجهن) قل لهن كما قلت
للرجال المؤمنين من قبل : ليغضضن من ابصارهن ، فلا يمددنها الى اي
محرم ، وليصنّ فروجهنّ عن ايّ ناظر ، ثم عن ايّ تعد . قل للمؤمنين

وقل للمؤمنات : يصنعوا كذلك ، فالؤمن أولى الناس جميعاً باطاعة أمر ربه ، وأحذرهم عن مساخطه ، ثم هو أشدهم محافظة على تزكية نفسه ومجتمعه ، وعلى اعلاء صفاته وأخلاقه .

وكلمة المؤمنين في مطلع الآية الأولى ، وكلمة المؤمنات في مطلع الآية الثانية ، بمثابة سياج حصين يبين حدود المجتمع الأسرى ، الذي تشرع لصيانته هذه الأحكام .

وكلمة (ويحفظوا) - في مجالها الخاص من الآيتين - أدلّ على وجوب الصون وابتغاء العفة الكاملة من أية لفظة سواها .

(ولا يبدین زینتهنّ الاّ ما ظهر منها) والزينة هي كلّ ما من شأنه ان يحصل الجمال ، أو يظهره ، او يضاعف جاذبيته ، والزین رغبة أصيلة في نفس كل أنثى ، لا تختلف مع المجتمعات ، ولا مع العصور ، وان اختلفت معها وسائل الزينة وطرائقها ، كما اختلفت معها مقاييس الجمال . ومن حق المرأة ان تلبّي هذه الرغبة ما دامت فطرية أصلية في نفسها ومن حقّها ان تفتنّ في تليتها ، اذا كانت الوسائل والطرائق التي تستخدمها لذلك مشروعة نظيفة ، ولكن ليس من حق المرأة أن تعرض زينتها على اي ناظر أرادت . ان هذا حق تنتهي شرعيته حيث تبسّداً الفتنة ، أو تنطرق الريبة ، فلا يباح للمرأة ان تبدي زينتها حين ذاك .

(ولا يبدین زینتهن) وجليّ انّ المراد : ولا يبدین مواضع الزينة من أجسادهن ، فان الزينة ذانها - اذالم تصحب شيئاً من اعضاء المرأة - لم يجب حجابها ، ولم يحرم على الأجنبي النظر اليها .

وجليّ كذلك : ان المراد : ولا يبدین مواضع الزينة من أجسادهن ،
وان كانت تلك الاعضاء عاطلة من الزينة بالفعل ، والتعبير بزینتهن تجري
الآية فيه مجرى الغالب ، ثم هي تلمح الى ان الزينة : هي مبعث الفتنة
والإغراء ، فهي أخرى بان تستر وتضام ، وأن تكون من حق رجل
واحد ، هو شريك المرأة في الحياة ، وان لا تبدى لغيره من الرجال ،
الا الذين تؤمن منهم الفتنة ، وتعدم الريبة .

وجليّ أخيراً : ان المراد : ولا يبدین من أجسادهن حتى المواضع
الأخرى التي لم تجر العادة بوضع شيء من الزينة عليها ، وهذه كبعض الاعضاء
الخفية من جسد المرأة ، ودلالة الآية الكريمة على وجوب سترها واضحة
لا تخفى .

وبعد استيضاح هذه المعاني من الآية الكريمة ، فلا بد وأن يكون
المراد بقوله : (الا ما ظهر منها) : الا المواضع الظاهرة بذاتها من مواضع
الزينة .

وقد اختلفت اقوال المفسرين والفقهاء في تحديد هذه المواضع المستثناة ،
والذي يظهر لي من ملاحظة مجموع هذه الجملة ، ومن قوله تعالى في الجملة
الآية بعدها : (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) ، ومن ملاحظة الآثار
الواردة عن الأئمة المعصومين (ع) في تفسير الآية الكريمة : الذي يظهر
من ملاحظة ذلك ، ان المراد بما ظهر من مواضع الزينة : الوجه والكفان ،
شريطة ان لا يكون في إبدائها فتنة ولا ريبة ، اما اذا اوجبت ذلك ،
فان النظر اليها محرم بالاجماع ، وهي وغيرها من مواضع الزينة سواء بسواء

كما قلت في كتاب (العفاف بين السلب والایجاب) .

(وليضربن بخمرهن على جيوبهن) والخمار هو ما تغطّي به المرأة رأسها وشعرها ، والجيب فتحة الثوب مما يلي الصدر ، واذن فلا بد لها من خمار ، او ما يفيد فائدته من ستر الرأس والشعر ، واذن فلا بد من ستر شعر الرأس حتى ما احاط منه بالوجه ، وليس هو من الزينة التي استثنتها الآية الكريمة فأباحت ابداءها ، واذن فلا بد من ستر الرقبة والصدر وما يتصل بها .

هذا ما يجب على المرأة ستره عن كّل أجنبي ، غير ما استثنته الآية: جسدها كلّّه ، وجميع مواضع زينتها ، الا ما ظهر منها ، وما ظهر من مواضع الزينة انما يسوغ للأجنبي النظر اليه اذا لم يوجب فتنة ولا ريبة ، وقد عرفت المؤمنات في صدر الاسلام هذا المقدار من الحجاب ، وأخذن به على سبيل الوجوب ، والرواية التي اشرت اليها في كتابك - اذا صحت - فهي بعض الشواهد على ذلك : رواية (فما منهن امرأة الا قامت الى رططها الرجل فاعتجرت به) ، واقول : اذا صحت ، لأنها لم ترو من طرفنا المعتمدة ، وقد اخرجت في سنن ابي داود ، وبمعناها رواية أخرى أخرجه البخاري .

عرفت المؤمنات في صدر الاسلام ذلك المقدار من الحجاب وأخذن به على سبيل الوجوب ، وعرف الكثير منهن النقاب ، وخصوصاً الشابات ومن يقاربهن في السن والجمال وأخذن به حذراً من الوقوع في الريبة ، والنقاب ان تدبر فضل خمارها على فنها وما يتصل به من محاسنها . وعرف

الكثير منهم الجلباب ، ولا سيما بعد نزول قوله تعالى في سورة الأحزاب :
(يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن .
ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً) وقد تحدثت حول
هذه الآية الكريمة في الفصل ٢٥ من كتاب (العفاف بين السلب والایجاب) .
(ولا يبدین زینتهن الا لبعولتهن) والبعل هو صاحب الحق المطلق
في الاستمتاع بزينة المرأة ، ما ظهر منها وما بطن ، ومن حقوقه على الزوجة :
ان لا تقصد بزینتها احداً غیره ، ولا تبليها لناظر سواه ، عدا من تمحی
لديهم الفتنة ، ويبطل الإغراء ، وهم الذين ذكرتهم الآية ، والحقتهم في
هذا الحكم بالأزواج .

على فارق كبير بين هؤلاء وبين الأزواج ، فالبعل يجوز له النظر الى
اي عضو شاء من أعضاء المرأة ، ولا يباح ذلك لأحد من هؤلاء .
(ولا يبدین زینتهن الا لبعولتهن ، أو آبائهن ، أو آباء بعولتهن
أو أبناءهن ، أو أبناء بعولتهن ، أو اخوانهن ، أو بني اخوانهن ، أو بني
اخواتهن ، أو نساتهن ، أو ما ملكت إيمانهن ، أو التابعين غير اولي الاربة
من الرجال ، أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن
بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زینتهن ، وتوبوا الى الله جميعاً - ایها المؤمنون -
لعلکم تفلحون) .

وأحسب ان معاني هذه الجمل من الآية الكريمة واضحة ، لا تحتاج
الى تفسير ، ولا يتوقف عليها الجواب .

عزيزي : لقد طال الجواب ، وطال التأخير مني ، وطال الانتظار

منك ، لاسباب لاتفهم اكثرها ، فاليك معذرتي مع وافر شوقي ، ونجباتي
الكثيرة لك ولمن يعز عليك ، واسلم .

تباير . الشخصية . تعريفها . الشخصية الاسلامية
المتكاملة . اساسها . مقوماتها . ابعادها . تثقيف الفتاة .
معاهد التثقيف . الادوار الاجتماعية التي تقوم بها المرأة .
العبودية البيولوجية للمرأة . لاينكر الاسلام قابلية المرأة .
الثقافة التي يريدتها الاسلام للمرأة . علم الدين .

٣٣

بغداد - كلية الطب . ٢٠ شعبان سنة ١٣٨٧ .
ولدي الحبيب النجيب ٠٠٠٠٠ دمت في حفظ الله وأمنه من كل
ما اخشاه عليك .
نحية الاسلام المباركة ، وأماني الأبوة الطيبة ، وأحلام الحب المشرقة ،
ومن الله سبحانه أسأل لك مزيداً من توفيقه ، ومدداً من رشدك ، وقبساً
من نوره يضيء لك كل ظلام ، ويكشف لك كل خفاء ، ويثبتك عند
كل اضطراب .
عزيزي ٠٠٠ : أسمع نياً ذلك الرجل الذي خرج من أهله ليقبس
لهم ناراً ، فسافر عنهم سنة كاملة ، ثم عاد من سفره ، واقتبس في طريقه
لهم ناراً ، وأقبل بها يعدو ، فسقط على وجهه ، وتبدد الجمر من يده ،
فقام مسرعاً وهو يقول : تعست العجلة ،

لعلك تذكر هذا المثل ، حين نصلك رسالتي لتجيبك على سؤال أرسلته اليّ قبل عامين .

وقد تعجب كثيراً اذا قلت لك : عامين ، لان المدة لا تبلغ هذا المدى في ما نظن ! .

نعم ، بعد عامين وأيام من التأريخ الهجري لرسالتك العزيزة .
وأرجو ان لا يعجلني طبع الرسائل ، فأبدّد المادة التي أريد تقديمها ،
وأضطر الى سبب العجلة ، كما صنع قائل المثل ، وعلى أي حال فانك
قد خبرت من أحوالي وأعمالي ما يكفيني عن العذر ، فانا في سعة من ذلك .
ولدي : اتصلت بك برهة ضاعفت لي الدلالة على صحة آمالي التي
أملت بها بك ، وأثبتت صواب محطّاتي التي كنت توسمّتها لمستقبلك ،
وبضاعف مسرّتي أني اجد رغائبك وآمالك تنساق الى الإنجاء الذي أحبيته
لك ، والى القمة التي رجوتك لها ، وأنك من الغاية المأمولة جدّ قريب .
نعم جدّ قريب ، ولم تبق عليك غير بضع خطوات في مبادئ
الشخصيّة ، تضعها باتزان وتجتازها بحزم ، ونجاحك الذي أشرفت عليه
في كلية الطب إحدى الخطوات ، أمّا الخطوات الباقية ، فكلها تعود الى
نجاحك الكامل في تربيّتك النفسيّة على ضوء مناهج الاسلام .

الشخصيّة الإسلامية المتكاملة ، التي تفتح لك المغالق ، وتذلّل لك
المصاعب ، وتبهر لك السبل في مناهات هذه الحياة . وتجمع لك السعادة
بكل أطرافها وبكل أبعادها .

الشخصيّة الإسلامية المتكاملة ، فهل تسمح لي أن أحدثك عنها

بإيجاز ؟ .

وموضوع الشخصية الإسلامية يستدعي بحثاً مسهباً يحيط بمقومات الشخصية وسماتها ، وعطائها ، ومعطياتها .

يستدعي بحثاً مسهباً : لأهمية الموضوع ذاته ، ويستدعي بحثاً مسهباً : لتعدد جوانبه ، ولكنني سأحدث عنه بمقدار ما تتحمله رسالة ، وبمقدار لا يزاحم جواب سؤالك فيها ، فما هي الشخصية ؟ .

مجموعة من السمات والخصائص ، تجمع فتكوّن للفرد هوية خاصة تميزه عن الأفراد الآخرين ، وبمقتضى علوّ تلك الصفات والخصائص وهبوطها ، واستقامتها وانحرافها ، يتعبّن مركز ذلك الفرد في مجتمعه ، علواً وهبوطاً ، واستقامة وانحرافاً ، وهي سرّ نجاحه أو إخفاقه في الحياة ، وهي أساس قبوله أو رفضه لدى الآخرين .

هذه هي الشخصية ، فإذا تألف من تلك المجموعة نظام كامل مترابط سميت الشخصية متكاملة .

وتقابلها الشخصية المنحلة المفككة : التي لا يكون بين مجموعة صفاتها ترابط ، وتقابلها من وجه آخر الشخصية القلقة : التي تصطرع فيها عدّة من الصفات المختلفة النزوع ، للتضادة الإنجاء .

والشخصية الإسلامية المتكاملة : هي التي تكون مجموعة الصفات والخصائص فيها كلها من صنع الاسلام ومن إشعاعه ، ويكون الترابط ما بينها على ضوء مناهجه وتربيته .

هي التي يصوغها الإسلام وفق مناهجه ، ويمدّها من قوّته ، ويوجّهها

الى غايته ، فلا ضعف ولا قاق ، ولا تفكك ولا انحراف .
ومن أهداف الاسلام الأولى أنه يسعى ليصوغ أبناءه كافة على الوجه
الذي يريد ، ولكن الأبناء يرغبون - أو يعجزون - عن هذه الغاية ،
فيعتصون المنهج ، ويقبسون من الاسلام ومن سواه ، ويخرجون من هذا
الخلط الشائن بشخصيات مرقعة ، لا تستطيع أن تحمل عبءاً ، ولا
تستقيم على وجهة .

ولدي العزيز : والأساس الذي يقوم عليه بناء الشخصية ، وترتكز
عليه ، وتستمد منه جميع قوتاتها ، والمحرك الذي يوحد وجهتها ، ويدبر
حركتها ، هي العقيدة بالله :

بالعلة التي أبدعت هذا الكون وأوجدت هذا الكائن ومدتها بالتدبير .
والنفس مولعة بالبحث عن مبدأها الذي عنه تكونت ، وموئلتها
الذي اليه تصير ، فإذا هي اعتقدت بخالقها وآمنت بوجوده ، استقرت
وهدأت ، والآ عاشت في حيرة مجعدة ، وقلق دائم ، فلا هدوء لها ولا
قرار .

والعقيدة بالله هي الأصل الأعظم من أصول الاسلام ، فلا يثبت
لإسلام أحدٍ إلا بها ، وهي إنما تكون أساساً للشخصية وسبباً لتكاملها ،
إذا استمكن الإيمان بها في نفس الفرد ، بحيث عم جميع آفاقها ، واستبان
آثره في جميع اتجاهاتها .

إن الفرد ليؤمن بالله ، ويفكر في لطفه به ، وجميل صنعه ، وعظيم
تدبيره ، ومتواتر نعمه التي لا تقطع ، وبرّه الذي لا ينهي ، فيستشعر

في قلبه حب الله حباً عميقاً ذاتياً يأخذ عليه أقطار نفسه ،
ويمتزج بقواه ومشاعره .

حباً ذاتياً ، جوهره تعلّق المعلول بغائته ، وافتقار الموجود الى موجدّه .
وكيف لا يأخذ حبّ الله عليه أقطار نفسه ، وهو يعلم أنّها بعض
هباته ؟ ! ، وكيف لا يمتزج حب الله بقواه ومشاعره ، وهو يعلم أنّها جميعاً
بغض عطاياه ، وهو يطلب منه المزيد والمدد فيها وفي سواها ؟ ! .

ويفكّر في رقابة الله العظيمة ، وعلمه المحيط بالسّر والعلانية والصغيرة
والكبيرة ، وفي أخذه الشديد بسّيء العمل ، وعذابه الأليم على موبق
الخطيئة ، فيستشعر الخوف من الله . خوفاً بالغاً يملك عليه ارادته ، ويوقظ
ضميره ، ويؤدّب غرائزه وانفعالاته .

ويسيطر الايمان الراسخ بالله ، والحب العميق له والخوف الشديد
منه على مشاعر ذلك الفرد ونزعاته ، فلا تنطلق الا حيث يريد الله ،
ولا تسير إلاّ وفق رخصه وأوامره ، وكيف يتسامح في طاعة الله وهو
يحبّه ذلك الحب العميق ؟ . وكيف يجترئ على معصية الله وهو يخافه
ذلك الخوف الشديد ؟ ! .

وفي إشعاع الايمان بالله ، وفي ظلال حبه والرهبة منه يستكمل الفرد
صفاته الوجدانية والخلقية والاجتماعية ، وتتحدّد صلاته بالأفراد الآخرين
ومنزله في المجتمع ، ومهامه فيه .

وفي إشعاع الايمان بالله ، وفي ظلال حبه والرهبة منه ، وبعطاء شريعة
الله وأثر تربيتها الحكيمة ، تنمو الصفات وتثمر وتربط ، وتتكامل الشخصية

وتسمو منزلتها في المجتمع ، وتعظم مهماتها فيه .

وفي اشعاع الايمان ، وفي ظلال حب الله وعطاء شريعته ، ترتفع الشخصية في جميع الميادين ، وترتفع حتى تصبح عبقرية نادرة المثال .

ولدي : هذه المامة قصيرة توضح لك معالم الشخصية وأبعادها ومعطياتها في الاسلام ، الشخصية الحية لكل نفس ، الرفعة في كل مدى ، الفائزة في كل سبق ، المامة قصيرة تغني عن بحث طويل ، ولعلي أعود الى الحديث في رسالة أخرى قريبة ان شاء الله .

وبعد هذه المطارحة اعود الى رسالتك . الى سؤالك الثاني فيها .

وسؤالك هذا حول تثقيف المرأة وتعليمها .

قلت : ان الاسلام أمر بطلب العلم ، وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وأمر كل ذكر وأنثى بالتدبر في حكمة الله ، ودلائل قدرته في صفحات الوجود ، واستخدام العقل والعلم في ذلك ، وانكر على الفرد - ذكراً كان أو أنثى - ان يعيش في غياهب الجهل والحمول العقلي ، ثم قلت : ولكن الاسلام - الى جنب ذلك - يأمر المرأة بلزوم البيت وعدم مغادرته الا لضرورة .

وسألت : كيف يتسنى للمرأة التي تلزم البيت ولا تغادره : ان تطلب العلم ، وتحصل على الثقافة الصحيحة ، وكيف يفتح عقلها ، وينضج تفكيرها ، وتكتسب الخبرة في شؤون الحياة ، وهي رابضة في قعر دارها ، ولا تخرج الى معهد أو دار علم ، ولا تحتك بالمجتمع كي تصقل تجاربها ؟ . والسؤال الذي تذكره ليس جديداً في التاريخ ، فهو أحد الوجوه

التي يحتاج بها دعاة السفور على منع الحجاب ، يقولون : ان حجاب المرأة يمنعها عن التهذب والتعلم ، وكيف تهذب وكيف تتعلم ، وهي من وراء حجاب ؟ .

ومن سبق الى هذا القول وهذا الاحتجاج من الادباء العرب ، الاستاذ قاسم امين في كتابه (المرأة الجديدة) .

هكذا يقولون ، وهكذا يحتجون ، كأن من شروط تحصيل العلم والثقافة ، وتفتح العقل ، ونضج التفكير ، واكتساب الخبرة في شؤون الحياة ، أن تختلط المرأة مع الرجال ! وكأن دور العلم ومعاهد التدقيق يجب ان تكون مختلطة ، فان سمحنا للأنثى بدخولها ، والا فقد كتبنا عليها ان تبقى جاهلة خاملة !

لماذا لا نفتح لفتياتنا المدارس والمعاهد والكلبيات الخاصة بهن ، التي تصونهن عن الاختلاط ، وتبلغ الفتاة الدرجة التي تتطلع اليها من الثقافة ، والفرع الذي ترغب الاختصاص به من العلم ؟ .

لماذا لا نفتح للفتيات المدارس والمعاهد العالية الخاصة بهن ، ونهيء لمن الاستاذات القديرات ذوات الكفاءة ، اللاتي يضمنن لتلميذاتهن بلوغ الغاية في أي حقل من حقول الثقافة ، وفي أي فرع من فروع العلم ؟ .
أمّا أن نوصد في وجوه الفتيات أبواب التدقيق الا في المعاهد المختلطة ، ثم نقول للاسلام : عليك أن ترفع الحجاب عن المرأة وتسمح بدخولها هذه المعاهد ، والا فانك قد حرمتها حقها من الثقافة وطلب العلم .
او انك قد تناقضت في تعاليمك ، كما تقتضيه عبارة السؤال .

أما ان نفعل نحن حسب مشهياتنا ما نشاء ، ثم نحمل الاسلام التبعة ،
ونلقي عليه المسؤولية فهذا هو المنطق المتوحي ، وعلى اي حال فالاسلام
لا يقبل هذه المساومة .

بلى ، ان الاسلام يطب كل داء ، ويحل كل مشكلة ، ولكنه لا
يتبنى منتجات النظم والمبادئ الأخرى ، ولا يصحح أخطاءها ، ولا يقبل
كبراتها ، ولا يتم نقصانها ، وشأنه في هذه الظاهرة شأن المبادئ التي
تحرّم ذواتها ، وتأتي على مقرّراتها وقواعدها ان تتناقض أو تتعارض .
انها لا تتبنى منتجات سواها ولا تتحمل تبعاتها .

ان الاسلام أمر المرأة ان تحتجب عن غير المحارم والزوج من الرجال ،
وقد تعرضت لبعض وجوه الحكمة في هذا العلاج الاسلامي في رسالة سابقة ،
وامرها ان تلزم بيتها تمكيناً لهذا الحكم وتبعيداً لها عن الاختلاط ، ولكنه
لم يمنحها ان تخرج الى معاهد التدقيق ودور العلم ، اذا كانت هذه المعاهد
والدور مختصة بالاناث ، بعيدة عن الاختلاط ، ولم يمنحها أن تخرج لتقوم
بوظيفة اجتماعية لا تؤدي الى الاختلاط ، كالتطبيب للنساء والاطفال ،
والتدريس الابتدائي او المتوسط أو العالي في معاهد الفتيات ، ولم يمنحها ان
تبرز في اي ميدان من ميادين العلم لتقوم بواجب علمي ، او واجب
اجتماعي ، لا تختلط في ادائه مع الرجال .

لم يمنحها الاسلام ان تخرج من بيتها لتقوم بشيء من ذلك او ما
يشبهه ، اذا هي لم تخالف في خروجها حكماً من احكام الشريعة ، ولم
تهدر حقاً من حقوق الزوج ، او واجباً من واجبات التربية للاطفال ،

الأمور التي كوّنت المرأة لها بحسب الطبيعة . وقد تحدثت عن هذا في كتابي
(من اشعة القرآن) .

والمرأة التي تقوم بهذه الادوار المهمة الاجتماعية والعلمية ، ليست
منفصلة عن المجتمع ، وان كانت من وراء حجاب ، ليست منفصلة عنه
ابداً ، فيحصل لها من الاحتكاك الكافي به ، والاتصال الدائم بمعطياته ،
والتأثير والتأثر بنتائجه ما يوصل تجاربها ويضعف خبرتها في شؤون الحياة .
والاخذ والرد في الآراء والتفاعل في المشاعر لا يتوقف على خلع
الحجاب بين الرجل والمرأة ، اذا كانت المرأة مزودة بالثقافة الكاملة ،
وبالفهم الصحيح للحقوق والواجبات والمبادئ والغايات .

واذا كثر في النساء من هذا الصنف المتيقظ الوعي ، المتوسط او
العالي الثقافة ، كان لمن جو اجتماعي كامل يتبادل مع محيط الرجال الرأي ،
ويتفاعل معه في النتائج ، ويتآزر معه على بلوغ الاهداف .

وقلت في رسالتك : ان بعض الكتاب أوما من بعيد الى عدم لزوم
الخبرة والتجارب في الحياة للمرأة ، فانها مستغنية عنها ، وهي انما تحتاج
الى ما تدبر به مملكتها الصغيرة : بيتها . زوجها . أطفالها .

ولا أدري ما يقصد هذا النفر من الكتاب بعد ان كانت إجماعه
من بعيد .

لا تفتقر المرأة الى تجارب في الحياة ، ولا تفتقر الى خبرة في شؤونها ،
ماذا يعني هذا القول ؟ ! والى أي حد ينتهي ؟ ! والنساء لسن على مستوى
واحد ، ولا الى انجاه واحد ، وحاجة بعض النساء الى الخبرة والتجربة لا

تقل عن حاجة الرجال .

ماذا تعمل التاجرة التي ورثت عن أبيها أو قريبها تجارة كبيرة متعددة الجوانب ، متسعة الأقطار ، الا تفتقر الى تجارب وخبرة تدبر بها تجارتها ، وتدبر عمّالها ومعاملها وان كانت من وراء حجاب ١٩ .

والملاكة التي انتقلت اليها بالوراثة الشرعية وفرة من الاراضي والاملاك ، متباعدة الأمكنة مختلفة الانتاج ، الا تحتاج الى خبرة وتجارب تدبر فلاحها ووكلاءها وتستثمر أراضيها ، وان كانت لا تختلط بالرجال ١٩ .

...و...

وملكنتها الصغيرة : بيتها ، زوجها ، أطفالها ، أسرته ، الا تفتقر في تدبيرها وحسن رعايتها الى خبرة واسعة وتجارب مضمونة ١٩ .

لا أظن أن اولئك الكتاب يمحذون ذلك ، ولقد بلغ مجتمعنا الرأهن ما بلغ من زهول الأفراد ، ونقصان التربية ، وجحيم الأسرة ، ولجهل المرأة وضعف تجاربها وقلة خبرتها الأثر البالغ في كل اولئك ١١ .

أمّا العبودية البيولوجية للمرأة ، التي أشرت اليها في رسالتك ، وقلت : إن لها إسهاماً كبيراً في نظرة اولئك الكتاب ، فإنها لا تتفق وتعاليم الإسلام ، ولا يعول عليها كاتب اسلامي يعرف ما يقول .

وهي فكرة حديثة وضعها بعض المتطرفين من أنصار حرية المرأة ، ليبر بها ما يقول .

يقول هذا البعض : إن الرجل فرض سيطرته على المرأة ، وأوحى اليها أنها لا تستطيع الإستقلال عنه ، وخضعت المرأة لسيطرته ، وأذعن

لإيمانه ، وبتطاول الأزمان والعصور ، هيأت الطبيعة أعضاء المرأة للعبودية ،
وعدم الاستقلال . إقرأ كتاب (المرأة في عصر الديمقراطية) .

هي فكرة لا تقرّها قواعد الإسلام وتعاليمه ، ثم هي بعدُ نظرة
يعوزها السند المثبت من العلم ، ومن التاريخ .

واختلاف المرأة عن الرجل لا يعود الى شكل الأعضاء وتركيبها
فحسب ، بل يعود الى ما هو أدقّ من ذلك وأشمل ، الى الخلايا التي
يتألف منها جسد المرأة وجسد الرجل ، والى إفرازات الغدد التي تبعث
الحوية وتوجّه النشاط ، والى الخلّة التناسليّة الملقّحة التي خلقت منها
الأنثى ، والأخرى التي خلق منها الذكر ، وفي كتاب (الانسان ٠٠٠ ذلك
المجهول) بحوث نافعة في هذا المجال .

وذكرت قابليّة المرأة للنّبوغ ، والتفوّق الفكري في مختلف المجالات
العلميّة والفنّية ، وأشارت الى عدّة من الشّواهد على ذلك ، وأسهمت بعض الإسهاب
فيه ، ثم قلت : الا يعدّ حجب المرأة في البيت تعطيلاً لقابليّة فذّة ، وقتلاً
لمواهب لو أتيحت لها الفرصة لساهمت في خدمة البشريّة مساهمة فعّالة ؟ .
والإسلام - أيها العزيز - لا ينكر قابليّة المرأة ، وهو دين الله
الذي آتانا هذه القابلية ، والله لا يمحّد ما وهب .

الإسلام لا ينكر قابليّة المرأة ، ومن أجل ذلك فرض عليها طلب
العلم كما فرضه على الرجل ، وفسح لها باب العمل كما فسحه للرجل ،
ووعدها بالدّرجات الرفيعة والحياة الطيّبة - اذا عملت صالحاً - كما وعد
الرجل ، سواءً بسواء ، ولا يهتمّني الآن أن تكون قابليّتها الفكرية توازن

قابلية الرجل أو تنقص عنها ، كما يقول الأستاذ (دوفاريني) في (دائرة المعارف الكبرى) ، والأستاذ (محمد فريد وجدي) في (دائرة معارف القرن العشرين) ، و الأستاذ (عباس محمود العقاد) في كتابه (المرأة في القرآن) ، وهم ينقلون ذلك عن جماعة من علماء الفلسفة وعلماء الأحياء . لا ينكر الاسلام قابلية المرأة ، ولا يحجرها ، ولا يعطل قابليتها ، ولا يسوّغ قتل مواهبها ، ولكنه يأمرها بالحجاب عن الرجال ، ولا يسوّغ لها الاختلاط بهم ، فعلى المجتمع أن ينشئ لها معاهد خاصة بها تنمي قابليتها ، وتفتق مواهبها ، وتبلغها الغاية التي تسمو اليها ، كما يصنع للبنين . والاسلام لا يعين للمرأة نوعاً من الثقافة ، ولا فرعاً من العلم ، فلها أن تختار ما تشاء منها ، وهو يجب لها أن تبرز وتتفوق في النوع الذي تختاره من الثقافة ، والفرع الذي تخصص به من العلم ، مع مراعاة حدودها الشرعية .

ولكن من الخير لها وللمجتمع من ورائها ، أن تختار من فروع العلم ما تستطيع أن تساهم به في خدمة المجتمع ، مع ملاحظة أنها امرأة ربة بيت وذات حجاب ، وقد ذكرت - آنفاً - بعض الوظائف العالية التي تستطيع أن تقوم بها مع مراعاة حدودها .

هذه ماهية الثقافة التي يريد الإسلام للمرأة ، وهذه أبعادها ، وهذه كيفية تلقّيها ، أمّا التوفيق بين ادارة البيت وبين التثقيف ، فأسسه (الامكانيات) الخاصة التي تجتمع لها ، وهي تختلف من واحدة لأخرى ، كما تختلف في الذكور .

وأما علم الدين : علم ما يبين لها عقيدتها ، وبصحتها لها عملها ، فهو واجب عينيّ عليها ، كما هو واجب على الرجال ، والإزدياد منه على هذا المقدار واجب كفائي على الجميع ، وفي النساء من بلغن الدرجات العالية في هذه الحقول ، وفي النساء المعاصرات من شهد كبتار المجتهدين لها ببلوغ درجة الاجتهاد ، وحصافة الرأي في الفقه .

ولدي : لقد طالت الرسالة ، لأن النواحي التي تعرّضت لها في السؤال تحتم علي البسط في الجواب ، وطول الرسالة قد يوجب السأم لك وللقرّاء الآخرين - يوم تقع بأيديهم - ، فلأختم حديثي عند هذا الحد ، لأبتدئه - ان شاء الله - في رسالة أخرى حول بقية سؤالك عن المرأة ، ومن الله التوفيق .

ولك جميل تحياتي ، وطيب ثنائي .

الشخصية ايضاً . أبامادها . مقارنة بين المرأة المسلمة
والمرأة الأوروبية . شروط المقارنة . نظرة الغرب في المرأة .
حقائق مؤسفة . نظرة الاسلام في المرأة . علاقتها بالرجل .
النزوع الجنسي . عوامل تجتمع للفتاة . أجدى السبل في
ضمان حقها .

٣٤

بغداد - كلية الطب . ١٠ رمضان سنة ١٣٨٧ .

ولدي الزكي الأديب ٠٠٠٠٠ دمت في مسرة وغبطة .

سلام الله عليك ، ونحياته الزاكية ، ونعماؤه الموصولة ، ونظراته الواقية ،
مع عاطفة ابيك ، وباسم أمله ، وخالص دعائه ، ان يتمّ الله لك النور
الذي مدّك به من الايمان ، ويضاعف العطية التي رفلك بها من المواهب .
عزيزي : كنت أرسلت إليك قبل أيام رسالة مسهبسة تتضمن
الإجابة عن بعض سؤالاتك حول تثقيف المرأة في الاسلام ، وإسهاب الرسالة
أجلاني لإرجاء بعض الحديث الى رسالة ثانية خشية الإملال ، وما أقلّ
الجدوى في الحديث إذا أوجب السأم لطوله ! .

وتحدّثت إليك في صدر الرسالة عن الشخصية في الاسلام ، كيف
تنشأ ؟ وكيف تتكامل ؟ وممّ تتكوّن ؟ وعلى أيّ أساس تبنى ؟ .

الشخصية القوية اللابسة ، التي لا تعرف الوهن في موقف ، ولا الذبذبة في رأي ، ولا الميوعة ولا الترهل في سلوك ، ولا الخفة في مظهر ، ولا التردد في عمل ، والتي تستمد قوتها وثباتها من قوة الإسلام وثباته ، ورصانة مناهجه ، ومضاء حجته ، ثم هي - على قوتها وثباتها - متسامحة مرنة ، قد طهحتها مرونة الاسلام وتسامحه ، وروّضتها أخلاقه وآدابه ، فكانت مرونتها وتسامحها ودماثة أخلاقها من مظاهر قوتها وثباتها .

الشخصية المحبوبة المؤثرة ، التي جمع لها هذا الرصيد من الحب في قلوب الناس ، وهذه الجاذبية لهم ، وهذا الأثر البالغ في نفوسهم ومشاعرهم لإخلاصها في النصيحة لهم ، وعملها الدائب لإسعادهم ، وابتغاؤها رضى الله والزلفة لديه بحبّهم ، وحب الخير لهم ، وتطبيق مناهج الله في مواساة فقيرهم ، وتعليم جاهلهم ، وإرشاد ضالّهم ، والأخذ بيد منكوبهم . الشخصية العاملة المؤمنة ، التي رستّ علمها إيمانها ، ودعّم إيمانها علمها ، وتساندا على تسديدها في هذي الحياة ، فلم تخط خطوة ، ولم تنهج نهجاً ، ولم تعمل عملاً ، الا عن علم وإيمان .

العاملة المؤمنة ، ذات العلم النافع ، والايمان الراسخ البناء ، الذي يسري مع الابتسام ، وينفذ مع الكلمة ، ويشعّ مع النظرة . الشخصية المتفائلة ، التي توقن انّ الكون والطبيعة والحياة والعلم ، كلّها تسير في ركبها ، وتنجّه الى غايتها ، فكلّ حركة ، وكل خطوة تقرّبها من الهدف ، وكل ظاهرة تبشّرها ببلوغ الغاية .

امّا الحركات والخطوات المخالفة لها ، فانّها محدودة موقوفة ، مهما

بلغت من القوة ، ومهما بلغت من العموم ، لانها تعاكس الاتجاه الكوني العام ، فصيرها ولا ريب الى الفناء .

المتفائلة ، التي يعلمها الاسلام ان تبسم وتتفاءل ، وبينها ان تياس وتقنط ، مهما جدت الأمور وبلغت من الطغيان ، ويلقنها أن الفرج والفتح روح الله ورحمته ، و (لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون) (٨٧ : يوسف) ، (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) ، (٥٦ : الحجر) .

ثم هي الى تفاؤلها حازمة جادة ، لا يقعد بها تفاؤلها عن الجد ، ولا يسوقها جدّها الى الملل والقنوط ، بل يدعوها التفاؤل والشعور بالمسؤولية الى الجد والأخذ بالحزم .
الشخصية التي لا تهّم إلاّ بالخير ، ولا تفكر إلاّ فيه ، ولا تسمى إلاّ له .

الخير للناس أجمعين ، حتى للاعداء الأبعدين ، وحتى في حربها إيّاهم ، ان الجراح حين يقطع العضو الموبوء لا يفكر إلاّ بسلامة المريض .
هذه الشخصية التي ستكامل لك يوم تحوز الخطوات الباقية ، التي أشرت اليها في رسالتي تلك ، فأيّ طرف من أطراف السعادة ، وأيّ مدى من آمادها لا يكون تحت متناول يدك ؟
سر - أيّها العزيز - سر ، فكل خطوة تخطوها تحوز لك مدى ، وتضمن لك فوزاً .

سر ، فانه كفيل لك بالغاية ، وهو عونك في السعي ، ودليلك في السبيل .

وهذه هي الخطوط التي رسمتها لمستقبلك اوك يوم راسلني ، وأول يوم عقد الله هذه الصلة بينك وبينني ، والتي أشرت اليها في بعض رسائلي ، أضعها كاملة بين يديك اليوم ، لتعجب من حسن الإتفاق ، بل ومن حسن التوفيق ، أما الغد الذي ستذوق فيه أولى الثمرات ، وتحقق لإسلامك فيه أولى الأمنيات فهو جدّ قريب .

ولدي : ذكرت في رسالتك حديثاً لبعض زملائك في كلية الطب حول المرأة المسلمة ، والتصريح برغبتها في الجنس ، ومقارنتها في هذه الناحية بالمرأة الأوروبية .

قال : ان المرأة الاوربية تخرج الى الشارع ، وتندمج في المجتمع ، وتخالط كثيراً من الناس شبّاناً وشابات ، وتخطّط في ذهنها صورة لفارس أحلامها ، وتبحث عنه ، فإذا وجدته صارحته بأنّها تودّ الإقتران به ، فان وافقها في الرغبة تزوّجا ، والاّ بحثت عن شخص آخر تتوفّر فيه الصفات التي تحبّها ، لتقرن به ، وبذلك تضمن حقّها الطبيعي في الزواج وإشباع الرغبة من طريقها المشروع .

هذا في الفتاة المستقيمة ، وفي الحالات غير الشاذة ، ولا يهمنا ما يحدث بعد ذلك من الملابس .

اما المرأة المسلمة فهي غير قادرة على ممارسة هذا الحقّ لسببين : أوّلها : تربيته الدينية التي تفرض عليها الحياء والخفر ، وعدم التلميح بأنّها تريد شيئاً ، فإن هي خالفت فلها الويل .
ويضمّ الى هذا عدم ورود نصوص تدعو المرأة الى ذلك ، أو تفهم

الآباء بأنّ هذه المطالبة منها حقّ طبيعي ، فإنّ الأحاديث التي وردت في الحثّ على الزواج ، إنّما اكّدت على دعوة الشاب اليه ، وليس بينها حديث واحد يدعو الفتيات كما يدعو الفتيان .

والسبب الثاني : ركود المرأة في البيت ، وعدم خروجها الى المجتمع لتعرف الشبان ، او - على الأقلّ - لتتعرّف على واحد تصارحه برغبتها ؛ ان الفتى اذا ألحّ عليه خاطر الجنس أعلن بصراحة : انه يريد زوجة ، فلي أيّ سبيل تلجأ الفتاة ؟ ، فهل تنتظر اليوم الذي يطلب يدها الخاطب ؟ وربما يطول الزمن دون جدوى ، حتى تيأس من كلّ أمل لها في الحياة ، ومن هنا ينبع كثير من الأمراض النفسية والجسمية عند الفتيات .

هكذا يقول محدثك ، وقد توخّيت أن يكون السؤال بعبارته التي حرّرتها في رسالتك .

واودّ ان أقول لمحدثك - هذا - قبل أن ألجّ في صميم الجواب : ان المقارنة بين مبدأ ومبدأ في نتيجة من النتائج ، بل وبين أيّ شيء وشيء آخر في ظاهرة من الظواهر ، لا بدّ وأن ينظر فيها بعين الاعتبار الى الخصائص والسمات التي يتصف بها كل واحد من المبدئين ، أو الشبّين اللذين تراد المقارنة بينهما ، والملابس الخاصة التي تحوط كلّاً منها ، وترتّب عليه .

أمّا أن ينظر الى النتيجة مجرّدين عن الخصائص والملابس ، فهذا ما يبعد بالفكر عن الحكم الصحيح .

وللاسّلام نظره الخاصّة التي يقيم عليها أحكامه في الرجل ، وفي

المرأة ، وفي المجتمع الذي يتقوّم منها ، وفي علاقة أحدهما بالآخر ، وللمبادئ المادية التي تسيطر على أوربّا ، وتسبّر المجتمعات والأوضاع فيها نظرتها الخاصة كذلك ، في الرجل والمرأة وفي علاقتها ، ولكل من النظرتين شؤونها وتبعاتها ، ولا يصحّ لنا ان نسقط ذلك من الحساب ، اذا حاولنا المقارنة بين المرأة المسلمة والمرأة الأوروبية في هذه الناحية التي تعرّض لها السؤال ، أو غيرها من النواحي التي حدّدها الاسلام .

وقد بسطت القول عن نظرة الغرب ، في الفصل الثامن ، والتاسع ، والعاشر ، والحادي عشر ، من كتاب (العفاف بين السلب والایجاب) ، ص ٤١ - ٦٢ ، وتحدّث عن نظرة الاسلام في الفصل الثاني عشر ، والثالث عشر منه ، ص ٦٢ - ٦٨ ، فليرجع اليه من يطلب التفصيل .
١ - قال الغرب بالحرية للانسان ، وهتف بها ، وأمعن في الدعوة إليها .

والحرية حقّ من حقوق الانسان الفطرية ، التي يجب ان تقرّ له : شريطة ان لا تزاحم حرية أو حقاً لفرد آخر ، أو تزاحم حرية أو حقاً للجماعة .

أما إذا أردنا ان نقرّ للانسان الحرية المطلقة في أعماله وتصرفاته وشؤونه ، دون حدّ أو شرط ، فعنّى ذلك انّنا نقرّ القوضى المطلقة التي تمزّق المجتمع ، وتبطل القوانين ، وهذا هو موطن الضعف في قوله الغرب أو - بالأحرى - في تحميل الغربيين لكلمة الحرية أكثر مما تستحقّ .

٢ - وقال بمساواة الرجل والمرأة ، وهتف بها كذلك ، وبالع في

الدعوة إليها .

ومساواة الرجل والمرأة كذلك حقّ يجب أن يقرّر وأن يحدّد :
شريطة أن لا يصادم أمراً قرّره الطبيعة ، ونفّذت حكمها فيه .

وقد رأينا الطبيعة أعدّت كيان الرجل وأعضاء جسده لحمل شطر من
أعباء الحياة ، وأعدّت كيان المرأة وأعضاء جسدها لحمل شطرها الآخر ،
ومعنى ذلك : أن الطبيعة قد أعدّتها لشركة الحياة على هذا الوجه ، وعلى هذا
التقسيم ، ووجدنا أثقال الحياة التي أعدّت لها المرأة لا يمكن أن يقوم بها
أحد من الرجال ، ومن الظلم أن نحمّلها كلّاً من أعباء الرجال وأعباء
النساء ، وهذا موطن الضعف في قولة الغرب التي هتف بها .

٣ - وقال بأن المادّة مبدأ كل شيء في عالم الطبيعة ، وهي غايّة
كلّ حركة فيها ، فلا أصل غير المادّة ولا غايّة سواها ، وجحد ما وراء
المادّة مطلقاً ، فلا إله ، ولا دين ، ولا قيم ، ولا أخلاق .

هذه هي الركائز الثلاث لنظرة الغرب في المرأة ، وفي علاقتها بالرجل ،
وفي المجتمع الذي يتألف منها .

فاذا لم يكن غير المادّة شيء ، ولم يكن دين ، ولا قيم ، ولا أخلاق ،
وإذا كانت المرأة مساوية للرجل في كلّ شيء ، وفي كلّ حق ، وفي كلّ ميدان ، وإذا
كان المبدأ العام الذي يجب أن تنصاع له البشرية ، وتنصاع عليه قوانينها : هو
الحرية التامة المطلقة ، للمرأة وللرجل على السواء ، فلا قيد ، ولا شرط ،
ولا حدّ ، فاذا يربط المرأة بالرجل غير الرابطة الطبيعية العامّة : غير
الرابطة الجنسية ، التي تربط الأنثى من كلّ نوع بالذكر ؟ ، وعلى ذلك فلماذا

تقيّد المرأة برجل معين ؟ ، أويتقيّد الرجل بامرأة معينة ؟ ، وما شأن
المواضعات والقيم والاخلاق والدين ، بعد أن نبذناها ، وجحدنا أسسها
وتبعاتها ، لأنها غير مادية ؟ ، ثم ، ما شأنها وهي تصادم الحرية ، مبدأ
البشرية العام ؟ ! .

وانطلقت المرأة كما يؤمل لها تحت ظل هذه النظرة ، وانطلق الرجل
كما يؤمل له ايضاً ، فان هذا هو منطق الغريزة المتحرّرة من القيود .
وأعان على ذلك الاختلاط المطلق العاري الخليع بين النساء والرجال ،
وأعان عليه استقلال المرأة عن الرجل ، واستغناؤها الكامل عنه في شؤون
المعاش ، وفي جميع تكاليف الحياة ، وأعان عليه التطوّر في مظاهر الزينة
وأسباب التجميل وفنون الفتنة والاغراء ، وأعان عليه أمور كثيرة أخرى
مقاربة المنبع ، متّفة الاتجاه .

وماذا ينتظر من غريزة مشبوبة ، تحدها دفعة الشباب وعوامل
الإغراء ، وتمهّد لها السبل ، وترتفع دونها الحواجز ؟ ! .

نعم ، انطلقت المرأة الأوربية ، وانطلق الرجل الاوربي ، كما يؤمل
لها تحت ظل هذه النظرة ، وهما بعد لا يزالان منطلقين الى أبعد حدّ ،
وأحط غاية في هذا السبيل .

إنّها حقائق مرّة مؤسفة في تاريخ البشرية ، ولكنها - على أي حال -
معلومة ثابتة ، ليس في ثبوتها جدل ولا مرأ ، وقد أوردت عليها عدة
شهادات موثوقة ، يؤدبها جماعة من العلماء الغربيين ، فاقرأها في كتابي الآنف
الذكر ، ثم هل تريد ان أردفها بشيء من مزيد ؟ .

يقول العالم الاجتماعي الكبير (بول بيو) : (لم يقف الأمر عند المدن الكبيرة فحسب ، بل قد أصبح الشبان في القرى والأرياف أيضاً يعترفون بأنه ليس لاحدهم حق في توخي العفة والبكارة في مخطوبته ، إذا كان هو نفسه لا يتصف بالعفاف) . انظر ص (٩٣) من كتاب (الحجاب) لابي الأعلى المودودي .

ويقول عميد كلية شهيرة في باريس لبول بيو : (ان عامة الشباب يريدون بعقد النكاح استخدام بغي في بيتهم أيضاً ، ذلك أنهم يظنون مدة عشر سنين أو أكثر يهيمنون في أودية الفجور أحراراً طلقاء ، ثم يأتي عليهم حين من دهرهم يملّون تلك الحياة الشريفة المتقلقة ، فينزّون بامرأة بعينها ، حتى يجمعوا بين هدوء البيت وسكينة ، ولذة المخادنة الحرة خارج البيت) . انظر ص (١١٦) من المصدر نفسه :

هذا بعض ما في فرنسا ، يكتبه عالم اجتماعي فرنسي شهير .
وفي أمريكا : يقول القاضي (بن لندسي) الأمريكي (رئيس محكمة جنابات الصبيان بدنور) في كتابه (تمرّد النشء الجديد) : (انّ خساً وأربعين في المائة من فتيات المدارس بدنسن اعراضهن قبل خروجهن منها) . وترتفع هذه النسبة كثيراً في مراحل التعليم التالية . فيكتب : (إن طالباً في مدرسة ثانوية تكون عواطفه دون عواطف الطالبة شدةً والتهاباً ، فالصبيّة هي التي تقدم أبداً وتأمّر ، وما يفعل الصبيّ إلا أن يتبع ويأتمر) . ثم هذا ليس غير باب نافذ يفضي الى أبواب . انظر ص (١٢٨) من المصدر المتقدم .

وتقول جريدة (Free press) الأمريكية ، التي تصدر بدترويت (Detroit) : (ان ما قد نشأ بيننا اليوم من قلّة الزواج ، وكثرة الطلاق ، وتفاحش العلاقات غير المشروعة - الدائمة او العارضة - بين الرجال والنساء ، يدلّ على أننا راجعون القهقري الى البهيمية ، فالرغبة الطبيعية في النسل الى التلاشي ، والجيل المولود ملقى حبله على غاربه ، وللشهور بكون تعبير الأسرة والبيت لازماً لبقاء المدنية والحكم المستقل يكاد ينتفي من النفوس ، وبخلاف ذلك ، أصبح الناس ينشأ فيهم الاغفال عن مآل المدنية والحكومة ، وعدم النصيح لها) ، ثم اقترحت الجريدة الآتفة الذكر حلاًّ للمشكلة ، والحلّ الذي تقترحه : هو النكاح الاختباري : أن يعاشر الرجل المرأة ، على سبيل التجربة حيناً من الزمان ، بدون إجراء عقد بينهما ، فان هما استقاما على الألفة بينهما تزوّجا ، والا افترقا ، ويبحث كل واحد منهما عن زواج آخر . وهو حلّ عجيب ليس أقل ضرراً ولا خطراً من أصل المشكلة . أنظر ص (١٣٧) من المصدر المتقدّم .

وفي انكلترا . يقول المؤرخ الانجليزي (جورج راثلي اسكات) في كتابه (تاريخ الفحشاء) : (ولا تزال تكثر النساء اللاتي يزاولن العلاقات الجنسية قبل الزواج من غير ما تخرج ، وفي حكم النادر والشاذ وجود الابكار ، اللاتي يكنّ في الحقيقة والواقع ابكاراً ، عندما يعقدن النكاح - عقد الوفاء الأبدي - أمام منبر الكنيسة) : أنظر ص (١٤١) من المصدر المتقدّم . ويقول في كتابه الآنف الذكر : (فالآن أصبحت الفتيات لا يخطر

بباهن الزواج ، أو الحياة العفيفة الكريمة ، حتى صار اللّهُو والمجون الذي كان يطلبه في الزمان الغابر اوغاد الناس تطلبه كل فتاة اليوم ، وأمست البكارة والفتوة شيئاً من آثار الماضي ، يؤود حفظها فتاة العصر الجديد ، فليست متعة الحياة عندها إلا أن يعبّ المرء كأس اللذات الى صبابتها في الشباب ، فهي تسعى وراء تلك اللذات ، وتبحث عنها في المراقص والأندية الليلية والفنادق والمقاهي . . الى آخر ما يسجله هذا المؤرخ في هذا الكتاب . أنظر ص (١٤٣) من المصدر ذاته .

هذه بعض الشهادات عن حال المرأة الأوروبية والأمريكية في هذه الأقطار الثلاثة ، بأقلام كتّاب وعلماء من أبنائها ، يقولون الحقيقة لا يواربون ولا يخادعون ، والأقطار الأوروبية الأخرى لا تقصر عن هذه الأقطار الثلاثة في شيء من ذلك ان لم تزد عليها .

ولدي العزيز : وبعد هذا التقديم وهذا العرض الموجز ، لنرجع الى حديث زميلك الذي عقدت له السؤال ، لنقف منه - أولاً - على نقطتين . لنقف على قوله : ان المرأة الأوروبية تخرج ، وتندمج ، وتخالط ، وتخطّط في ذهنها صورة لفارس أحلامها وتبحث عنه ، ٠٠٠٠ الى نهاية ما يقول .

لنقف هنا ، ولتساءل جادين : كيف تخطّط الصّورة ، ومتى ؟ ، وهل لأحلامها فارس محدّد لتخطّط له صورة معيّنة ، وهي تندفع هذه الاندفاع العارمة المتمردة على الحدود ؟ ! ، ومتى يكون هذا التخطيط ؟ ، والانطلاقة تفاجئها قبل أوان نضوج الغريزة ، وهي صبية في الحادية عشرة

- كما يقول القاضي (بن لندسي) - ، أو في السابعة والثامنة - كما يقول الدكتور (أدith هوكر) في كتابه (القوانين الجنسية) - انظر ص (١٢٤) من المصدر نفسه .

انها فكرة شاب شرقي بعيد عن واقع الفتاة الأوربية ، وعن ملابسها ومحيط حياتها ، فهو يظن خيراً ويسلسل أفكاره على ما يظن ، وما أكثر ما تتخلف الظنون ! .

لا ، لا - ايها العزيز - ، ان الأمر أسرع من ذلك ، وأكثر وضوحاً ولينظر صديقك أحد المصادر الأجنبية التي تتعرض لهذه الناحية كي يتضح له ذلك .

نعم ، قد تريد الفتاة الأوربية الاقتران برجل معين ، ولكن بعد تجوال طويل ، وتطواف مع الغريزة ، حتى يثابها السأم وتخلد الى السكون - كما يقول بعض شهادات الكتاب الغربيين - . وهو اقتران لا يضمن به وفاء ، ولا تصح به مقارنة ،

ثم لنقف على قوله : « ولا يهمننا ما يحدث بعد ذلك من الملابس » ولننظر : كيف يصح ذلك ونحن في موضع مقارنة بين مبدئين ، أو بين نظامين ؟ ! .

بلى ، قد يصح إغفال بعض الملابس التي تحدث واسقاطها من الحساب ، إذا كانت نادرة قليلة الوقوع ، لأن النادر لا يقاس عليه ، ولا يحدّش بقياس ، اذ لعل وقوع تلك الملابس القليلة كان مجرد اتفاق ، أما إذا كانت هي الكثرة الكاثرة ، أو الظاهرة العامة ، فلا يمكن اغفالها أبداً ، ولا

يمكن الخلوص الى النتيجة الصحيحة مع التفاضل عنها ، وفي المنقولات السالفة ما يوضح الامر .

هذه نظرة الغرب في المرأة ، وعلاقتها بالرجل ، وهذه بغض تبعاتها :
وأما نظرة الاسلام في ذلك ، فتكفي لتحديدتها والدلالة عليها هذه النصوص الكريمة : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيباً) . (١ : النساء) ،
(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودةً ورحمة ، ان في ذلك لآيات لقوم يذكرون) . (٢١ : الروم) ،
(هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) . (١٨٧ : البقرة) .

هذه هي المرأة في نظر الاسلام ، انسانية كاملة كالإنسان الذكر ، ولا فرق بينهما في ذلك ، (خلق منها زوجها) ، (خلق لكم من أنفسكم أزواجاً) ، والمواثيق الموجودة بينهما إنما هي توجيهات طبيعية في تكوين كآلة ولحمدها منها ، تعدله لآلة نوع من الأعباء .

ثم هذه علاقة المرأة بالرجل ، وعلاقة الرجل بالمرأة في الإسلام :
سكن روعي وطبيعي يلجأ اليه كآلة من الزوجين ، وعقد مودة ورحمة ، يعتقد الله الودود للرحيم بين قلوبها ، أما النزوع الجنسي فهو أحد الجهات التي تتكون منها هذه العلاقة ، وهو آخرها جميعاً في حساب الدين .

وحتى هذا النزوع الجنسي بين الزوجين ، لا تكون له صبغة الحيوانية الخالصة في رأي الاسلام وفي ظل نظرتيه ، واقراً - اذا شئت - معي

قوله تعالى : (احلّ لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ، هن لباس لكم ، وأنتم لباس لهن) ، هكذا يعبر القرآن وهو يتحدث عن الصلّة الجنسية ، : (هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهن) ، كلّ منكما لباس لصاحبه يصونه عن التبدّل ، وبقية عن لفح الغريزة وعادية الجنس ، ويتزيّن بلبسه في الحياة .

ولدي الحبيب : والاسلام لا ينكر دفعة الغريزة ، ولا سبّا في أوان المراهقة ، ولا يتنكّر لها ، فهي أمر طبيعي لا يمكن جحوده ولا التنكّر له ، ومن أجل ذلك حثّ الاسلام على الزّوج ، وأكد في الدعوة اليه ، بل وأوجب الزّوج على الانسان اذا كان موسراً ، وخشي من نفسه أن يقع في المحرم اذا ترك الزّوج .

بني : وحثّ الاسلام على الزّوج وتأكيده في الدّعوة اليه لا يختص بالذكور ، كما يقول زميلك في سؤاله ، أو - على الأصح - كما تقول أنت في تركيز سؤال ذلك الزميل .

لا يختصّ بالذكور ، فأكثّر النصوص الواردة في ذلك ، عامة أو مطلقة تشمل الرجال والنساء .

فقول الرسول (ص) - مثلاً - : (النكاح سنّي ، فمن رغب عن سنّي فليس مني) ، عام لا يختصّ بالرجال وحدهم ، وكذلك قوله (ص) : (من تزوّج أحرز نصف دينه ، فليتنق الله في النصف الآخر) ، الى أكثر النصوص التي تتحدّث عنها .

ان الاسلام لا ينكر دفعة الغريزة ولا يتنكّر لها ، ولكنه ينكر على

الذكر أو الأنثى أن تندفع معها ، وأنه ليعلم - حق العلم - أن (الجوعة الجنسية) لا تشبه (جوعة المعدة) ، فهي إنما تستثار بالقصد ، وبالتفكير ، وبالتعرض للمحترضات والمغريات والمثيرات ، أما إذا لم يتعرض الإنسان لشيء من أولئك فهو بمأمن منها ومن عواديها ، وهذا واضح كل الوضوح . ولكن فكر المراهقة نزق طائش ، لا يعي رشده ولا يحسن الاختيار ، وهو من أجل ذلك مفتقر الى مرشد حاذق أمين ، يبصره السبيل ويقيه العثار ، والفتيات كالفتيان في كل أولئك .

ويضمّ الى فكر المراهقة الذي لا يحسن أن يختار وهو يمرّ بهذه المرحلة الدقيقة : أن الفتاة في الاسلام محجّبة لا تختلط بالرجال ، ولا تعرف أخلاقهم ولا أطوارهم .

وتضمّ الى ذلك : ظاهرة الحياء التي فطر عليها الانسان ، وكانت أحد مشاعره الفطرية الاصيلية ، العميقة الآثار والجدور . ظاهرة الحياء التي أودعتها الفطرة في طباع الانسان ، الذكر منه والانثى ، وان كان حظ الانثى منه أكثر وأوفر : وليست هذه الصفة وليدة تربية مخصوصة ، كما يفهم من عبارة السؤال ، ولكن التربية توجه ذلك الشعور الفطري ، فتقويه أو تضعفه وتضاعفه أو تميته ، حسب توجيهها ، وحسب اقتضاء متاهجها ، ومتاهج الاسلام التربوية تلزم هذا الشعور - وكل شعور طبيعي آخر - فتقويه حقه معتدلاً ، دون زيادة او نقصان .

والزيادة والنقصان عن الحد الصحيح في هذه الصفة ، وفي كل ناحية فطرية أخرى انحراف لا بدّ من تقويمه ، وارجاعه الى الاعتدال ، والمضاعفات

التي تحصل في سلوك الانسان انما تنشأ من انحراف التربية عن النهج القويم .
هذه أهمّ العوامل التي تجتمع للفتاة المحافظة أبّان مراقبتها ، فاذا
أضيف إلى ذلك قصور في تربيتها العامة ، وجهل بوجوه الاختيار ، فكيف
يمكن أن يجعل زمام أمرها بيدها ؟ ، وهل ذلك الاّ إهدار لحقها الصحيح
وتضييع لسعادتها المرجوة ؟ ، وحقها الصحيح ليس هو إشباع رغبتها
الجنسية ، وإنما هو تزويجها الزواج السعيد .

وأجدى السبل في هذا الموقف أن يوكل الأمر الى وليّها .
الى أقرب الناس إليها ، وأشدّهم محافظة على مصيرها .
الى أبيها الذي كدح لتنشئتها ، وجهد لإسعادها .

ان يوكل الأمر الى وليّها الرؤوف بها ، الحريص على هئاتها ،
وتفرض عليه شروط لهذه الولاية ، وتوضع له حدود لهذا التصرف ،
ويحرّم عليه الإمتناع إذا طلب يدها الكفء من الرجال ، ثم تستأمر هي
في النتيجة ، اذا كانت كاملة رشيدة ، فلا يبتّ في الأمر دون رضاها ،
نعم ، وهذا هو السبيل الذي خطّه لها الاسلام .

أمّا المضاعفات التي قد تحصل لبعض الفتيات ، فيحرمن من الزواج
حتى يعنسن ويأمن من كل أمل لمن في الحياة ، أمّا هذه المضاعفات
فسببها -- في الأكثر -- انحراف الناس ، والآباء منهم بالخصوص ، عن
تعاليم الاسلام ، وعن تربيتهم السوية ، فيميلون عنها نحو الإفراط أو التهريط ،
ونتائج هذا الانحراف لا تصح نسبتها الى الاسلام .

ولدي : لقد اكتفيت بالإشارة في جواب بعض النقاط التي تعرّض

لها السؤال ، وأرجو ان تكون الإشارة مفهومة ، ولو أنني تعرضت لجواب كل نقطة منها على وجه التفصيل ، لا حنجت الى ضعف هذه الرسالة ، فإليك معذرتي مع وافر تحياتي ، واسلم .

ان الاسلام ليستنصر . القلة التي تشعر بالمسؤولية وتقوم
بالواجب . رجال الثقيف ورواسب النفوس . سيروا
الى غايتكم . نصير الدين الطوسي في ركاب (هولاكو) .
مسخ الحقائق . شواهد تنطق . اعمال مشكورة . عين
حارسه لحفظ الاسلام . مصادر . الثقافة الاسلامية والثقافة
الرومانية والميلينية . مصادر .

٣٥

البصرة - كلية الآداب : ٢٨ وجب سنة ١٣٨٧ هـ .
ولدي المهذب النجيب ٠٠٠٠ دام في سرور .
نحية دائمة ، وسلاماً زكياً ، وثناء طيباً ، وأسأله سبحانه أن يبارك
فيك ، ويلقبك عقي جهودك ثماراً يانعة ومسامي ناصعة ، وأن يحقق
أمل الاسلام بك وبأمثالك من شبابيه المؤمنين بدعوته ، الواعين لأهدافه
المبئين لصرخته .
أجل - ايها العزيز - إن الاسلام ليستصرخ ، ويستنصر ، وموقفه
وهو في بلاده وبين أبنائه موقف الغريب الشريد ، الذي كثر واتره ،
وعزّ ناصره ! .

إن الاسلام ليستصرخ ويستنصر ، فلا ريث ولا إبطاء ، وكلّ برهة يتأخّر عنه حماته بتعرّض فيها لنكبة جديدة ، ولهدم جديد ، والمسلمون لا يشعرون ، والكثير منهم أحبّ الاحوال اليهم أنهم لا يشعرون !.

عزيزي : بين يدي رسالتك العارية عن التاريخ ، وقد وصلني قبل أيام ، وسرّني جدّاً أن أجذك من القلّة التي شعرت بالمسؤولية لدينها ، وعرفت الواجب الملقى على عواتقها ، وتصدّت لدفع العاديات عن الاسلام قدر استطاعتها ، سرّني أن أجذك من هذه القلّة من شباب المسلمين ، الشاعرة بواجبها ، بين الكثرة الغافلة أو المستغفلة عما يراد بها .

سرّني أن تتصدّى قدر وسعك لتذود الشبهات والافتراءات عن قدس الاسلام ، وعن حرّمات علمائه ، أن تتصدّى لذلك حتى بين جدران الجامعة ، وفي أثناء محاضراتها ، وعلى ألسنة محاضريها ، والأساتذة - ايها العزيز - رجال كالرجال ، يغفلون ويستغفلون .

وقد ينحرفون دون غفلة أو استغفال ، وخصوصاً في الآراء والنقول التي تعود الى المذهب ! ، ورجال العلم والتثقيف أجدر الناس كلّهم بالبعد عن هذه الرواسب ، ولكن بعض النفوس عصيّة على التهذب . وما ضرّ القلّة العاملة أن يكون المنحرف من أي صنف ومن أيّ وزن ؟ ، بعد أن كان منحرفاً عن الجادة القويمة ، وبعد أن كانت تلك القلّة تعمل لله ، وتكدح في سبيله ، وتدافع عن حرّماته ؟ .

سيروا الى غايتم أيتها الميامين ، وأعدّوا لها ما استطعتم من قوّة العلم وقوّة الايمان ، والله معكم في السبيل ، وهو دليلكم الى الغاية ، ومثبت

أقدامكم في النصرة ، ومضاعف أجركم في العقبى .

ولدي : ذكرت أن أحد الأساتذة في كلية التربية كان يحاضر في موضوع تأريخ الشرق الأدنى ، فقال في محاضراته : (لما هجم (هولاكو) على بغداد عام (٦٥٦) هـ كان من جملة المساعدين له والغاملين معه من أجل الإطاحة بالحكم القائم آنذاك ، رجل من أفذاذ الشيعة ، وهو شيخ الطائفة نصير الدين الطوسي) ، وقد آمنتك هذه الصورة المشوهة للحقيقة ، والتعليل الماسخ للحوادث ! .

رجل من أفذاذ علماء الاسلام يعمل مع سلطان كافر للإطاحة بحكومة مسلمة ، ويتعاون مع جيش كافر على إراقة دماء مسلمة ، وتوطيد الأمر للحكومة كافرة !! . أمور لا تتمشى مع بدهيات العقول وأوليات الفكر ! . ودافعت ما وسعك الدفاع ، وجادلت ما أمكنتك الجدل ، ثم طلبت من الأستاذ أن تكتب تقريراً خاصاً حول الموضوع ، وقد وافقك على الطلب . ولدي وعزيزي : وليس من العجيب أن تمسح الحقائق وتشوه نضارتها .

فهذا هو فعل التأريخ في أخبار أيّ طائفة أو فئة تعارض السياسة القائمة آنذاك ، وهذا هو دأب المؤرخين في حوادث أيّ فكرة أو شخصية تخالف مذهب المؤرخ ، والشواهد على ذلك كثيرة وفيرة ، وتأريخ الشيعة ، وتأريخ ائمتهم وعلمائهم من أنصع الشواهد عليه .

وكتاب (تأريخ الشعوب الاسلامية) تأليف المستشرق الألماني (كارل بروكلمان) المتوفى عام ١٩٥٦ م ، مليء بالأدوار التي تلعبها العقيدة في تلوين

الحقائق وفي تعليلها .

ليس من العجيب أن تمسخ الحقائق وتشوّه نصارتها ، ولكن موضع العجب أن ينظر ناقد مفكّر ، يوقن هو ، ويوقن الناس له بمصاغة الرأي ونفوذ البصيرة ، أن ينظر هذا الناقد فيخفى عليه مسخ الحقائق ، وأعجب من ذلك أن يرى - ويصرّ على صحة رأيه - : ان تلك الحقائق المشوّهة المسوخة تتمشى مع طبيعة الأشياء وطبيعة المواقف .

ومن يطّلع على أعمال المغول في زحفهم الاول أيام (جنكيزخان) ، وتدميرهم الخواضر الإسلامية ، وإبادتهم العدد الكبير من المسلمين وعلمائهم ، ووحشتهم التي أظهروها في زحفهم على مدينة نيسابور ، الآهلة بالعلماء ، العامرة بالمدارس والمساجد ، وفرار نصير الدين نفسه في من فرّ من وجه الوحش الكاسر ، ونجاته العجيبة في من نجا من الظلم الكافر .

قلت : ومن يطّلع على هذه السلسلة من الحوادث ، وعلى فرار نصير الدين الطوسي ، ونجاته من الموت المحقّق ، يعلم علم اليقين أنّ نصير الدين لم يكن مختاراً ابدأ في صحبته (لهولاكو) في زحف المغول الثاني ، وهجومه على بغداد ، وإطاحته بالحكم العباسي القائم .

ومن يعرف العدد الكبير الذي جمعه هذا الفيلسوف الاسلامي العظيم في مكتبة مراغة ، من الكتب التي نهبها الجند المغولي ، من بغداد والشام والجزيرة ، ويعرف العدد الذي جمعه حوله من علماء المسلمين وفلاسفتهم في مراغسة ، وفي رصدتها التاريخي المشهور ، وأذاقهم حلاوة الأمن بعد ذلك الخوف الشديد والنكال المبيد ، ويسرّ لهم الحياة الهائشة

والمعيشة الرضوية :

من يعرف هذه السلسلة من الجهود ، والأعمال العظيمة المشكورة ، يعلم - علم اليقين كذلك - أن نصير الدين كان عيناً حارسة ، تعمل في جيش (هولوكو) لحياطة الاسلام ، وحفظ معنوياته وجمع متشراته ، عيناً حارسة ساهرة ، تعمل ما أمكن العمل ، وتحوط ما وسعت الحياطة ، وتحفظ ما استطاعت الحفظ ، وتجمع ما قدرت على الجمع .

وفي العدد الثامن والتسعين من مجلة (العربي) بحث طريف حول الموضوع ، بقلم الاسقاذ (السيد حسن الأمين) يمكنك الرجوع اليه ، والإفادة منه ، وعنوان البحث : (بطلان اسلاميان) ، وانظر الجزء السادس والاربعين من كتاب (أعيان الشيعة) في ترجمة (محمد بن الحسن المعروف بنصير الدين الطوسي) ، من صحيفة (٤) الى ص (١٩) ، وانظر كتاب (فوائد الوفيات) : الجزء الثاني ، ص (١٤٩ - ١٥٢) ، وانظر كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير : الجزء الثالث عشر ، ص (٢٦٧ - ٢٧٨) وكتاب (السلوك) للمقرزي : الجزء الاول ، ص (٦١٤) .

ولإذا أردت زيادة في الاطلاع على المصادر فانظر كتاب (معجم المؤلفين) تأليف الاستاذ (رضا كحالة) : الجزء الحادي عشر ، ص (٢٠٧) : ومن الله استمد لك التوفيق في سعيك ، والنفوذ في بصيرتك ، والثبات في إيمانك :

عزيري : وذكرت أن لديك موضوعاً آخر تحاول أن تكتب فيه تقريراً كذلك ، وعنوان بحثك : (الثقافة الرومانية والهيلينية ليستا أساساً

للثقافة الاسلامية) ، وأنت تستوضح مني خطوط البحث ، وتسترشد الى بعض المصادر .

ووفرة أعماله - أيها العزيز - تمنعني أن أفيض في الحديث عن ذلك ، وحسبي أن أشير اشارة ، أعتمد فيها على فطنتك وذكاكك .

والثقافة الاسلامية التي تبحث عنها ، قد تعني بها : فلسفة الاسلام وعلومه الخاصة ، النابعة من كتابه الكريم ، ومن سنته المطهرة وأقوال المعصومين من خلفاء الرسول (ص) ، قد تعني بها : فلسفة الاسلام وعلومه ، ومفاهيمه التي يفسر بها الكون والطبيعة والحياة والإنسان ، وطرائقه التي يعلّل بها كلّ أولئك ، وقوانينه وشرائعه التي ينظّم بها الحياة ، ويوجّه بها الانسان في مختلف الحقول، وشتى الميادين والمجالات ، وأصوله التي تبني عليها تلك القوانين والشرائع .

قد تعني بالثقافة الاسلامية هذه المجموعة التي تتألف منها معارف الاسلام ، والتي تعني المسلمين - لو أنهم انفردوا اليها - عن أي ثقافة ، وتؤسّس لهم وللناس اجمعين معهم أسمى حضارة ، وواضح - كل الوضوح - أن ثقافة الاسلام هذه انما تستمدّ من وحي الله ، ومن بناييع الاسلام الخاصة به .

من كتاب الله العظيم ، ومن أقوال الرسول (ص) ، وأقوال أوصيائه المطهرين ، ولا صلة لها بأي ثقافة أخرى ، رومانية ، أو هيلينية ، أو غيرها من الثقافات التي عرفها العالم ومرّ بها .

وقد تعني بالثقافة الاسلامية التي تبحث عنها : مجموع ما عرفه

المسلمون من دينهم ، وما اقتبسوه من علوم غيرهم وفنونهم ، لما احتكوا
بشتى الثقافات ، وامتزجوا بشتى المجتمعات ، وعربت لهم كتب الفلسفة ،
وكتب المنطق ، والعلوم الإغريقية (الهيلينية) .

قد تعني بالثقافة الاسلامية التي تبحث عنها : هذه المجموعة التي
حصلت للمسلمين بعد أن امتزجوا بسواهم ، وأثروا وتأثروا بالثقافات
المنقولة ، والفلسفات والآراء المعربة ، وبدهي - أشدّ البداهة - ان الثقافة
الهيلينية وبعض الرومانية لها تأثير لا ينكر فيها .

أمّا المصادر ، فيمكنك الرجوع الى كتاب : (الفكر الاسلامي :
منابعه وآثاره) للدكتور (أحمد شلي) ، وكتاب : (خصائص التصور
الاسلامي) ، للأستاذ (سيد قطب) ، وكتاب : (عبقرية العرب في
العلم والفلسفة) للدكتور (عمر فروخ) ، والى شتى الكتب التي تتحدث
عن الفكر الاسلامي :

ويمكنك الاستفادة من كتب دوائر المعارف ، البريطانية ، والامريكية ،
والفرنسية ، وغيرها ، وكتاب (قصة الحضارة) .
وختاماً ازجي لك تحياتي وتقديري ، واسلم .

هذه سلسلة من الرسائل تحتوي صورة من التحليل النفسي على ضوء تعاليم الاسلام ، والمشكلة التي تعني الرسائل بدرسها وعلاجها مشكلة شاب مؤمن نقي السريرة ، أصابت أسرته بعض نكبات الدهر ، وكان أثر هذه النكبة عميقاً في حياة هذا الشاب المؤمن، وفي تلوين سلوكه، ثم في تلوين أفكاره . وقد رأينا ذكر رسائله هنا مع أجوبتها تحديداً للمشكلة ، وإيضاحاً لطريقة علاجها .

شكوى

٣٦

البصرة . ١٠ / ٢ / ١٩٦٥

سماعة . . .

سلام عليكم طينم .

سيدي ابا ضياء : وهل لي عزيز غيرك ، وهل لي أب سواك ،
مستكتب الأيام لي ذلك ، وتشهد الليالي ، وأنا الصبي الذي انكفأت عليه
فحننت عليه ، والشاب الذي تمرست في الاهتمام به طويلاً ، فعشت واباكم
ردحاً من الزمن غير يسير ، وهل وجدتُ الا حنان الأب وشفقة العلم ،
وهل وجدنتي الا ذلك الولد العاصي ، الذي يتهرب من لقاء أبيه ، وهل
لي عذر . أم هل هذا موطن الغدر هنا ؟ !

استاذي ومرشدي : يرجع المريض الى الطبيب المختص ، ويرجع
التلميذ الى معلمه ، وانا الى من ارجع اليوم ، حيث تنهال علي الأفكار
والمواجس و . و . ، تغمر فكري وتشغل لتي ، وتملأ حياتي ، ولا تفارقني ،
ولو كنت قبالي لما تباطأت في شرح معالم هذه الأفكار التي ابشها اليكم ،
واشكوها نحوكم .

ومالي . ونزعات نفسي تريدني أن اضلّ وأغوى ، أو أردّ إلى

الجاهلية أعمى ؟ ! .

ومالي ، وكلّمنا أشبعت روعي بالإيمان . باليقين ، مست علي وأوحشتني
من المؤمنين الذين أحبّهم ؟ ! .

ومالي بعد هذا كله الا اتباع نفسي ورغائبها ، أو اتباع حديث
روحي وسبحاتها .

ولكم لطمت وجهي كثيراً ؟ ولكم بكيت من خشية سوء المصير
كثيراً أيضاً ؟ ولكم انا اليوم نائر على أفكار نفسي كثيراً جداً ؟ وعلى أيّ
حال فاني اليوم في مصيبة لا يكفيها كتاب فضلاً عن رسالة .

وعلمي بانكم ابي الروحي ، واستاذي الحريص على تأسيس شخصيتي
تأسيساً اسلامياً ، لهذا لاذ قلبي اليكم ليخبركم بحال ولدكم . رهين لسوء
الأمراض وأرذل الأفكار ، وسجين آراء أخشى على إيماني منها من الانفلات .
وهل أول حديث أنقله أو أذكره لشخص سواكم ؟ فهل لهذا المريض
من دواء ؟ وهل لهذه للعوادي من شفاء ؟ .

وعلى اي حال سيدي ، فاني اليوم ، وكل يوم مضى علي ، اشكو
الى الله واليكم نفسي التي بين جنبيّ ، فواهاً لها لما سوّلت لها ظنونها ومناها ،
وتباً لها لجرائنها على سيدها ومولاها ، كما دعوت صباح هذا اليوم ، وكما
قرأت الليلة عندما فتحت القرآن الكريم (. . .) من أتى الله بقلب
سليم ، وازلفت الجنة للمتقين ، وبرزت الجحيم للغاوين فكبكبوا فيها هم
والغاوين وما اضلّنا الا المجرمون . فما انا من شلفعين ، ولا
صديق حميم (.) . (٨٩ - ١٠١ : الشعراء) .

وقد تعجب ، بل وقد تسخر حين ما أقول : إني لا أدري عن مصير كل هذه المواجهس ، ومبتدأ الظنون والأفكار التي شعنت فكري ! ! .
هل حدثت من دراستي لكتب نفسية ، تبحث في صراحة باللغة عن ذلك ؟ ، أم من عدم حسن تصرفي وتبريري ؟ ، وقد يكون كلاهما ، وقد يكون أمراً واحداً بينهما ، أو شيء آخر يهرو الشاب في مثل سني .
الآن أني استعجل الدواء كيلا يتفشى الداء ، فلا زلت أراني : لي من الإرادة التي تستطيع أن تقسر وتبعد كل هذه الأفكار ، وتبددها ، بعد جهد ليس بالقليل ، ولا بالوقت القليل .

وعلى أي صورة ، سأتركك - ياسيدي - على هذا الشاطئ الذي تلاطمت أمواج كتاباته وأوصافه ، وتبعثرت بين هنا وهناك زبي الحديث ، فلا تخلفني بذلك وإن رأيت زبداً كثيراً فيه أو قليلاً فإنه سيذهب ، لأن الزيد يذهب جفاءً بلا ريب ، ولي وإياكم لقاء على محيط جوابكم ، أرجو أن أنال غاية رضاك وحبك وعطفك .

وانركم سيدي للقاء ، ولقائي معكم حبيب ، والسلام عليكم .
ولدكم

في ظل الايمان . ايمان أبعد من التهم . ان الله مع الذين
اتقوا . الأفكار الشاذة تغزو فكر كل احد ولا حذر
منها على الايمان . علاجها . مناهج ونصائح .

٣٧

النجف . ١٥ شوال سنة ١٣٨٤ .

ولدي رعاك الله وأخذ بيدك وكفاك الاسواء والأدواء .
تحية كريمة ، وشوقاً متجدداً ، ولطفة متزايدة ، وابتهالا الى الحق
- سبحانه - أن يأخذ بفضلك ، ويشد أزرك ، ويعصمك من المزالق
والطوارق ، إنه ارحم الراحمين .

عزيزي : وأظن ان الصلة القائمة بيني وبينك - تحت ظل الايمان -
تحوّلتني أن أناديك هذا النداء ، وانت تعلم صدقي فيه ، كما عرفت صدقك
فيه حين حدثتني عنه في طرف من رسالتك :

التقيت بك أول مرة في الحرم العلوي المطهر ، وكان الايمان هو
الذي عرّف بين روحينا ، ثم كان الحب في ظلال هذا الايمان هو الذي
ألف بين قلوبنا ، نعم ، وشعرت على مرور الأيام - كلما اجتمعت بك - :
انني إنمّا أتحدث الى ولدي ، وشعرت انك توقن انما تحدث أباً ، وانمّا

تصغي الى نصائح أب ، وأحسست ان يبدأ قوة طاهرة تدفعني اليك ،
وتضمك اليّ ، حتى تلحفك عاطفتي ، وتبوءك أسمى المنازل من نفسي .
وسوّغ لي هذا التجاوب الايماني ما بين نفسينا ان اعتبرك في بعض المواقف
عن مشاعري تعبيراً ابوّياً ، يمزج فيه الحب والتقدير .

والصلة حين تنشأ على الايمان بالله ، والزام تقواه ، والسعي لرضاه ،
لم تزد على الأيام الا قوة ، ولم تنطف إلا برّاً وإلاّ طهرّاً .

وصلتني رسالتك ، ولا ادري كم تلوتها ، وكم صرفت في ذلك من
الوقت ، ولكنني اعلم انها كانت من احب الساعات اليّ ، فقد كنت أصغي
فيها الى احاديث ولدي حبيب .

قرأت رسالتك . . . قرأت حروفها ، واصغيت الى الهمسات الرقيقة
بين كلماتها ، وبين حروفها ، وفي جملها ومقاطعها ، وسمعت شكواك
المبرّحة فيها ، وآلامك العاصفة التي حملتها ايّاماً !! .

نعم ، وأصغيت الى قلب صغير ، في عمر الزهرة الناضرة ، يصطرب
ويتلوى ، وهو يوقع ألحان الشكوى لأبيه ، والى قلب حانٍ عاطف ،
يخفق ويئنّ وهو يستمع هذه اللحن ، ويبصر هذا الشجى من ولده .

قرأت شكواك المبرّحة الشديدة ، من أفكار وهواجس تنازعتك في
الآولة الأخيرة ، حتى خشبتها على ايمانك ، واعيدك بالله ، واعيد ايمانك
وقلبك ونفسك باسمه العظيم ، ودينه القويم ، من شر الوسوس والهواجس .
واعيدك من ان تتهم نفسك الطاهرة المؤمنة بان تفضّل ، او تتهم
ايمانك القوي الواعي بان يضعف ويهن ، ومن لي بأن يكون ولدي الى

جنبي ، فأشعره بأنّ إيماله اعظم ، ولقوى ، وأرسخ من أن ينزلزل ، او
ينهار للهواجس التي يشكوها ، وان كانت حادثة عارمة .

لا : لا ، إن إيمانك أبعد من هذه التهمة ، وإن نفسك أرفع من
هذه الضعة ، وان ارادتك أقوى من هذا الوهن .

لا . لا ، ان الله الذي اسلمت اليه وجهك ، وعمرت بحبه قلبك ،
وأخلصت له دينك ، لن يسلمك ابداً لهاجسة ، ولن يكللك الى شيطان ،
ولن يبعذك وانت تريد القرب منه .

ثق ان الله معك ابداً في جهادك هذا لنفسك وهواجسك ، يأخذ
بيدك ، ويشدّ على عضدك ، ومن كان الله نصيره فهو قوي عزيز .

إن هذه الافكار - وان طغت - لن تستطيع ان تغردك من ربك ، ولن
تقوى ان تقطع مدده لك ، او تقلل من عونه اياك (ان الله مع الذين
اتقوا والذين هم محسنون) . (١٢٨ : النحل) .

والهواجس والافكار الشاذة الملتوية لا بدّ من غزوها ففكر كل أحد ،
وخصوصاً اذا كان شاباً في مثل سنك ، وخصوصاً اذا كان كثير القراءة
لختلف الآراء مثلك ، وخصوصاً اذا كان شديد الحرص على إبعاد هذه
الافكار عنه كما أتوسمه فيك :

انها حالة ليست غريبة ، ولا تدعو الى القلق ، واقرأ معي قوله
تعالى في سورة الاعراف : (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا ، فاذا هم مبصرون . واخوانهم يمدّونهم في الغي ثم لا يقصرون)
(٢٠١ - ٢٠٢ : الاعراف) .

أرأيت ؟ ، إن الطائف من الشيطان يمس حتى الذين اتقوا اذن فهو حالة ليست غريبة ، ولا غير طبيعية ، ولا يخشى منها على ايمان المؤمن ، اذا كان ثابت الأسس ، قوى الدعائم .

وعلاجها لا يكون بمحاولة كبجها ، وصرفها عن الفكر ، أو صرف الفكر عنها ، لأنها تحاول التغلب على الفكر في كل فترة ، مهما حاول التهرب منها ، وطلب أخذها ، ومهما اشتد تقززها منها ، فتوجب للانسان - بسبب ذلك - قلقاً يقض عليه مضجعه ، وينقص عليه حياته ، وهذه هي الحال التي تشكوها - في ما أظن - :

ان علاجها لا يكون بهذه الطريقة السلبية ، لأنها تقسم النفس ، وتضارب بين شطريها ، وتلقي العداء بين طرفيها ، وتؤدي الى نتائج غير محمودة ، وحتى اذا استطاع كبجها ، وصرف الفكر عنها ، فانها ترنّد عقداً لا شعورية تكدر عليه عيشه .

ولكن علاجها الحكيم المجدي : هو أن يستقبل المؤمن هذه الأفكار بصورة ايجابية بقظة واعية ، حتى يتعرف الفكر ، أو الهاجس ، ويستبطن علته ودوافعه ، ثم ينعطف عليه - بعد ذلك - فينقض أسسه بالمنطق العقلي المتين ، ويبيد بذوره وجذوره بالملاحظة الفكرية الصحيحة ، وقرأ معي الآية الكريمة - مرة ثانية - ، لتعرف دلالتها على ذلك : (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان) ، والشيطان مولع بالمتقين ، يحاول صرفهم عن سبيل التقوى ، فاذا مسهم طائف منه ثبتوا ، وتذكروا ما زودهم به الفكر الواعي المستقيم من الادلة المتينة ، والمناهج القويمة ، التي رسمخ عليها ايمانهم ،

ونشأت عليها تقواهم (تذكروا فإذا هم مبصرون) ، وإذا بظلمة ذلك
الطائف عادت ضياءً ، وإذا بعمل الشيطان ومحاولاته قد صارت هباءً :
هذا هو العلاج الحازم الحاسم ، الذي تصفه الآية الكريمة لهذا النوع
من الأدواء ، ووراء ذلك العصمة التي يفيدها المؤمن من إيمانه ، والنصرة
والمدد اللذان يتواتران عليه من ربّه : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وإن الله لمع المحسنين) . (٦٩ : العنكبوت) .

ولدي الزكي وتلميذي النجيب : أثبت لهذه الخواطر وهذه الافكار ،
ولا تحذرهما ، واستقبلها بوجهك المؤمن المشرق ، وبروحك المطمئنة الهادئة ،
واستعرضها واحدة واحدة ، وفتش عن جذورها وعللها ، وناقشها مناقشة
حرّة بمنطقك القوي ، ومناهجك الرشيدة ، ويمكنك أن تستعين في ذلك
بمن تعتمد عليه . اصنع كذلك ، فإن شعورك سيفرضها واحدة واحدة ،
ولا يبقى إلا الإيمان الخالص ، وإلا أدلة الإيمان الصحيح الصريح ، وستعرف
نصرة الله لك وسمعه شكواك ، وستعلم حقاً انطباق الآية التي تلونها في
آخر رسالتك : (اما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث)
(١٧ : الرعد) .

ولدي : ان الله أشدّ رافة بك من أبيك ، هذا الذي يتحدثك ،
ويؤدّ ان يشاركك وجدانك ، فتقعد به مسافات شاسعة تحول بين موضعك
وموضعه ، وأشدّ رافة بك من كل قريب ، فتق به ، والجأ اليه ، وأخلص
له في ثقتك ولجوتك فستجده السميع الحبيب .

ونصيحتي اليك - أولاً - : أن تترك القراءة والتلخيص اللذين

أخذت نفسك بهما فترة وجيزة ، ربّما تطبق هذا المنهاج ، وتستوفي أدوار العلاج ،

ونصيحتي - ثانياً - : ان تثق بنفسك ، وأن تثق بإيمانك ، فان عدم الثقة بالنفس يسبب لها الضعف ، ويسلمها الى القلق ، ويوصل عليها باب اليقين .
ونصيحتي - ثالثاً - : ان تكرر قراءة رسالتي هذه ، فنقرأها ولو مرة واحدة في كل يوم ، وستعرف أثر ذلك بعد حين .

ونصيحتي - أخيراً - : أن تكتم حديثك هذا ، حتى عن اقرب الناس اليك - ما وسعك الكتمان - . وأمنيّتي لك طول البقاء ، ودوام الهناء ، وخلود النعمة ، ومزيد التوفيق .

أما بعد جميع ذلك ، فانا أنتظر ان تعرفني عن كل ما يطرأ ، وأن تبوح لي بما تجد ، وان لا تبطئ عني في التعريف ، فان عاطفة الأبوة لا تحتمل الابطاء ، وأرجو ان تصل اليك رسالتي وانت متفتح الأمل ، وان يصلني جوابك وانت موفور السعادة .

وتقبل تحيات ابيك ، وبالغ شوقه ، ووافز سؤاله ، وجزيل دعائه :

نشأة الهواجس . صراع . أثر الرسالة . آمال .

٣٨

البصرة : ٩٦٥/٢/٢٧ :

سميحة . . .

تحية مشرقة بالنور والهدى ، وسلام عابق بالأمانى والاخلاص ،
ودعاء خفيف كلما مسّ جسدي حرم الأطهار من آل الرسول (ص) :
ان يصفى عليكم سعادة العاجلة والآجلة ، وان يديم اخلاصكم لهذا الاسلام ،
فيشفى منه - شفاء العلل والأمراض ، وشفاء الضلال والغواية - كثير
من الناس .

وسلام بعد هذا لابي ضياء وأبي ، مرشدي في المحن ودليلي في الشجن ،
ومنفس كربى في الضراء ، وحين الوحشة واليأس .

استاذنا الأجد : حلمتي نفسي ، وهي خير مدرسة في مسارب التجارب :
أن الهواجس والأفكار والظنون تواكب النفس الانسانية مواكبة مضطردة ،
تنمو معها وتكبر فيها وتزداد عتواً وشفاءً ، للنفس التي تلوذ نحو المهربات
الطائشة والزوات المبتذلة ، ولكن سرعان سرعان ما تذيل هيبة هذه

النفس ، وسرعان ما يرخص ثمنها الغالي النفيس :

وتنمو الهواجس والأفكار - كأنه لا بد من ذلك - تنمو وتكبر
وتزداد عنفواناً وقوة كذلك في النفس التي تلوي على مراحم الحق والعدل
والهدى الأزلي ، وحينما تلوي أيضاً على دين الله فتتعد متفهمة شاحخة .
ومذعكفت - بمجد - على هذا الدين .

ومذقت مقصراً ببعض الواجبات الدينية ، كأني فرد لا يرغب أن
يتآى عن واجب دينه ، هامستي افكار ماكنت اصفي اليها أو أفهمها ،
ولم اكن اتعرف على قرارها ومستقرها ، ولم أدر أنني سأقع فريسة لها ،
الا من قريب ، حين نظرت الى نفسي واذا بي اراني متثاقلاً عن أداء بعض
ما كنت قائماً به منذ قريب .

وكثيراً ، وصراحتي أقولها لمن حق علي ان أقول له صراحة نفسي :
أجل وكثيراً ما عرقلتي ، وكثيراً ما أخرت اضطراد مسيري الإيماني المتصل :
ولكنني على اي حال وبفعل الإرادة الاسلامية ، وبقوة الجماهيرية الإيمانية ،
كنت ائدفع بوحى هذين لمحاربة سلك الهدى المتصل وسيله المتدفق العرم
بين أرجاء هذا الوجود ، فقد هزنتي قراءاتي ودراساتي للكتب الاسلامية
المثيرة هزات عنيفة ، وقد لمت نفسي على وقوفي أو تفكيري به رويداً ،
ولكنها ايضاً صبرتها خامدة في حين وصبرتي خامداً في بعض الأحيان :
وبين هذا وذاك لا يعرف اي صديق لي هذا الاتجاه المضطرب
الأمواج .

هل انا ؟ : . أم هل تغيرت ١٩ .

حتى اذا تدفق الايمان من حب زين الدين ارسلت كاهل سفيني
على مرشدي اللبيب ليروي شاطئي وغديري الجاف بهتفوان رأفته وحبّه ،
وبدفعات اخلاصه ورشحات ارشاده ، ما يشير لهذا الحائر الحائر الى رحمة
المسير ورحمة الهدى ورحمة الله العظمى .

أجل . لقد أوقعتم على اوتار نفسي ايقاعاً حساساً بنغمات صادحة
مكشوفة ، الاّ من الايمان ، وأمسكتم بحكمة واقتدار على نشازها وشتانها !! .
وبعد ذلك فقد للمتم الشارد وايقظتم الحائر منها . فاصبحت مع ربيع
الحياة وزهي النبات يانعاً غضاً . . من كلّ جانب الا اللمم .

وبعد خلود نفسي ، وسكينتها ، تصفحت بارتعاش وخوف رسالتكم
الرشيدة . ارتعاش الحب الايماني الصادق . وخوف العتبي لما جرى علي
وما مكث في فكري من هوس الافكار ونزع الآراء ، ولما يخامرني من
زنافر الباطل ورداءة الغذا الفكري .

ولعجيب . . . وغير عجيب ايضاً أن أشاهد متنمقاً تلك الطراوة
الخفية فيها ، والتي كلما قرأتها لمست منها شيئاً جديداً ، لم اكن أحسّ به
ولم استشعره من قبل .

وتذوقت بلهف حرارة الايمان وحلاوة الحب ، في كلّ همسة وفي كل
جانب من جوانبها الرشيقة المهيبة . . . حين علمت ان ذلك لا يدعو
للقلق ، لأنها حالات ملازمة لهذا الكائن ، وعرفت مبرراته وانه يسري مع
الانسان في أدوار حياته وشبابه ، وحتى حينما يتم عقله ويتركز فهمه ويكمل
يقينه ، وتذهب عنه كل معوقات الايمان ومرديات الهوى وموجبات الغواية .

بعد ذلك ، ثم ابصرتي ذلك الشيطان العلو اللدود لهذه النفس حين يمس
المتقين من الناس ويصب كئل همته عليهم ، فضلاً عن اخوانه الذين
يهدمهم في الغي غياً وفي الضلال تمادياً .

ولم آتمالك على نفسي وأبي يصارخني بمثل هذه الصراحة ، وأنا أطوف
مع رسالته الطائفة على فكري ونفسي وأجول معها ، حتى بكيت ، بكيت
حيناً بعد أن أسرتني ، وكم تبسمت وكم فرحت ، بل وضحكت أيضاً حتى
خلت أن جلسائي سبهزؤون مني لهذا التصرف !! لو لفتة من نظر عابرة
اليهم بين كل حين وحين فأراهم في شأن غبر شأني فارجع الى حيث
رشحاتها الرقيقة ورشفاتها الجميلة ودلالاتها الصائبة ، وانتهيت الخطاب الجسم
لكني ابتعدت جانباً قصد التدبر منها والنظر اليها ، واذا عيناى لم تبخلا
بنرف الدموع خصوصاً لما قرأت نبواك الرشيف :

(ولدي الزكي وتلميذي النجيب : أثبت لهذه الخواطر وهذه الافكار
ولا تحذرهما واستقبلها بوجهك المؤمن المشرق وبروحك المطمئنة الهادئة ...
وستعرف نصرة الله لك وسمعه شكواك) .

(ثق ان الله معك أبداً في جهادك هذا لنفسك ، يأخذ بيدك ويشد
على عضدك) وبكيت خشية إيمانك هذا بولدك حين تقول له : (لا . لا
ايها العزيز ان إيمانك ابعد من هذه للتهمة وان نفسك أرفع من هذه الضعة
وإن ارادتلك اقوى من هذا الوهن) .

وحين اودعت رسالتكم في جيبى ، وحين رددت أحاسيسها وهمساتها في
شعوري صغر - بعد حين - ما كان يكبلني ، وضؤل بعد آخر ما كان يشقيني .

على اني الآن لا اقول اني وضعت صحرة صماء عليها جميعاً ولا أنها اقل بكثير مما مضى ، ولكن على رشفة الآمال ، وحلاوة الايمان وصراحة الضمير وهدى النفس وبراءة الفطرة وسلامة الاخلاق وثقة النفس وغلبة الله للشيطان وتأثيره القوي منه على النفس ، استطيع أن استنقذ روحي وأهبيء تفكيري سليماً متجرداً - بعد حين - من الأمراض الباطنة والأفكار الممضنة والتبعات الخادشة .

وبهذا وبذاك ، وبعد هذا فللتربية نصيب كبير في ذلك وتأثير فعال في صقل هذه النفس وتركيتها وتطهيرها من أوضار الحياة وختق المربيات وخدع الهواجس جميعاً ، بعد ذلك وبعد التربية على ايدي الاكفاء وبعاطفة التربية الشفيفة وباخلاص الإصلاح الرفيق ، وحفيف الحنان الرشيق بصاغ ولدكم على يد استاذة الأب ومربيه الأجل ولقد ربحت في تجارة نصائحكم الفريدة الثمينة ، وقد صرت اتلوها صباح كل يوم وارجع اليها عند الوهن وكلما خطر على فكري خطر .

وابتعدت عن المطالعة قليلاً . وإن عز علي ذلك .

ولي بعد ذلك من توطيد الثقة بالنفس والاعتماد على الله رصيد لازلت احنو نحوه وأمشي اليه .

ولقد كان خطابكم القيم وذكركم الثمين استقراراً لولدكم ، ولعلي احسد نفسي الآن بأنني بحمده تعالى اوفق لمثل هذا الزين من هذا الدين في وقت عصيب ليرخي اعتاداً قاسية ويصلب اعواداً راحية ناحلة خائرة . ولكن فقد يكون الحق كل الحق ان تشجعوا هذا الانسان اكثر وتدفعوه أشد

في السير في هزم واقدام في ظلال صلابة الحق وقوة الهدى وحسن البصيرة
وبعد - ايما بعد - عن مزالق الضلال ومفانن الغواية ومرديات الهوى ٠٠٠٠٠
اما انا فاني لأصيد توصلاتي الى الكبير المتعال الحق المبين أن يديم لي
هذا الرواء الشفيف وهذا المنهل العذب وأن أبقى معه على صدق الاخلاص
وضمان الايمان وولاء اليقين والحب بين نهارين من حياة اوليلين من خلود ٠٠٠٠٠
دمت سيدي في سعادة وارفة ومحة ناعمة ونعيم مزروع في كل واد .
خادمكم

سرفى ان اصيب القصد • الايمان بالضعف • مساوته •
ثق بنفسك كل الثقة • الخطرات المنحرفة قد تكسب
المؤمن قوة في ايمانه • كبح الخواطر هو الذي نلها • خير
الايمان باسم المتفائل •

٣٩

النجف • ٥ ذي القعدة سنة ١٣٨٤ •
ولدي العزيز المهذب الكامل حرسه الله ووفقه ولقاه ما يامل
وكفاه ما يحذر •
نحية زكية طيبة تسطع بنور الاسلام وعبق الايمان وأرج الهدى واخلاص
الدعوة الى الله والاتباع لسبيله والتطلع الى مرضاته ، وشوقاً مكيناً •
ودعاءً خالصاً أن يقيك الله العثار ويعصمك من الأخطار •
بني : وبعد ايام يعلم مبلغ طولها وأثرها الآباء المفارقون ، وصلني
رسالتك العزيزة تحمل الي انفاسك العطرة وتصور لي عاطفتك البارة •
أجل ، لقد شمت انفاسك تشيع على مقاطع الرسالة وتعبق في حروفها ،
ولست عاطفتك نحو ابيك ترق مع النجوى فتكون حباً وتضطرم مع الشكوى
فتكون ناراً ، ولحت روحك تنسكب في عبارات الرسالة و اشاراتها ، وفي
هسة الحب وفي زفرة الشكوى ، ووجدتك المؤمن البار تماثل لتسر أباك
وتتفائل لتبهجه ، وقد حمدت الله الذي حقق لك أمني وأجاب فيك دعوتي ،

وأسأله ان يتم لنا فضله ويواتر علينا نعمه ويبلغنا رضاه ، ويلزمنا تقواه .
لقد سرني - والله الفضل عليّ وعليك - أن أصيب القصد في رسالتي
الأولى ، فأفلح في تشخيص الداء ثم أوفق في وصف الدواء وان استقبل
البشرى منك بهذا الفوز ، وآمل ان تتوالى عليّ البشريات منك قريباً جداً ،
وان تبلغ للغاية المحموده بعد قليل ، وبعد جهد ضئيل ، وكل ذلك بمدد
الله وعونه ونصره الذي أعز به المؤمنين ، وحبه الذي وعد به المتقين ،
والشيء الذي لم ارتضه من رسالتك ايها العزيز : هو أن نصف
نفسك فيها بالحائز الحائر ، وبما يشبهها من النعوت التي توحى للنفس
بالضعف ، وتؤكد فيها عدم الثقة ، وتولد فيها الشعور بالنقص ، وتكبلها
أخيراً بالشعور بالاستقذار !!

• والإيحاء الذاتي من أشد المؤثرات على نفس الإنسان التي تولد فيها
القوة أو الضعف والرفعة أو الضعة .

ان من اجتدر الى أمر - مهما كان ثقيلاً باهضاً - وهو يوقن بقدرته
عليه ، سهل عليه ذلك الأمر وخفّت أعباؤه ، ومن أقدم على شيء - وان
كان صغيراً خفيفاً - وهو يشعر بضعفه عنه ارتفعت دونه قواه وخارت
أعضاؤه .

ثق بنفسك كل الثقة ، ولا تشعرها بالضعف ابداً ولا توح إليها بالخور ،
فان الثقة بالنفس هي ذخيرتك الأولى لجهاذك لها ، وأشعرها بحبك إياها
وتكريمك لها ، فان الحب المحتل للنفس هو القوة الكبرى للسيطرة عليها .
وثق بربك وبجوفيقه ونصره ، فان الثقة بالله مصدر قوتك في الجهاد

ومصباح هداك في المسير ومبعث طمأنينتك عند اضطراب القدم (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (٢٨:الرعد) .
لا . لا يا عزيزي : لست بحائر ولا خائر وأؤكد ذلك لك واستطيع أن أبسط عليه ألف دليل ودليل .

لست بحائر ولا خائر ، ولكنك تريد إيمانك نقياً من هذه الغشاوة الصفيقة التي تثيرها الأوهام ، وهذا ما ستبلغه ان شاء الله بعد قليل ، جد قليل ، اذا استمررت في تناول العلاج وتطبيق المنهاج .

وقد ذكرت لك في رسالتي السابقة ان هذه الخطرات التي تعرض لهذا الكائن ليست غريبة ولا غير طبيعية ما دام له ذهن ينتقل ووهم يتخيل وفكر يتقلب ، وخطورها في الفكر لا يضر بالإيمان شيئاً ولا ينقص منه شيئاً ، الا اذا استمسك بها الانسان ولو ن بها عقيدته أو تأثر بها حتى ولى العقيدة ظهره .

ولدي : والمؤمن الواعي قد يكسب من وراء هذه الخطرات المنحرفة قوة جديدة في إيمانه وبقطة في ضميره ، ذلك ان هذه الطوائف حين تمس المؤمن لتلبس عليه دينه ، وحين يرجع - بعد ان يمسسه ذلك الطوائف من الشيطان - الى ما في قلبه من نور يبدد تلك الظلمة ، والى ما في عقيدته من يقين ينفي ذلك الشك ، والى ما في فكره من برهان يحطم تلك الشبهة ، وحين يرجع الى الله خالقه ومدبره ، الذي يؤمن به ويلجأ اليه ويحمده ملء قلبه ونفسه وفكره وملء جميع آفاقه ، والذي يمتد بالنور واليقين والبرهان والطمأنينة ، أقول : وحين يرجع المؤمن من إيمانه الى هذا الرصيد العظيم ،

يوقن حق اليقين ان لديه عاصماً لن يمتس ولن يخدش ولن يقام له بسيل ،
وفيق من هذه التجربة قوة مضاعفة في ايمانه وبقظة واعية في ضميره ،
واقرأ معي آية الاعراف مرة ثالثة ، ليستبين لك بعض آفاقها على ضوء
هذا التشريح : (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا
فاذا هم مبصرون) .

ولدي العزيز : ماشأن هذه العوادي ، وما قدرتها ، بل وما قيمتها ،
لتكون أنت او لتفكر بأن تكون فريسة لها ١٩ .

عد اليها بجأش ثابت بالله وقلب مطمئن بنصره وعزيمة واثقة بقوته ،
فستجد الفتح من أول نظرة ، وعند أول مقابلة ، نعم ، وسترى عين
اليقين : ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

وابداً بالأفكار السحيقة التي اعترضت سبيلك أول مرة ، والهواجس
القوية التي هزمتك في أول معركة ، أبدأ بها أولاً فاولاً ، وواحدة
فواحدة ، ونحس مواطن الضعف فيها ، وسألت عليها النور الكاشف من
الايمان، والبرهان الهادي من العقل ، فسينكشف الظلام لأنه لا يملك ان
يواجه النور ، وسيزول الريب لأنه لا يقوى ان يقابل البرهان ، وسيذهب
الباطل لأنه لا يشجع أن يصابر الحق ، وستكون هزيمة الخاطر الأول تمهيداً
لهزيمة الهاجس الاخير .

انه الكبح ايها العزيز ، نعم ، انه الكبح لهذه الخواطر هو الذي نمتاها
فصبرها قوية عارمة ، وانه الخوف الشديد منها والتهرب من ملاقاتها هو
الذي شجعها فجعلها عادية مهاجمة ، أما غير ذلك فانما هي أخيلة لا قوة

فيها ولا مدد لها ولا ثبات لأمرها ، فلماذا يخشاها الإنسان وهو يتسلح
بالإيمان ؟ ! .

وكيف يحذر كيد عدوه الضعيف ، وهو يلجأ الى ربه القوي ، ويأوي
الى ركنه الشديد ؟ ! .

ولست أراني بحاجة الى تكرار نصائحي السابقة بعد ان استبنت رشدنا
ولست ببعض آثارها ، ولا الى التاكيد على ان يكون سبيل رسالة ابيك
هذه سبيل رسالته الأولى .

وسر ذلك انك في هذه الأدوار تفتقر الى قلب مؤمن يسندك ، كما
تفتقر الى ذهن نير يرشدك .

ولدي النجيب الحبيب ثم ماذا أقول ؟ .

هل تملك رسائلي أن تقوم بما أريد ؟ ! .

هل تؤدي عني بعض مهمات الأبوة لولدي ، وهو في ساعات احتياجه
الى حذب أبيه ورشده ؟ ! .

هل تنفي الرسائل بذلك . وخصوصاً وأنا أعزم - والله المشيئة -
سفرأ الى البحرين ، ولعل الفرصة هناك لا تتيح لي ان افكر كما أشاء وأن
اكتب كما أريد ؟ ! .

وأرجو من الله سبحانه العون حتى لا يصدني واجب عن واجب ولا
يصرفني حق عن حق .

وآمل ان لا يشبّطك هذا عن مواصلة كفاحك ، ولا يمنحك عن تعريفني
بنتائجك ، وانتظر أن يصلني جواب هذه الرسالة قبل سفري ، وهو على

ما يبدو لا يكون قبل يوم الثلاثاء القادم ومن الله التيسير وبيده التقدير ،
وله الأمر من قبل ومن بعد .

تفاعل ايها العزيز ، فخير الايمان باسم المشرق المتفائل .
ابتسم فكل ما حولك من ظواهر هذا الوجود وقوانينه واشيائه وأحيائه
مؤمن قانت مثلك ، يشد على كفك ، ويبتسم معك ويبارك لك ايمانك
ويذود معك الشبهات عنه .

وبعد كل ذلك فأرجو أن تفتح سجلاً شاملاً لهذه الخواطر التي
تخامرك أو تضايقك ، وأن تكون دقيقاً في تصويرها جريئاً في التعبير عنها،
وان ترسل الي منة نسخة ولو الى البحرين ، ولما اعلم ان هذا الغزم وحده
سيذهب باكثر من نصف هذه الخواطر ، وأؤكد ان تصلني رسالتك قبل
سفري .

واغتنم دعاء الأبوة وامانيها للعنبة وآمالها الكبيرة .

طلب . قصة حياة وقصة إيمان . ايمان في عالم الروح .
تناقض . في المترك .

٤٠

البصرة . ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٨٤ .

سماعة

سلام عليكم طينم :

وسلام لحوح . وتحية ممزوجة بالأمانى وههطرة بالأشواق

أي والدي : بغير عذر يتقدم اليكم ولدكم ، ويحمله قرطاسه من بعيد عليه
بإيمائه القاصر بعد مضي أيام كانت طويلة ، وبغير عذر أيضاً يدخل بآبكم .
ولكني ان شاء الله الحج اليكم وكلي شوق ولف واكبار ، وآمل أن تتلقوني
كذلك بالشوق واللّهف ، وحسبي من هذا الطول ، وربما هذا الجفاء اني
أردت ان اتعرف نتائج علاجكم الشافي ، واتحصف أكثر من آرائكم السديدة
ونصحكم الجميل ، لتمضي فترة واناسابت العلاج . ولتمضي فترة لتكون
النتائج . فحييت سيدي في مستقركم الجديد كما آمل لكم طيب الإقامة
وحسن الصحة ووفرة الابتهاج .

وهذي رسالتكم المليئة بالآمال المكلسة بالأفراح العابقة بالأنوار ، وأنا
أتناول بشوق جرعاتها الهنيئة رغم أن الآلام لازالت مرخبة سدولها والأفكار
الشعواء لازالت مقضضة أنيابها علي .

ويقف الآن بياني ليصور حالاتي المزدلفة ويصور هالاتي الفكرية ،
ويقف ليصور انتصاراتي وخيالاتي بين حين وأحيان ، ويقف ليصور أخيراً
موقف الشريد الذي لم يعثر - الا عن قريب - على من يداويه طول مدة
ألمه ، ولا من يوقظه حيال رقاده ، ولا من يمسك شخصه وهو في غياهب
سكرته ، وكـم طلبت أن اتلمذ على يد طيب ، نعم ولكني وددت ايضاً
ان يكون هذا الطيب عارفاً ايما معرفة بجراحة هذا البدن ، يعرف كيف
يدخل للأفكار فيعالجها، ويعرف مرابضها ومهاتها ونتائجها ، ويدخل الى
المواجس ثم يعلل وجودها ونتائجها وأدواءها ، وبدون جدوى لم أر في
الكتب ما يدلني عليه !! ولا في الرجال من أتعرف عليه ، وحين الممت
في ميدان الرجال - الماهرين بحسابي - الفيت شخصي قباهم ، ثم ما لبثت
أن فوجئت بالطرد الأدبي أو الاعتذار الوقتي والانهازم الديني !! بقصد
الاشتغال وكثرة المهام وبقصد آخر ، وكـم حنوت ، وكـم فشلت ، حتى
قررت أن ابسط ذراعي وسيط من احتمال انه سيرشدني وسيلتزم حياة هذا
الانسان ، ولبنة هذا الأسلام .

ثم عرفت بعد تجربة ليست بالقصيرة اني وغيري ان حرمانا من رجال
العلم او من العلم، فعناه اننا كتبنا على نفوسنا البؤس والشقاء والجيرة وان
بدا - في زحمة المدنية ومفاتها واشواق الدنيا ورغائبها - اننا - متصورون
اننا تقدميون . اننا مثقفون !! .

ولكنني ما استسلمت يوماً للظنون الفارغة ، وما اقتنعت بجدوى
النشوة الدلية ، والانتصار الزائفة ، وانما اردت صياغة نفسي متوازناً من

هيئة العلم متوازناً من رشح الاخلاص متوازناً من قوة المادة وقوة الروح ،
ولي في هذا التوازن حديث سأعرض له .

وعلى اي صورة فقد استلججت لتفسي قرار الإيمان بعلملة هذا
التدين وصدق دعوته وحقاتية منهجه ، حتى ألفت نفسي لا بد من أن أصونها
من عثرات الهوى وبطش الغواية وحيرة العمى ، أن ألعج في سلك الهداة
الى الله ودينه والمعرفين على طاعته ورضوانه .

واستقررت بعد هذا كله على نصاب لليقين وعرش الإيمان ، كما استقر
إيماني الخارجي ، ولم أبلى بمرض أبداً كان شكل نوعه ، وفي ظلال يقيني
وإيماني سرت كما لا بد لي من ذلك ، وطفقت أنخسف من العبر ما يمد
اعلاداً زاهراً لمستقبلي المغيّب ، واستر ما سلف من عيوب ونقائص ، حتى
هزقني الحياة هزات عنيفة وعمرى لا يربو على التاسعة عشرة ،

ثم أضاف القدر اليها عبراً زانخة بالأوصار وثكلات موجعة وألاماً
مقرحة وزفريات رمضاء محرقة وانقلاباً باهضة ، كلها وقفت بجاني . وفي
توبكر انطلاقة حياتي ٠٠٠ وكلها صدمات عنيفة لم تزد على هزة الحيلة
الا تردداً ، ولا من عبرها - في حسبي - الا أكثرأ ، ولا مني الا إيقاظاً
وتفطناً وتحرزاً وتحذراً .

ثم اشار القدر لي بحمل كل هذه الأرزاء ، وضربني ضربات فادحة
كانت بدايتها ان انهار والذي في عمله وخسر وخسرناً مبيئاً في تجارته .
وكان تبع ذلك ان انهارت حياتنا ومفتشنا ، ومرت الأيام ولكنها لم تعطنا
شيئاً يستحق للذكر فضلاً عن اراحتنا بللديون الكثيرة الشديدة التي لا تعد

إلا بعدد الآلاف .

ولا تعجب سيدي ، فلست مبالغاً بل هو الحق والصدق من واقع ما عاشه ويميشه ولدك الذي طلبت اليه ان يفتحك بسجل ، وستكون رسائلنا هذه بمثابة سجل حافل مكتوم مغلق عن نظرات الآخرين .

وطبيعي مثل كل ما مر ذكره ان يربك حياتي وان يشجع هيام الأفكار السوداء . اللاذعة في دماغي ، وانا في مثل ذلك السن الذي لايزداد يوماً الاّ تزيده الحياة هموماً وأرزاءً وآلاماً . في وقت لازل بصعد بانفاس محرقة لاهبة لى السن المذكور من ربيع العمر الوجيه .

ومن عوز الملل الى عوز الاعداد للمستقبل ، ثم عوز الناصح للمرشد الذي يجب ان يوقظ النفس ويفتحها لاعداداً ثابتاً مرناً .
وقد تقول ما لـ . . . وهذه ؟ انها حالة كل أحد .

اننا بأبناؤه عشنا فترة غير وجيزة ولا قصيرة ، فترة تقلبنا فيها في غمرات النعمة والمال نفوق الازهان ، اما الآن فحسرة النعمة السابقة ولذتها تموج على الخاطر وتمرّ مر الاحلام بغد اليقظة ، ولو اردت ان اشرح هنا لساحتكم لطال المقال ونخرجت ايضاً عما يجب ذكره .

وطبيعي ايضاً مثل هذا أن يزيد تأجع الأفكار السوداء وعيشها طويلاً في فكري ، ليكون أمر قلعها ليس سهلاً ميسوراً ، طالما تحققت التربة والبيئة والغذاء والشيطان !! . ثم سادني رعب طويل وانا اقلب في ظلم الكوارث ومعضلاتها الى ظلم الحرمان والفاقة كانسان وكشباب .

أفلا تكون واحدة من هذه كلها بقادرة على خلق انسان خائر حائر ؟

حتى أمسي في صباب عتابكم! وعتبكم تربية وتعاليم ، ولم ترضه مني : . كلا ٠٠٠
فاني خائر خائر لهذه الأسباب حيال القوى التي لا قدرة لي عليها . وليس
لضعف آخر . ففوة الإيمان ورساخة الثبات وشدة اليقين صمدتني للخطوب
ومنحتني جدة وجلداً في الحياة ، وخشونة وعبراً زاكية . يمكنني بعد أن
ألمح بصيصاً من نور الحق أن أسير متمرس العبر ومتمرس الفهم لهذه الحياة :
سيدي : وصبر نفسك الطاهرة الخيرة معي وعلى احتمال شجواي وأذاي هـ
وهل سمحت لي الآن أن أعيد الخطاب ؟ وأن استأذن مرة أخرى رغم
علمي أن وقتكم ثمين وغبين جداً ، ولكن حسب المرتين العطاء والأطباء
الحكماء أن يعلموا كينونات تلاميذهم كما يعلم الفلاح طبيعة أرضه ليزرعها
أي صنف او زرع أراد .

ثم جاء دور الإيمان مفعباً كل هذه الأحداث . جاء الإيمان ليسط
ذراعيه وسط خضم من أمواج تتضارب بشدة وتتخاصم بعنف في حومة
الصراع بلا رادع ولا مانع !! . جاء وسيله لذلك أن يدخل الى قلبي
فيشغله بهاليل وتساييح وتقاديس بدل أهوال وأوجاع وأوضار .

أجل دخل الإيمان ، وانطلقت روحي مرفرفة بقدمه ومرحبة بمجيئه
ثم سبحت في لجه غير ناظرة لشيء سواه ، وكان قد غرنتها نشوة من
نوم عميق أو سبات شديد ، تعانقا طويلاً وعمازجا وتحابا على روح الوداعة
والصدق والأمانة والإخلاص والصبر والعزم والاتكال على الله واحتمال
الأذى في سبيله وعلى روح الايمان المتاخة لكل اولئك .

وأطلقت لكياني الروحي عنان سبحاته وورشحاته وقداسته ، وتناسيت

كثاني الجسدي المادي في اكثر صفاته وأغلب متطلباته ، ونسيت معه أيضاً كل شيء لا يخص روحي واستعداد جسدي للموت والبلو والعدم ، ونسيت اني في الدنيا ، ونسيت اني محاسب على ذلك التيه لنفسى . وطبيعي فقد حرم جسدي كثيراً من راحاته في الصيف أو في الشتاء ، ومن جملة من حقوقه في اكثر الأحيان طاملاً يزيد نماءً لروحي .

وعلى أثر هذا التناقض ، بل هذا التبادل شحن فكري باصناف المواجس وألوان الأفكار ، وهنا لج التلاطم واحتدم الصراع حيناً أبصرت شخصي بعيداً عن مادية الدنيا ومتطلباتها ، حتى عبت على الناس أن يقوموا بأي نشاط حيوي ، وحتى عبت على نفسي أن تذهب الى عملها ، وخشية من سوء المصير وسوء العاقبة اندفع بغير شوق لبقية أعمالي وواجباتي الدينية ، حتى أني لا ادري أية عناية لأهلي وبيتي بل ونفسي ايضاً ، وهنا بذور محنتي التي تعرضت اليها في رسالتين وأطيل ذكرها هنا .

وحين رأيت بعض الناس لهم اهتمامات خاصة بدينامهم ، اهتمامات لا يحتقرها الاسلام نفسه ، وواجبات لا يمنع قيامها الايمان ، ورأيت نفسي تلوي على روحانية لا أصل لها في هذا الكون . لا أدري هل ندمت ؟ بل لا . وانما عرفت ذلك وتفطنت اليه ، وعرفت ايضاً البون الشاسع بيني وما يجمعني من الآخرين ، أردت اخيراً أن أسوي قضاياي بشخصي دون أن أخبر أحداً ودون أن أعلم فرداً قريباً أو بعيداً ، ومنذ زمن وانا في مثل هذا الاعداد واغراض التوازن ، ولا زلت حتى أفرطت في بعض مهمات الدنيا وحاجاتها فصدد الاسراع في التوازن والهيمنة الكلية المستوية

في الطريق الوسط .

ذلك هو عدم توازن مطالب جسدي بسبجات روجي وعدم التوازن
هذا أضفاني مقصدي وأناخني رهين الهواجس الظلماء والأفكار الخشنة ،
ولذلك كله أدرجت عضال مرضي في رسالتين موجزاً ، وها أنا ذا اصرح
البيكم ما وسعني التصريح وأضع النقاط على حروفها الملساء عساني انتقل من
عم الأفكار الى منار الحياة المشرقة واستقامة المقصود وعظمة المراد .

وبعد ذلك يا أبتي فاني اعتقد قد اوضحت القصد وعبرتُ بما يجب
بغير تلميح ولا تكتم . وبلا تلميح وبغير تكتم اشير أيضاً الى قوة السر
التي افصحتم عنها مع أني انا الذي أكابد فاقتهما وأعيش مضاضتها وضناها
حين أوجزتم صادعين : (وسر ذلك انك في هذه الأدوار تفتقر الى
قلب مؤمن يسندك كما تفتقر الى ذهن نير يرشدك) .

أجل والله ! لست انا فحسب بل كل انسان على وجه
الأرض .

فقد جاءت للنفمة أشد صدىً وأشد صدىً وأوقع حساً . . .
لجل وغير بعيد عليكم - مربي النفوس - أن تعلموا ذلك . وغير بعيد علي أيضاً
وانا انضوى مرارة الفكرة بفاقتي القهيفة الى قلب مؤمن وذهن نير ! ! .
ولكن من لي وانا بمثل هذه الظروف العصية التي تتناوش فكري
كما تتناوش صمتي وحياتي أن ادل على طريق راشد صائب وقلب مؤمن
طاهر ؟ ! ! .

كلا . وطريقي صعب مستصعب ، وانا أدري أن أمامي سهلاً ثلاثة

ليس بينها رابع . اما التزواج حالياً ومعناه الخلاص من كل فكر موحش والشفاء من كل هاجس أو رجس ، واما النزول الى حياض دنس الحيوانية ، وهذا معناه الافلات بالروحي والانتهزام الایمانی ، الى جانب الخسائر الكبرى التي تفادحني والمعضلات العظمى التي يأبأها ضميري وعقلي وديني ، واما الكتب الذي تحدثتم عنه في أواخر رسالتكم .

أما الأول فحال الآن . نعم محال وبكل تأكيد حالياً ، واما الثاني فقد وقفت على نتائجه قبالة ، واما الآخر فعنايه استئناف كتل مر بمر وكل فكر بآخر وكل هاجسة بلونها .

اما انا اليوم فحقاً لفي معترك صاحب بين عقلي وهواي ، بين ایماني وما يدعو لتفنيه . ولئن كان حقاً هذا فعحق كذلك اني لا . . ولن اصارع شخصاً آخر بمثل هذا الا أن اتعرف النتائج واستيقن من الطريق الثابت في غد المستقبل !! ٠٠٠٠

كما وانني وان اوحشت هذه السبل الثلاثة أمامي فاني كنت ولا ازال أنضرع بيد الاخلاص والایمان الى ربي الرؤوف الرحيم أن يرأف بعبيده الضعير في هذه السبل ويخلصه من فتن الأفكار السافيات وهوج الهواجس المردبات .

وعلمي يقين بأن هذه فتنة ، وهذه فترة بلية ، ضمت الى جملة فتن وبلايا حياتنا ، ولكنها ليست في ذات وقتها .

فاذا بصنع الاسلام في أمثال هذه البلايا والفتن . . والله في كل واقعة حكم ؟ .

واني وان كنت استرضع من لبان المعرفة قليلاً واسترزق من كنز العلم ضئيلاً ، فاني آمل من سماحتكم أن تفيضوا وتحققوا عني وبال امري الفضال ، كما وسوى انني لازلت كأنم حديثي عن كل أحد ، وستعلم أن ولدكم لازال ناهجاً منهاجكم ، وسرّاه ولدأ بارأ يكن تقديراً فائقاً وتكريماً نبيلاً اليكم لتكونوا على مداد الايمان وحب الاسلام أبأ رحيماً ورؤوفاً ، أبأ لا يستوحش من ابنه لثيبه وضلاله ولا ينفر منه للذوبه حتى يدله على معالم الطريق الرحب والنهج المستقيم .

ولدكم

البحرين . ٧ محرم سنة ١٣٨٥ .

سماعة

سلام عليكم ، ودموع هامة أغلف بها نحياتي ، وأربط معها تقديري
وتمنيتاني ، متوسلاً الى ذي القوة والجبروت أن يحفظكم لما فيه السعادة
والسؤدد ، ويسدّد خطاكم لخير هذه الأمة ، المحتاجة الى امثالكم ، المقتانة
على جهودكم وصبركم وأعمالكم النبيلة .

سلام يشقّ أجواء النجف والعراق ويهبط في البحرين ، ثم يقع
متواضعاً ، أمله الوحيد أن يردّ عليه بنحو من الانحاء المتعارفة ، فقد صفق
هذا القلب واضطرم في لجّة ، بخضمّ دماثة المواجهة ، ثم باعم أن اسود
وما لبث أن تغير ، لما جرى عليه من إعراض أبيه ، وجفائه له ، وبعده
اللاذع .

قصديكم - يامولاي - برسالة حسبتها أزعجتكم ، وظننتها آلتكم ، وانتم
محتاجون الى الراحة ، وما أدري ، وهذه نفسي وقعت من حيرتها في صلب
راحتها ، وشدة وحشتها ، وأغرب وقت يمرّ بها ، وأعصف ليل حالك
يمرّ عليها، وما أدري وانتم شجعتوني على الكتابة اليكم ، والإفصاح التام عما يخالج

شغوري من هواجس ، وما يخامر نفسي من آصار ، حتى إذا كادت هذه الهواجس أن تعمل حدة في غضب ، وشدة في شيء ، المحت لهذه النفس بالثبات ، وطلبت منها الهدوء في وقت ثورتها ، والسكون في شدة أزمته ، فعمت راضية او مكروهة ، ولبت النداء في ظلال رسالتين نفيأت بهما ، ورجعت اليهما رجوع الطفل الى حلم أمه أو الذ . . . وذرفت دموعي ذرف دموع الطفل على بعد ولادته أو أكثر . ومع كل حالة ربط الله على قلب ولدك بما أراد ، ونبّهه الى سبيله ، وذكره لخطر الطوائف العاتية الضارية ، التي تجعل من الانسان حيواناً بهيماً ، ليس له من حياته إلا ما يضره : جنسه ومعدته ورغابه .

وقصدتكم - ياأبتاه - ببطاقة معايدة لعيد الأضحى المبارك . وبعد مهلة الايام وبطء الجواب ، حسبت ان الأب تنحى عن ولده ، وظننت ان الربى ترك ربيبه ، وما حسبي انا الا ان اكتب وأكتب واكتب ، حتى لو طردني الأب الرؤوف ، أو جفاني الربى العطوف ، وبقيني أنكم مشغولون باشغال عامة كثيرة ، كما حدثني عنها في ختام آخر رسالة قرّرت عيناى بها ، وكما فهمت من . . . : إن أبناء البحرين يقصدونكم صباح مساء ، ولم لا ؟ ، فشيمكم فشت في مختلف أوساط الناس ، فما رأيت مكاناً ذكر اسمك فيه ، إلا وتحرّكت شفاه المتكلمين مدحاً وحباً وإكباراً وإعجاباً ، فأعجب انا بنفسى ، أن الله عرفني بين يدي كتابه ، في بقعة فاضلة طاهرة من ارضه ، أن التقيت بعظيم كبير

أبا ضياء : مريض بدأويه طيب ، هل له ان يتركه لجرّد أنسه

أعطاه للعلاج ، وحسبه انه شفي من مرضه ؟ وما يدريه ، لعل علاجه لم يجده نفماً الا اللهم ؟ فكيف بهوارض هذا الانسان كليكك ، هل يترك أياماً فشهوراً ؟ ، واذا قيل للطبيب : إن مريضك قد مات ، فاذا يفيد الاسف ؟ وماذا ينجعه بعدها من علاج ؟ .

على اني اعترف انني نثرت بعض بذور يائسة في رسالتي السابقة ، ومع اني أردت ان أقول الحقيقة ، لكي أستخلص دواءً شافياً ، وأقف صحيح البدن ، صحيح الفكر ، صحيح النفس ، معافى على يد لاهر طيب ، تدقّ الأيام جرسها المتصر اليه ، وتهلّل للقلوب اليه اكباراً .

وربما تكون هذه العنبي شديدة ، الاّ أنه كلام ولد في لسان مريض ، ولاني لأرجع الى نفسي فأقول : على رسالتي وبقايتي لم يوفّق لها ان تحلّ في البحرين وتهطل عليها ، طللا ماء البحرين بكفي فما أحسب هذه السحابة الضعيفة تقوى على شيء ، ليزيد أو لتسر !! .

وانتم - يامعاشر العلماء - رشح من أنبياء الله الأطباء ، جثم لتداواوا النفوس العلية والبصائر المدخولة ، وهؤلاء أطباء الأبدان فتحت حيناداتهم ليلاً ونهاراً ، فلا تغلقوا أبواب طبّكم ، وسداد لبابكم ، وحصافة آرائكم عن هذا الانسان ، وهذا المجتمع ، المملوء بمثل هذا الانسان المريض .

والمرضى لا طباء الابدان يهرعون اليهم ، وينتظرون بالأم وصبر ومضض على باب الطبيب حتى يحل وقتهم ، وأما مرضى النفوس ، وعليلو الأفكار فلا يأتون الى اطباء الأفكار ومداوي النفوس فضلاً عن الانتظار ، فحسبكم

ان تهملوا بنا وتنتهزوا فرصة إقبالنا ، وتشبهوا آمالنا بالرحب والسداد
والخير والأمل العريض .

لقد ثقفتني في رسالتين لم أَلَف موجودهما في كتب كثيرة ، وهذا
واقع حفظني إياه .

وأما شأن العلاج ، فلا زلت أتناول بعض جرعاته ، فقد كففت
نفسي عن مطالعة الكتب ، رغم اني وجدت ميلاً لمطالعة الكتب القصصية
والحكيمية والأدبية بصورة عامة ، ذلك انك تعلم اني مَيَّال الى المطالعة
طالما شرعت شراع سفيني على ذلك ، وصارت في لَجّ الحياة مائجة ،
ويراد منها أن تثمر ، وان تستد لهدف ، ومع أن ذلك لا يخلو من فائدة
تسقين بها خبرة ومعرفة وقوة أدبية مضاءة

وكما أوصيتني في أول رسالة فقد طرحت التلخيص أرضاً .

سيدي : لا تسدلوا ستارة دكناء علينا ، واقربوا إلينا بإعدادكم
ونصحكم ، وأضفوا علينا قوة في إيمان ، وصلابة في حق ، ورسوخاً في
ثبات ، وشجاعة في جهاد ، وحباً في تقوى

دم - سيدي - تكتنّفك رعاية الله حتى ترجع الى

ولذلك

اعتذار . الصلة القائمة على الإيمان لن تترث . الخطوب
تصوغ الرجال . لاخير في رجل لم تنضجه نار الاحداث .
بقي دور النتائج .

٤٢

للنجف : ١٥ محرم سنة ١٣٨٥ .

ولدي المذهب الأديب النجيب دمت في رعاية الله وكلامه
سلام الله عليك ورحمته وبركاته ، مع عظيم أشواقي ، وكثير سؤالي ،
وجزيل دعواني : أن يحقق الله أمنيّ لك ، ويبلغك آمالي فبك ، ويكفيك
ما أحذره عليك .

ولدي . واثذن لأبيك - قبل أي قول - أن يقدم لك بعض
عواطف الأبوة ، وأن يبتك من لواجع الفراق ، وصلّني رسالتك الأولى
بعد أن تأخّرت في البريد مدة تقرب من شهر ، ثم وصلّني بطاقة المعايدة
في أواخر شهر ذي الحجة ، ثم وصلّني رسالتك الأخيرة العاتبة الغاضبة
بالأمس ، ولم أراسلك كل هذه المدة ، ولم أعرفك بوصول رسالتك اليّ
- على أدنى التقادير - فما معنى ذلك ؟ .

قد تقول : ان أباك سلا ولده بعد أن تمادى به الفراق ، وقد
تظنّ أنه سها واجبه نحوه ، أو تغافل عنه وقد تركه في أشدّ المآزق ،
قد تقول هذا أو ما يقرب منه في شأن أبيك ، واثذن لي -- مرة أخرى -
أن أعبر عن بعض عواطفي قبل أن أقول : يسامحك الله على هذه الظنون .

هل تعلم أنني لم أستطع أن أقرأ رسالتك الأولى غير مرة واحدة في هذه المدة ، على ان الرسالة بين يدي في اكثر الاوقات ؟ وإذا كان هذا شأني مع الرسالة ، فكيف يمكنني أن أفكر في مناقيها التفكير الكافي ، ثم أضع في جوابها العلاج الشافي ؟ ! .

إنّ الواجبات تراكم ، والحقوق تنزاحم ، ومن الله العون على حمل الاعباء ، وهو المؤمل لتسديد الخطا .

لا . لا : إنّ أباك لم ينسك لحظة ، ولن تترث صلته بك - ان شاء الله - ما دامت قائمة على أساس الإيمان ، ومستمدة من روح القرآن ، ولن يتركك - يعون الله - للهواجس والوساوس ، ولكنها الظروف - يابني - كما يقولون تحكم وتنحكّم ، ثم هو قصور الانسان المحدود القوة ، إذا توالى عليه الضغوط ، ورسالتك تتضمن ثباتاً لا بد من دراسته ، ووزن الأحداث المذكورة فيه ، لمن يريد أن يصف العلاج المجدي ، وأرجو منه - سبحانه - أن يهيئ لي الفرصة الكافية لذلك .

لا . لا - ايها العزيز - : لم تزعجني رسالتك أبداً ، والطبيب الذي يطلب من مريضه أن يفصح له عن دائه ، لا يألم منه اذا حدّثه ببعض ما يجد .

لم تزعجني رسالتك أبداً ، ولكن أزعجني وآلاني جدا ان تنصّب هذه الأحداث كلّها على قلب صغير في مثل (عمر البرعمة) . . .

على قلب يتسم أوّل ابتسامة للحياة . . . وهو يأمل أن يلقي نظير تلك الابتسامة منها ! .

وأزعجني لإبطائي أنا في وصف العلاج ، فلعلي - والعون من الله وحده -
أوفّق الى أن أضع به حلاً للمشكلة .

لا . لا - ايها العزيز - : لا تبك فإنني لا أحاول إبكاءك ، وإنما
أصف ما أزعج أباك .

لا . لا - ايها النجيب - ، فقسوة الأيام ، وشدة الخطوب ، هي
التي تصوغ الرجال الجديرين بحمل الأثقال .

إي وعينيك ، ولا خير في رجل لم تنضج رجولته نار الأحداث ،
ولم تعجم عوده كثف التغيير ، ولم تلقح ثقافته تجارب التدهر ، أقول
هذا لا مسلياً ، بل أصف حقيقة لامراء فيها ، واطمح ببصرك نحو التاريخ
الرفيع ، وانظر أيّ الرجال العظماء لم تخلقه الأحداث ١٢ .

أما الكبت الذي أشرت اليه في رسالتك ، فسأقول لك - ان شاء
الله تعالى - : إنه ليس من الكبت في شيء ، ولكنه من التسامي ، وأما
الجرمان فانه بعض الدروس التي ستدرك عظم نتائجها يوم تستكمل درجة
التسامي ، وما هي منك ببعيد .

أجل وما هي منك ببعيد ، أقولها بوثوق كامل ، ونفس مطمئنة
للتائج الأخيرة .

لقد انقضت أدوار التجربة ، ولم يبق إلاّ دور واحد ، هو دور النتائج ،
ولا أنكرك - يا عزيزي - : انها دروس قاسية ، تتطلب رجولة وبطولة ،
وتخلق الرجولة والبطولة ، ولكن الثمار شهية رضية ، تذهب بجميع الأتعاب .
ولا أطيل هنا ، فلست أجب الآن عن رسالتك الأولى ، ولكنني

أشير ، وأنرك التفصيل الى رسالة أخرى ، أرجو من الله أن يستهل لي
تحريرها في وقت قريب .

نعم ، لا خير في رجل لا تنضج رجولته نار الأحداث ولا تعجم
عوده أكف الغبر ، وقد كان لأبيك من هذه الدروس الحظ الكبير ،
وقد عرفت - أخيراً - أنها من نعم الله العظمى علي ، وان توهمت في
دور الطفولة العقلية أنها من نوع آخر .
وأخيراً أزف اليك وافر تحياتي ، وكثير اشواني .

الثقة بالله أولا . أفكار تهاجم الإيمان في آفاقه العملية .
هكذا اتكن قراءتك الرسالة . السجل المدهش . حول
الله وقوته . إيمان فطرة . شذوذ عاطفي . شعور بالتناقض .
الكبت والكبح . حرمان وتسامي . نشوز عاطفي .
الهواجس الغريبة . استعراض واستنتاج .

٤٣

النجف . ٢٤ صفر سنة ١٣٨٥ .

ولدي المذهب المؤدب النجيب نظرك الله بعينه ، وآواك
الى ركنه .

سلام الله عليك ، ورحمته الدائمة ، ونعمته الموفورة ، وتوفيقه الشامل ،
ونظرنه الكائنة ، ورعايته الحارسة ، مع أشواق الأبوة الحانية ، وأمانيتها
الرقية العالية . وأعذار الحبّ المهاجر ، الذي لا يدّله في هجرانه ، ولا
مشيئة له في تجافيه ، والذي يغلم - حق العلم - بالآثار التي يتركها هجره
في قلب ولده الحبيب ، والصدوع التي يخلفها تجافيه عنه أليماً وشهوراً ،
وهو في ظروفه القلقة ، وفي رمضائه المحرقة !! .

ولدي : لست بهاجر ولا بمنجاف ، وقد ألححت في رسالتي التي أرسلتها اليك
من البحرين الى وجوه من معاذيري ، ولست لإخالي هنا محتاجاً الى تكرارها ،
والذي أتمناه على ولدي أن لا بعدد هذا التأخير صدمة في وجه العلاج ،

وسيعرف - بعد هذا - سر هذه الأمانة من أبيه .

وصلت البصرة ، فكان جوابك أول شيء فكرتُ فيه ، وقرأت رسالتك التي أرسلتها الي قبل ثلاثة شهور ، وأمعت النَّظر طويلاً في الثَّبت الذي انطوت عليه ، ومن الله - سبحانه - أسأل لي ولك التَّسديد في المنهج ، والتَّذليل للصَّعاب ، والفوز بالغاية .

ولتلق معاً - أيها العزيز - أن الله معنا ، ما دام هو غايبتنا ، وما فتئتنا نسعى لرضاه ، ونجهد لتقواه . ما دمت أنا مخلصاً في الوصف ، وما برحت أنت صادقاً ومخلصاً في التطبيق ، وهذا العنصر أهمُّ العناصر التي يفتقر اليها العلاج الدِّيني لأمراض النفوس .

وسأكتفي في جوابي بالإشارة المفهمة الي ما تضمنته رسالتك العزيزة ، فأنا أعتقد أنَّك تحتفظ بصورة منها ، وإنمَّا أصنع كذلك نظراً لطول الرسالة ، فذكر عباراتها كاملة ثم الجواب عنها تفصيلاً مما يطيل سبيل العلاج . وأودَّ أن اكون صريحاً مع ولدي في تبين النتائج ، كما كان صريحاً في وصف الداء ، والا أحمد له صراحته الموضحة ، وأرجو أن يحمد لي أختها .

والواقع أن رسالتك قد خففت قسطاً من المهمة ، فقد كنت فهمت من بعض رسائلك المتقدمة أن الأفكار والهواجس التي تشكوها ، من النوع الذي يعرض لذات العقيدة ، ولأسس الإيمان ، ومن أجل ذلك ، نصحت لك بترك المطالعات والتلخيصات ، للكتب الإسلامية فترة العلاج .

ذلك أنه لا جدوى في شحن الفكر بالمفاهيم الكثيرة ، ولا نفع في

لإجهاده بالبحث المعنت عنها ، ما دامت صمّامات الإيمان مفتقرة الى الإحكام ،
وما دامت ركائز العقيدة مهدّدة بالأوهام ، فكانت الخطوة الأولى هي
التفّرخ للعلاج ، وقد ذكرتها لك في رسالتي الأولى .

ورأيت أن العلاج الكامل : أن تستقبل الأفكار الوافدة واحدة واحدة ،
فتستعرضها بالنقد الصحيح ، المبتني على أسس المنطق ، ومناهج التدليل
والتعليل ، وأن تبدأ بالأفكار القديمة التي هاجمتك أوّل مرّة ، فكلّ ما
بعدها أصداء لها ، وقد أوضحت لك هذا في رسالتي الثانية .

ولكن رسالتك هذه أثبتت لي ، أن الأفكار التي تشكوها ليست من
النوع التي توهّمته ، وإنما هي من النوع الذي يهاجم الإيمان في آفاقه
العملية ، وأملّي من الله أن يكون المنهاج في هذه أيسر ، وأن تكون أنت
على مراعاته وتطبيقه أقدر .

ولنبداً آلا ن باستعراض المقدمات ، وایضاح النتائج .
باستعراض المقدمات كما ذكرت ، وأودّ ان تكون رسالتك المشار
اليها بين يديك ، فأنا معتقد بأنك تحتفظ لك بصورة منها : وأرغب أن
تكون منفرداً انفراداً كاملاً لقراءة رسالتك أولاً ، ثم قراءة رسالتي بعدها
مرة ومرة ، وما شئت .

واذا استطعت أن تكون قراءة الرسالتين بصوت مسموع .
واذا استطعت أن لا تحبس عاطفتك عند عبارات الرقة من كلتا
الرسالتين ، فاذا طغت العاطفة عليك عند قراءة ما يثيرها - وهذا ما أعتقد به
جائزاً - فأطلق لها عنانها لإطلاقاً كاملاً ، بعد التأكد من انفرادك عن

أي سامع وأي ناظر ، إلا من ربك الذي أنت بعينه .
أطلق لها عنانها إطلاقاً كاملاً ، فسيخفّ عنك ضغطها ، وينقاصر
الحاحها ، وتضعف قوتها ، بعد قراءة أو قراءتين أو أكثر - على فترات - ، ثم
تعود للقراءة الهادئة المفكّرة الواعية بعد ذلك . وهذا أوّل الفوز .

بني : وهذا موضع حاجتك الى قلب مؤمن يسندك ، كما قلت لك
في إحدى رسائلي : الى قلب كبير مؤمن يسندك بحبّه ، ويلحفك عاطفته ،
ويشعرك دفأه ، ويشاركك وجدانه ، فلا تشعر - وأنت في ظله - بغربة ،
ولا تحذر من ريبة ، ولا تخشى خيبة .

أمّا الذهن النير الذي يرشدك ، فانت مفتقر اليه في كلّ خطواتك :
حبيبي . وأود أن تعرج معي الى آفاق هذا النداء ، التي تملأ النفس
ثقة ، وتملأ القلب رضى ، وتنصل آخر النهايات بالله العظيم ، الذي
أمر بإقامة الصلّات بين المؤمنين على حبّه ، وتأسيسها على تقواه :
ذكرت لي في رسالتك سجلاً مدهشاً من الحوادث والكوارث ، التي
ألّت بك وبأسرتك ، والتي أشارت اليك المقادير بحملها ، والتّزويح
تحت ثقلها . .

واست أعلّق على ذلك هنا بأكثر من قوله مبيحانه : (إنّ الله وأنا
اليه راجعون) ، و : (لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم) .
أجل . وأيّ قوة تنجي من هذه الكوارث غير حول الله العلي
العظيم ؟ ، وأيّ سبب يجدي غير أن يشعر الإنسان ، ثم يثق ويطمئن بأنّه
- بسبب إيمانه وعقيدته - موصول بمعدن القوة التي لا تنه ولا تضعف

ولا ترام ، وبمصدر العزة التي لا تذلل ولا تخضع ولا تضام ؟ ، كما يتصل
المصباح المعتم والأدوات الجامدة بمصدر القوة الكهربائية ، بسبب سلك
دقيق ، فتفيض نوراً ، وتفيض حركة ودفء ، وتفيض برداً ونعماً ،
ما دامت القوة فائضة ، وما دامت الصلة قائمة ، وما دامت الأدوات
الموصولة صالحة للإقتباس والاستمداد .

فقوة الله وعزته وحوله ومدده ، هي التي تقي المؤمن الكوارث
والحوادث ، وأرغب أن نقيم على هذا التشریح معنى قوله سبحانه : (والله
العزة ولرسوله وللمؤمنين) (٨ : المنافقون) .

نعم ، وأؤكد لولدي ان ذلك ليس أمراً معنوياً فحسب ، ولا خيالاً
يقوم في محض التصور ، بل هو حقيقة شاخصة ماثلة ، يعيها المؤمن ويعيشها
ويشاهد آثارها وامدادها .

ولكنها تتوقف على أمر هو من صنع الانسان نفسه ، ومن عمله
باختياره .

على إحكام صلته بمصدر القوة العظيمة التي يريد أن يعنصم بها ويلجأ
الى ركنها .

وهو من صنع الانسان نفسه لأنه عقيدة ، وهي أمر يقوم على
الاختيار ، وهو من صنع الانسان نفسه ، لانه إيمان ، وهو أمر يقوم على
الاختيار كذلك وهو من صنع الانسان نفسه ، لانه رسوخ في العقيدة
والإيمان ، وهو نتيجة لتفتحهم الكامل الواعي لمعنى العقيدة ومعنى الإيمان ،
وللحقائق المضبوطة الواضحة التي آمن بها ، ولحقيقة الحقائق ومبدأ المبادئ ،

الذي أسلم اليه وجهه ، وفرض اليه أمره ، وأخلص له دينه .
ثم هي بعد ذلك توفيق ومدد من الله لا يمنعه من أوى اليه مخلصاً
وتوكل عليه معتصماً .

إن عصمة الله ومنعته لعبده حقيقة ماثلة وآثارها مشاهدة محسوسة ،
ولكن هذه شرائطها ومؤهلاتها ، وهي جدّ قربة منك بلطف الله ، وليس
مقامي منك هاهنا مقام لإطراء وثناء ، والحوادث والكوارث ذاتها مما يزيد
شعور الإنسان بعلاقته بالله ولجوئه اليه ، فليس عليه - بعد ذلك - الا
أن يستكمل الأسباب .

ولدي : قف على رسالتي هذه وقوفاً مستقصياً مستوعباً ، فلكل
حرف منها مدلوله ، ولكل كلمة جدواها ، وحتى هذه الوصية اليك
باستيعاب الرسالة واستقصاء ما فيها ، لها مدلولها ولها جدواها ، وأقول
هذا لتكون دقيقاً في تناول العلاج واستيفاء المنهاج .

ذكرت لي في رسالتك هذا السجل المدهش الذي بكر عليك وأنت
في ربيع العمر ومستهل الحياة ، وقلت بعد ذلك ، والعبارة لك : (ثم
جاء دور الايمان معقّباً كلّ هذه الأحداث ، جاء الايمان ليسط ذراعيه
وسط خضم من أمواج تتضارب بشدة وتتخاصم بعنف في حومة الصّراع
بلا رادع ولا مانع !! ... جاء وسيله لذلك أن يدخل الى قلبي فيشغله
بتهاليل وتسابيح ونقاديس بدل أهوال وأوجاع وأضرار) .

ولدي : لنقف قليلاً بين يدي هذا الايمان الذي جاء معقّباً على
هذه الأحداث لتتعرّف ما جوهره ، وما حدوده ، وما سماته .

ليس من النَّصَف ولا من الحق مطلقاً أن نقول كما يقول البعض :
إنه إيمان العاطفة المكبوحة المحرومة ، التي تُمنع رغائبها من جانب ، فتبتغي
لها عوضاً ومتنفساً من جانب آخر ، وأن التهليل والتسابيح التي لجأت
إليها مظاهر لهذا التنفيس .

ليس من النَّصَف مطلقاً ولا من الحق أن نقول كذلك ، فهو قول
من يجهل ركيزة الإيمان في فطرة الانسان .

انها الفطرة السليمة المستقيمة ، التي تشد الانسان بربه ، وتشعره
بهيئته وتدبيره ، وهي لدى الوقوع في المآزق والمضائق ، تكون أبين
حكماً وأصرح تعبيراً . انها الفطرة التي لا تلتوي ولا تنحرف عند الشدائد
وان التوى الإنسان عنها في أحوال أخرى ، والايمان الذي يستند إليها
ويستمد منها إيمان مكين رصين ، لا قصور فيه ولا اضطراب .

ولكن من الفضيلة أن نعترف ، بأن العاطفة المكبوحة قد توجّه هذا
الإيمان الفطري وجهتها التي تبتغي ، وتضرب عليه حدوداً ، تقصر أو
تبعد به عن حدوده الصحيحة ، فتتنصرف به الى ناحية الروح وحدها مثلاً
حين تحرم رغائبها من المادة .

وهذه هي حالة إيمانك الباكر ايها العزيز ، ومن أجل ذلك انصرفت
انصرافاً كاملاً الى الروح ، (وانطلقت روحك - كما تقول - مرفرفة
بقدمه ومرحبة بمجيئه . . . ثم سبحت في لجته غير ناظرة الى شيء
سواه . . . وتناسيت كيانك الجسدي المادي في أكثر صفاته وأغلب
متطلباته . . .) الى آخر ما قلت في هذا الشأن .

فالعاطفة المحرومة الممنوعة هي التي وجّهت إيمانك الفطري هذا الوجه المنحرف ، وشدة انغماسك فيها - أو بالأحرى - في الإيمان الذي رسمت هي لك حدوده ووضعت سمانه ، هي التي صيّرتك تعيب على الناس أن يقوموا بأيّ نشاط في الحياة ، وتعيب على نفسك أن تذهب الى عملها . ولما خشيت سوء المصير لتركك الأعمال والواجبات الدنيوية ، واندفعت الى مزاولتها بغير شوق ، أوجبت لك شعوراً بالتناقض والاستفذار ، لأنك توقن أن مزاولتها تلك الأعمال تناقض الإيمان .

وأقول : العاطفة والرغائب المحرومة الممنوعة هي التي أوجبت ذلك ، ولا أقول المكبوتة ، لأنها كانت موجودة ماثلة في شعورك ، وأنت تحسّ بها احساساً كاملاً وتشعر بالحاحها ، ولكّنتك في الوقت ذاته تسعى لقمعها والتعويض عنها .

ولا تكون الرغبة أو العاطفة مكبوتة حتى يمنع ظهورها في الشعور ، وتختفي في منطقة اللاشعور ، ثم تطفو في شكل عقدٍ أو أحلام أو أمراض . هذا هو الكبت ، وأنت بعيد منه بفضل الله ، أما الذي تشكو منه فإنه الحرمان ، وأما الذي كنت تسعى اليه في إيمانك الباكر فهو التسامي ، وإن كان سعيك اليه بطريقة ملتوية ، وسأعود الى توضيح هذه النقاط إن شاء الله عند الحديث في العلاج .

وحين تبيّنت الى واقع الإيمان الصحيح ، وواقع إيمانك الذي كنت تلوي عليه ، وعرفت الفارق الكبير ما بين الواقعين ، وأردت أن تتلافى الأمر بنفسك ، لا باستشارة خبير ، تدخّلت العاطفة والرغائب الممنوعة

- مرة ثانية - في أمرك ، ولكن تدخلها في هذه المرة كان بطريقة لا شعورية ، فاقترحت على الفكر بالتزام الإفراط في المهملات المادية ، بحجة أن يتم لك التوازن بين مطالب الجسد ومطالب الروح بصورة سريعة ، وهكذا كان .

وكلا السلوكين نشوز عاطفي لا يتم به توازن أبداً ، وإن طال السبر وطل ، وكلا الحكيمين لإرضاء للعاطفة في حال غضبها وفي حال رضاها ، وقد كان حكمها في المرة الأولى تحويض عما فاتتها بحكم الحوادث التي جرت عليك ، أما حكمها في المرة الثانية فهو للسرف في استيفاء مطالبها باسم الاعتدال ، وضمّ شلوذ الى شلوذ لا ينتج توازناً ، ووصل خطّ منحرف بخطّ منحرف لا يؤلف خطاً مستقيماً :

ولدي العزيز : وعلى ضوء هذا التحليل ، فيمكن لي أن أنبأ بنوع هذه الأفكار والهواجس الغريبة التي تنهال عليك وتضيقك وتنقص عليك حياتك ، وتنقص مضجعتك .

فالأحداث القاسية التي حلت بك وبأسرتك وأنت في ربيع الحياة ، من شأنها أن تملأ ذهن الناشئ - الذي لم يزود برصيد من المعرفة - بنوع من أحلام اليقظة ، : بأمان واسعة النطاق : أن تقوم له اليد الغيبية العليا بسد العوز وصدد الأحداث وإزالة الكوارث عنه وعن أسرته ، ويخرجاع السعادة المفقودة بأوفى من نصايبها الأول ، أن تقوم اليد الغيبية له بذلك بصورة غيبية كذلك ، وتشتد هذه الأمانى ويشتد تعلق الناشئ بها إذا كان قلبه ينطوي على إيمان مكين .

فاذا ألحف بالأمني وألح في الطلب والدعاء ، ولم يسعف بالإجابة
ولم تخف عنه الأزمة ، ساورته الظنون بعدالة اليد الغيبية ، أو بقدرتها
على كشف ما به .

ويبدأ هو بخلق تلك الظنون وصرف تلك الخطرات عن فكره احتفاظاً
بإيمانه العزيز عليه ، واعتزازاً بقوته التي التجأ إليها ، وخشية من غضب
الإله عليه ، ولا يزال مع هذه المواجهات في كثر وفر وأخذ ورد ، حتى
ينتصر هو عليها ، اذامن الله عليه بامداد من المعرفة ومن الإيمان الصحيح ،
أو تنصر هي عليه اذا كان الأمر على الضد من ذلك ، أو تبقى الحال
على ما هي عليه ، إلى القلق والاضطراب والحياة المعذبة .

والرغبات المحرومة والغرائز المقموعة ذاتها تلح على الناشئ إلحاحاً
شديداً ، وتجهد أن تعبّر عن ذاتها تعبيراً قوياً ، ولا سيما اذا كان الناشئ
في أجوار المراهقة أو قريباً منها ، في أدوار بروز الطاقة وانتقاد الغريزة ،
فاذا أراد الناشئ أن يجمع هذه النوازع من نفسه باسم الإيمان واسم التطهر ،
واذا نظر إليها نظرة الدّنس الذي يجب أن يتأثم منه ولا يسوغ له التفكير
فيه ، ازداد إلحاح الغريزة وارتفع صوتها ، وتنوّع احتجاجها ، وتدخل
العقل في أمرها فهي تطالب بحق ، ومددها الطبيعي المتزايد يزيد الموقف
حرجاً .

فاذا أصرّ الناشئ على قمعها باسم الإيمان توجهت التهمة من العاطفة
ومن العقل إلى عدالة هذا الإيمان الذي يمنع الحقوق وظنت به الظنون ،
واستمرت الحال كذلك بين كثر وفر ، والنتيجة في ذلك هي النتيجة السابقة .

ولدي : هذه نتائج أقررها وأكاد ألسها من المقدمات السابقة ،
ولكن ماذا وراء ذلك ؟

إنك لم تكسب إيمانك الباكر من عاطفة ، وإنما كسبته من دلالة
الفطرة ، فهو إيمان رصين مكين ولا ريب .

والعاطفة هي التي وجهته الى الروح وحدها ، فهو خطأ عاطفي لا
خطأ فطري ، وليس لوثه في الإيمان ذاته ، ولكنه قصور في المدارك التي
خضعت للعاطفة في تحديد الإيمان .

والتهمة التي توجهت من النفس والعقل - بعد ذلك - الى عدالة
الإيمان ، إنما تنصب على هذه الحدود المخطئة التي قررتها العاطفة ، أما
إيمانك الفطري بمحدوده الصحيحة فهو نقي بريء ، لأنك إنما تؤمن
بالإسلام ، والاسلام بمحدوده الصحيحة يعترف لكل من الجسد والروح
بحقها المشروع ، فهو بريء من تلك التهمة بعيد عنها .

وأنت لما استبان لك أن الاسلام لا يختص بالروح ، فأفرطت في
تناول الأمور المادية بقصد الإسراع في تحصيل التوازن بين مطالب الجسد
ومطالب الروح ، لم تقصد الإفراط ، بل والمظنون أو المتيقن من حالك
أنك لم تفرط بالفعل ، فإن معنى الإفراط هو التعدي عما سوغه لك
الشارع من المباحات ، وأنا موقن بأنك لم تتعد ذلك .

وافراطك إنما تعني به : أنك انهمكت في مباحات الدنيا ، على وجه
لم تعهده من نفسك في أدوارك الأولى ، واذن فلا ضير ، ولا حرج ،
ولا تعدي ولا افراط ، مادمت لم تكسب شيئاً من المحرمات ، فإن هذا

هو الحدّ الفاصل في حكم الشريعة الاسلامية المطهرة بين الاعتدال والافراط :
وعلى وجه الاجمال فلا قصور في إيمانك يوم قبسته من الفطرة ، ثم
لا قصور فيه يوم ركزته على الفكرة ، نعم أخطأت في شأنه خطأ عاطفياً
يوم قصرته على ناحية الرّوح وحدها ، والتهم التي توجّهها الغريزة المقموعة
والرغائب الممنوعة والعقل المتصر لها يوم قمعتها باسم الإيمان ، انما تتوجّه
الى الإيمان الذي قصرته على ناحية الرّوح .

فإذا تزوّدتَ بعد ذلك من المعرفة الكاملة : ان الاسلام لا يهلر
حقاً من حقوق الجسد ، ولا يظلم ضرورة من ضرورات الرّوح ، ولا
يسوّغ للمؤمن أن يحيف على جانب منها ، بل يوفي لكلّ من الجانبين
حقّه غير ممنوع ولا منكود ، اقول : فاذا تزوّدت هذا من المعرفة الكاملة
بمناهج الاسلام ارتفع ذلك الخطأ العاطفي القديم ، وزالت نتائجه وعقائيله
من الشعور ، واذا كان بعضها لا يزال راسباً في منطقة اللاشعور ، فلا بد
وأن يزول على مرور الأيام بعد زوال سببه ، وارتفاع ما ينميه ويغذّيه ،
ويمكنك العمل على تذكره وازالته بدون عناء .

وأما التّهم التي يوجّهها ذهن الناشئ الى عدالة اليد المغيبة اذا لم
تحقّق له أحلامه ، أما هذه التهم وتبعاتها فانها تزول يوم يستكمل معرفة
وإيقاناً : بأن الله لا يمدّ معونته وإجابته لأحدٍ من الناس من وراء حجب
الغيب ، فقد شاعت حكمته ان يجري الأشياء بأسبابها ، وأن ينيطها بأجلها
وأوقاتها .

هذه دراسة شبه مشوعية للتّبت الذي احتوت عليه رسالتك ، وأرجو

من الله أن أكون فيها موقفاً ، أمّا بقية النتائج ومنهاج العلاج فقد رأيت
أن أفردتها في رسالة ثانية قريبة ان شاء الله .
وتقبل تحيات ابيك وعواطفه وأشواقه الكثيرة ، واسلم .

استعراض وتركيز . العلاج . مراحل . شروطه .
الحرمان . التسامي . غريزة الجنس يثيرها التفكير .

٤٤

النجف . ٢ ربيع الاول سنة ١٣٨٥ .

ولدي الزكي الأديب دمت في عصمة الله ومنعته مما
أخافه عليك وأجذره .

سلام الله عليك ورحمته ، وبركته ونحيته ، مع وافر شوقي ، وبالغ
تقديري ، ومنه أسأل لي ولك تحقيق الأمل وصلاح العمل ، ونظرة الرضا
في الآخرة والأولى :

أرسلت اليك قبل هذه رسالة طويلة ، وقفت فيها ملياً على الأحداث
العاصفة التي ألمت بك في بكر شبابك ، وكادت أن تلّون فكرك كما
لوّنت حياتك ، . وضممتها دراسة شبيهة مستوعبة ، أرجو أن تصل اليك
وتجتنى ثمارها شهية رضية ، وأن يصلني كتابك قريباً يُطمئِن قلب الأبوة
الخافق .

وأنا واثق أيتها العزيز بأن الله لن يسلمك ضحية مهدورة للأفكار
العاتية ، بعد إخلاصك له ، وجهادك لابتغاء مرضاته ، فهل لولدي أن يشاركني
هذا الوثوق ؟ ، والله عند حسن ظنّ عبده المؤمن .

قلت لك في رسالتي المتقدمة : إنك بحمد الله لم تصب بكبت من

جَراء رغائلك ومطالب جسدك التي حرمت منها لتلك الكوارث ، والتي
أصررت بعد ذلك على أن تمنع نفسك منها باسم التطهر والزهد والانصراف
عن ملاذ الدنيا وضرورات الحياة ، حين أوحى اليك العواطف المحرومة :
أنّ الإيمان إنما هو تهذيب الرّوح وإعلاؤها ، وإهدار حقوق الجسد ،
والعزوف عن شؤون المادّة وعلائقها .

لم نصب بكبت من جَراء ذلك ، وإنما أصبت بالحرمان ، وقد
تعرضت للفارق الإصطلاحي بين معنى الكبت ومعنى الحرمان .

فالكبت الذي يعرفه علماء النفس ، ويحتدرون منه ، ويذكرون له
المحاذير ، والعواقب السيئة الشديدة ، هو أن تُقمع الرغبة ، ويشدد الحصار
عليها حتى تستكين وتخضع ، ويمنع من ظهورها في منطقة الشعور ، وتخفي
مقسورة في منطقة اللاشعور ، فتكون حين هذا مكبوتة ، وتسبب للانسان
عقداً وأحلاماً وعُصاباً وأمراضاً نفسية أخرى .

انك لم نصب بكبت ، ودليل ذلك : ان الرغائب والضرورات
المادية التي منعت منها ، ثم أصررت أنت على الامتناع عنها باسم الإيمان ،
لم تكن محجوبة عن شعورك أبداً ، وهي لا تزال ملء شعورك وتصورك
الى الآن ، فهي ليست مكبوتة في منطقة اللاشعور ، وإنما هي ممنوعة
التحقّق محرومة الإستجابة ، وللمنع والحرمان آثار غير محمودة ، ولكنّها
ممكّنة التحمّل بسيرة العلاج ، وسأعود الى الحديث عن هذا أن شاء الله .
وقلت عن إيمانك الباكر : انه إيمان مكين لا قصور فيه يوم قبسته
من الفطرة ، ولا يوم ركّزته على الفكرة ، وأما قصره على جانب الرّوح

وحدها ، فهو خطأ أوقعتك به العاطفة المحرومة ، والنفس الإنسانية تعمل مثل هذا العمل كثيراً ، فإذا حرمت رغائبها من جانب ، ركنت الى الجانب الثاني وأفرطت فيه ، بدافع الاحتجاج عن ذلك الحرمان ، أو بدافع التعويض عنه . وعلى أي حال فهو لا يחדش إيمانك الفطري ، ولا ينال من قيمته ، وهذا الخطأ العاطفي لا بدّ وأن يكون قد زال بعد أن اطلّعت على حدود الاسلام الحقيقية ، وعلى مناهج القيمة . لا بدّ وأن يكون قد زال وانطوت معه عقابيله ، وزالت بتبع ذلك التّهم التي وجهتها الرغائب المحرومة الى الإيمان ، يوم كانت تزعم أن تلك هي حدوده .

والإفراط الذي ركبته في مطالب الجسد بعد ذلك خطأ عاطفي كذلك ، لم يחדش الإيمان ولم يقلل من جدواه ، بل وأنت موقن حتى في تلك الحال : انه ليس من حدود الإيمان ، وإنما ركبته بعد الإفراط في ناحية الروح طلباً لحصول التوازن السريع ، فلا بدّ وأن يكون هذا الخطأ العاطفي الثاني قد زال كما زال سابقه ، ولم تُبق لك المعرفة بمناهج الاسلام الحقيقية إلاّ الإيمان بحدوده الصحيحة :

واذن فإذا بعد ذلك ، وما مثار هذه الأفكار التي يشكوها ولدي العزيز ؟ .

هنا الصدمة العنيفة ، التي صدمته وهو لا يزال في بكور الحياة ، دون أي إعداد ودون أي تجربة ، ودون أي مران على مصاولة الأحداث . هنا هذه الصدمة القويّة الشديدة ، التي امتدت وتلوّنت واتسعت دائرتها ، وتعددت جهاتها ، وعمقت آثارها ، والصدمة اذا كانت مفاجئة

دون إعداد ودون مران لابتد وأن تخل بتوازن ، ولا سيما اذا كانت في
أثر نعمة موفورة وحياة مرفهة ، ومن أجل هذه الصدمة كنت تذهب
بإيمانك وبسلوكك ذات اليمين وذات اليسار :

ويبدو أن الله سبحانه قد رؤف بك قبل إيجادك ، فأعد تكوينك
النفسي لمقابلة هذه العواصف ، فزودك بفطرة قوية ثابتة حملتك على الإيمان
حلاّ وأنت في أشدّ الأزمات وأضيق المضائق ، ولولا هذه الفطرة القوية
الحكيمة ، ولولا هذا المرمى الثابت من الإيمان الفطري الذي ألبأتك اليه ،
وبالأحرى لولا لطف ربك الرؤوف بك العليم بأمرك ، الذي أعده لك
هذا الدليل برحمته ، وآواك الى هذا الحصن برأفته ، لكنت ضحية ممزقة
بأيدي الكوارث وأنيابها .

وحتى العاطفة المحرومة التي قلت لك : إنها أوقعتك في خطأ عاطفيّ
يوم انصرفت بإيمانك الى ناحية الرّوح ، إنها غطت في هذا التحديد الذي
جعلته للإيمان ما في ذلك شك ، ولكنها كانت حكيمة الى حدّ ما ،
فلولا هذا الميل بك - باسم الإيمان - الى ناحية الرّوح ، لما صمدت
للأحداث ، ولما ثبتّ للعاصفة ، أقول هذا محمّلاً ومذكّراً لك بنعمة الله
عليك ، ورأفته بك ، ولظرفته لك ، وفي الامثال السائرة (ربّ شرّ في
باطنه خير) .

هذه فطرتك ، وهذه عاطفتك المحرومة ، وهذا إيمانك الفطري الباكر ،
كلّها من نعم الله الخفية عليك ! . والصّدمة التي تحدّثنا عنها واستهولنا
وقعها ، إنما هي صدمة وهائلة في أول حدوثها ، أما بعد ذلك فلا تكون

صدمة وإن استمرت بعض آثارها ، واستمرت مضايقاتها وتبعاتها :
وهنا الأفكار السوداء ، والخواطر القلقة ، والهواجس المختلفة الملونة ،
التي تنهال على فكر الناشئ أيام أزمته وشدته ، فيستريح الى بعضها ، ولا
يمكنه التخلص من بعضها ، وتتخذ فكره مسرحاً لها ، هادئاً مرة وثائراً
مراراً ، ومتقلباً بين شتى الخواطر وشتى الانفعالات في أكثر الحالات .
ويمكن لهذه الوسوس المختلفة : أن لا يكون للناشيء - في أحواله
تلك - ناصح رشيد موثوق ، يأخذ بيده ويسدد فكرته ، ويغذيها وينميها
أن لا يكون له قلب مواس يشاركه وجدانه ويبيته أحزانه ، وهذه هي
الأعراض التي تشكو ضررها أيها العزيز .

وعلاج هذه الأعراض يسير بمدد الله ، ولكنه يفتقر الى مصابرة
ومجاهدة في الله ولجوء اليه .

وأولى مراحل العلاج : أن تشعر نفسك بأنها قادرة على التخلص
من هذه الأوباء ، والارتفاع عن هذه الأخطاء ، وقد أعد لك الإيمان
والإطلاع على مناهج الاسلام والقراءة الواعية لمختلف الآراء ولشتى
الثقافات ، قد أعدت لك نفساً رفيعة طيبة ، جذيرة بهذه الصفة التي
توجيها اليها .

وليكن إبحاؤك هذا الى نفسك قوياً مفهماً ، ومتواصلاً مستمراً
برهة العلاج كلها .

ولتعلم حق العلم : أن هذه الأفكار من صنع نفسك ، وان تسيبت
لها الحوادث وهيأت لها الظروف ومكنت لها الملابسات ، انها من صنع

نفسك ، فلن تكون أقوى من نفسك أبداً ، لإنّها من صنع نفسك فهي التي أوجدتها ، وكل ما هنالك أن الحوادث والملايسات وجّهت نفسك إليها توجيهاً ، وحنمت عليها أن تكونها ، ثم مرنت النفس ومرنت الإرادة عليها ، حتى أصبحت تعملها بطريقة تشبه أن تكون لا شعورية .

وهذا المران سيخف تدريجاً ، ثم يزول تماماً بارتفاع النفس وتنبهها ، وتوجيه الإرادة ، والوقوف الصامد في وجه هذه الأفكار السوداء ، ولا سيما بعد أن أدركت النفس مغتبة هذه الأفكار ، وعاقبتها السواى التي تحيق بالمرء ، وتُظلم حياته ، وما تجرّه عليه من وبال .

نعم لقد مرنت النفس عليها ومرنت الإرادة ومرن الفكر ، ومن أجل هذا الاعتياد افتقر علاجها الى مصابرة ومجاهدة في الله ، ولكنه على أي حال أمر يسير .

ولابد لك من قطع الخطّ أمام هذه الأفكار ، بفهم النفس لفهاماً صريحاً كاملاً أنها بلطف الله قد أصبحت أرفع من هذه المنحدرات . ولست ضعيف النفس ، ولا ضعيف الفكر ، ولا ضعيف الإرادة ، ولو كنت كذلك لما ثبتّ أمام الحوادث والكوارث وأمام هذه الأفكار المعتمة السوداء طيلة هذه المدة .

ولدي : وأيسر السبل بعد ذلك ، وأحراها بسرعة الانتاج : أن تشغل بالك بالأفكار الصائبة ، الكثيرة الجدوى ، المتسلسلة ، بحيث لا تدر مجالاً ولو صغيراً لشيء من الأفكار الأولى ، وإن تطفّل منها شيء في وقت من الأوقات فلا بدّ من إقصائه وطرده طرداً مبعداً .

أشغل ذهنك بالأفكار الصحيحة المضبوطة التي تضاد تلك الأفكار الأولى وترتفع عنها ، ولتكن الأفكار التي تشغل ذهنك بها من الأفكار المحبوبة لك ، الأثرة في نفسك :

وأرغب أن يكون من بين تلك الأعمال التي تُشغَل بها : أن تدوّن مأساتك التي واجهتها في الحياة قصّة مستوفية الحلقات ، دقيقة العرض ، رشيقة الأسلوب ، خيالية الأشخاص ، ونودعها جميع آلامك وشجونك ، وأرى أن تأليفك لمثل هذه الرواية سيقوم لك بأذن الله بثلي العلاج ، ان لم يقم لك بالعلاج كلّه .

ويمكنك أن تضمّنها ألواناً من النّقد التربوي ، والتوجيه الاسلامي في هذه الحقول ، فتضيف الى الهدايات الاسلامية قصة واقعية هادفة موجهة ، مؤلفة الحوادث ، رفيعة الأهداف .

وأنا أعلم أن قيامك بهذه الفكرة سيشغلك طويلاً ، نعم وهذا ما أرومه لك بالفعل ، وأعتقد أن النجاح يتوقف عليه الى أمدٍ بعيد ، وتمكنك الاستشارة بعد هذا في بعض النواحي التي تتعلق بالمطلوب :

وهنا الحرمان الذي كتبته الحوادث على رغائبك ومطالب جسدك : الحرمان المطلق من حقوقها المشروعة العادلة ، وحتى من بعض الضرورات التي يتطلبها انتظام الحياة . الحرمان الذي كتبته الأحداث عليك أول مرة ، ثم أصررت أنت على وجوب مواصلته باسم التطهر والترفع عن مطالب الجسد وملاذ الدنيا .

الحرمان الذي يؤدي الى حرب مستعرة دائمة ، بين الرغائب الكثيرة

القوية المقموعة ، وبين الدوافع ذلك الحرمان ، ولا سيما اذا وقع الحرمان أيام المراهقة وما بعدها ، أيام تنبّه الغرائز ، وابتداء النشاط في بعض الأجهزة ، وقوة التجدد والاحترق في مختلف الخلايا ، ولا سيما اذا وقع الحرمان بعد نعمة ميسورة وسعادة موفورة .

وآثار هذا الحرمان كثيرة في الانسان في مختلف نواحيه ، ومن شديدها الأفكار المختلفة الملّحة ، والمطالبة الطبيعية القويّة بحقوق الغريزة ، المطالبة التطبيعية التي لا تفرّ ، ولا تهادن ، ما دام لها مدد من الطاقة ، ومنبه من الطبيعة ، والتضغوط الشديدة على مختلف الأجهزة التي قد تؤدّي الى ارهاق الأعصاب ، وبلبلة الفكر ، وإحاش الحياة ، ولا سيما اذا صاحبت الحرمان نظرة استقذار واستنكار لهذا الشعور .

وهذا بعض الأعراض التي تشكوها .

والتزواج الشرعي هو الحلّ الكامل الذي تنتهي به العضلة كما قلت في رسالتك ، ولكن :

اذا لم يكن القرآن الشرعي ممكناً ، للعوز الذي أطبق على حياتك بعد تلك النكبات ، فهل يكون السبيل هو الكبت ومواصلة مرمر "؟؟" أو الإرتكاس في حماة الرذيلة ١٢ .

لا : لا أيّها الحبيب ، ان الله سبحانه حين قال في كتابه الكريم : (وليستغف الذين لا يجدون لكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله) لم يأمر هؤلاء بالكبت ، ولكنه أمرهم بالتسامي والاستغفار .

التسامي عن سقطة الخزي ، والاستغفار عن حماة الهون .

والتسامي والاستغفار نطلع بالفريزة الى الوجوه النبيلة التي يغرف بها دين الله ، وحبس لها عن الانهيار والانحدار ، وهو غير انكار حقها الشرعي حتى ترتد مكبوتة الى منطقة اللاشعور .

انه الاستغفار والاصطبار ، وفي الصبر شدة ، وفيه مضاضة ، ولكن في اللجوء الى الله عوناً ، وفي فضل الله غنى ، وفي الاعتصام بتقوى الله ضماناً ، وفي التفكير الجاد بما يجب على الانسان لرّبه ، ولدينه ، وللنواحي الكثيرة الأخرى من حياته صارفاً ، فانها الطاقة الحيوية في الانسان اذا صرفها في ناحية خفت في نواحيه الأخرى ، وهذا معنى قول الرسول (ص) : « يامعشر الشباب عليكم بالباءة ، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » .

إنها الطاقة الحيوية المحببة في هذا الكائن تولد لها أجهزته بحكمة وعلى قدر ، فاذا توجهت به الاهتمام الى ناحية أو نواحي معينة ، وصرف فيها مقداراً كبيراً من الطاقة ، قلّ نشاطه في نواحيه الأخرى ، وخفّ ضغطها .

ومن أهم ما يعين على التسامي والاستغفار قلّة التفكير في ناحية الجنس ، وعدم التعرّض لمثيرات الفريزة ، ويمكن الخطأ والخطر أن يفكر الرجل في هذه الناحية أو يتعرّض لمثيراتها ، فاذا هاجت واضطربت طلب لإخادها بوجوه غير طبيعية أو غير شرعية .

وللإنسان ضرورات كثيرة يتوقّف عليها بقاؤه أو بقاء نوعه ، والكثير من هذه الضرورات - كالطعام والشراب - يشعر الانسان بالحاجة اليه

شعوراً تنقائياً ، ولا يتوقف على سابق تفكير ، وغريزة الجنس هي الضرورة الوحيدة التي لا يعلن صوتها ولا يغلب أمرها الا بعد التفكير ، وهذا أحد صِّمات الأمن التي وضعنها الحكمة الخالقة لهذه الغريزة ، كيلا تنطلق دون حق ، أو في موضع تتمدّر فيه الاستجابة لها ، فتتحقّق المخاذير الطبيعية وغير الطبيعية .

ولدي : لقد أطلت وأطلت ، وأرجو أن تجد من هذه الاطالة خيراً كثيراً وبلغة كبيرة ، وأن يصلني كتابك قريباً ينفس بعض هموم أهلك الذي لا ينسأك ، كما أرجو أن التقي بك قريباً فأرى مظاهر الصحة الكاملة والنعمة الشاملة تطفح على أساربك ، وترسم على كيانك وتشرق مع إيمانك . وازف اليك وافر نحياتي وعظيم اشواقي وبالـغ تقدبري ، ومن الله أسأل لي ولك تسديد الخطأ ، والعون في جميع الأمور ، واسلم .

قصة • اشراف على بؤرة • انتعاشة وتناثر لشفاء •

٤٥

البصرة .

وبعث بهذه الرسالة بتاريخ ١٦ / ٦ / ٦٥ ،

وقبل وصولها، الرسالتين السابقتين اليه .

سماعة

سلام للأب ، ونجدة الطاعة : بنحشوع الإيمان ، وقوة الثبات ونفوذ

الارادة .

ومن جلال الصبر ، وعظمة الهدى ، وصحة العزم ، أقبل بد الأوبة

الناصعة الشافعة .

ومن روح العدل ، وشفقة الحق ، وحصافه الرجولة ، وعبق الأنفاس

الحرّ بالأخلاص والنبل والشهامة أضع متواضعاً ابتها لاني وأمانتي . . وسلاماً

عقيب سلام ، وحناناً فياضاً ، ونجدة نامية ، ودعاءً حاراً مستمراً

فيأيها الأب الحنون ، وياأيها الكبير الصّابر على هذا الكلام الصغير

النحيف ، توغل في قولتي سيدي ، ولا تنبذ لإفراط شجوي ، فقد ألفتك

ملاذاً ، فليكن كتفك آمناً كأنما كما ههدته منذ أوقفت آمالي في صراطه ،

فلقد تنكبت القضية اليوم أعلاها ، وهزأت قواي من أرجاس المواجهس

وفاعلية الوسائس ، وعادت حياتي اليوم تنبذ الشرّ نبذاً ، ومن قبل كانت
تنبذه سلبياً ، وفي اليوم وقبل اليوم بقليل صارت تنبذه إيجابياً .
وعدت بعدما مرّ رهن الهزّة المرضيّة ، التي نابتني في الأسبوع
الأول من الشهر ، عندما قادني من لم يقدني بالأمس آه عندما
قادني لكي أزرع الشوك الدامي ، بأناملي التي خطّت مختلف
موجيات الإيمان والهدى ، أمام عبقرية الإيمان ، وسراج التقوى اللّاهب !!
وتعثرتُ وتاعثمتُ قبل أن يحل المرون ، وقبل أن أضل
الطريق وقبل أن يجعلني القدر عبدة المتكلمين وحديث المتأسفين .
وأراد الله سبحانه أن يجعل نهاية لمأساة إنسان مؤمن ، وأراد تعالى
أن يحول بين الهوى والإيمان ، بين المحون والحصافة ، بين الطيش والتأرجح ،
والصمود والثبات ، فكانت الرعدة الإيمانية والرّجة العقلية ، ثم كانت
بعدها البصيرة النافذة والصحوة الشاملة .

أجل ، إنها لهبيرة ، وإنها لصحوة ، وليست صحوة موت ، فإن
صحوتي بفضل الله صحبها حياة . . . حياة . . . حياة .
ثم سألت الحياة بضعف ومسكنة : أن تديم لي العبدة الكامنة في شفق
الحدث ، وتريني إياها ثابتة على صفحة الوجود ، كلما زاورت الشمس
مطالنها هلينا ذات الشمال وذات اليمين : وأكبرت جرمي القائم لكي يزغ
عن يومه المعتم . وأسررت نهايتي لبطولتك .

فما أراني إلاّ عصيباً شده الألم وقوّض معناه الجرم ، وأضناه المرض ،
فأش ثلاثاً تحت رداء الجوى ، وعلى هساط الضنى ، ومسا عرفت عيناه

الكرى ، الا الجزع لهموم كتبت على غرة ناصعة ، سارت مرفقة العلم ،
شفافة الطلعة ، ريانة الربوع ، تبتهل بضراعة وبراءة الى بارئها المتعال بين
وقت ووقت ، ليحفظ هذه البراءة الشابة من بصائر المدخولين ، ومن
أوهاق الذنوب والمذنبين .

ثم تألّبت المحنة ، وعُصفت الإرادة ، ووهنت القوة ، وبيس عود
الناء ، فجاءت الرياح بقواها العاتية عليها ، وهي بين يمة الانحدار ويسرة
الإنكسار ، وتهشمت الريح - بفضل الله - قبل ان تهشم التبتة التي
سقاها ماهر وعزقها مدرّب وهذبها معلّم كفاء .

ولما قَيض الله لهذا الماهر المدرّب المعلم أن ينأى عن نبتته طفقت
الرياح لها ، ودلقت اليها مسرعة ، فابتدرتها تهزّها هزاً ، وتعصف بها
عصفاً ، كأن لها معها عداً مستتراً وشرّاً كميناً .

والمهمّ . . . والمهمّ ، لقد انكسرت تلك التبتة أو كادت ،
ووقعت على الأرض شأن الضعاف التّلاقي لا يقوين على مقاومة ربح وصدّ
تيار ! .

وحسبت حسابها فكانت أضعف من هلك ، ولكنها لم تهلك ،
فسرعان ما اكبرت فتوّتها وعلّلت هبوطها القليل السريع ، وأعدّت
للمستقبل ألف عده وعدة ، وما كان أسرع من أن استمدت القوة القاهرة
بعد أن عرفت كيف تصدّ الرياح وما علل هبوبها عاصفة ، وكيف
تضعف قواها ، كما عرفت مكان ضعفها ومواضع هزالتها ، فلاحت لنفسها
أنها ثابتة ، وتأبطت قوة ، وتأطّرت نشاطاً ، وبفضل آخر من حاورها

وعرفها حقيقتها ، فاذا ما جاء هاتف الرياح يزجر رسخت ثابتة ، واستمرت صامدة .

والنبئة مجموعة خلايا ، منها الغضّ الشفيف ، ومنها الصلب القويّ العنيد ، والتي ارتخت لحظة وناءت ولكنها لم تمس بتناً أرض القذى والتدنس أبداً ، قامت بأسرع من ملح البصر ، وهي بدلاً من أن تقوم في ليل ترصدها الكواكب والنجوم ، قامت في نهار ترصدها النظّار والعيون ! وهذا موقع الألم والجوى .

ومن يدري ، وقد تكون هنا الحكمة بالغة ، بل قد تكون هنا العبرة كامنة ناصبة ؟ ! ومن يدري لولاها لما استمدت من روحها الرعدة ، والرجة ، والبصيرة ، والصّحوة . ؟ ! . وربّ شرّ في باطنه خير ، وعند اليأس يتحقّق النصر .

فالنظّار والعيون الباصرة الشاحصة اليها من يقول ، ولعلّها امتدت تلك النبئة عزماً أرفع وقوة أشد ، تضاهي قوتها الأولى ، وتكسب عزمها الكمين ، وكلما حصل فعلاً .

فلك هي قوة الثبات للمستقبل ، والعدّة القويمة له فضلاً عن الصمود أمام القولة والمتقولين من الجهلاء ، الذين يدركون أو لا يدركون : ان الضعف قد يستولي على هذا الكائن في لحظة من اللحظات ، فيهوي به ليس على الأرض فحسب ، بل في أبعد هوة وأعمق حفيرة ، فكيف بها وهي لم تمسّ الأرض مساً ولم تقارب عودها شيئاً بتاً .

وبسرعة القوى الطبيعية الهائلة ، وبنصر الله استعادت تلك النبئة قواها

الحفاظة ، وصمدت في وجه كل مضاد ومعاند ، والكفأت تستعيد أوليات نشاطها ، ومهتات إيمانها بعزم يصعد السلم بخفاء وعلن ، ويتسلق جدران الإيمان باصالة واقدام وجراة ، اعتماداً منها على هذه التجربة القاسية ، وعلى رشد ماهرها ومدربها ومعلمها من جديد .

سبدي : هذه شبه قصة تبدو سيها على ملامح كاتبها ، فلا تستغرق في التفكير ، طالما أنا جادٌ باخبارك بكل ما يطرأ على فكري وكياني ، روحي وجسدي ، وطالما أنا أنكر المنكر بقلبي ولساني ، وحين يصل الأمر الى يدي فلا أرلني مقصراً فيها ، قلماً او سيفاً ، أقول لا تستغرق في التفكير : من هو المقصود بالنبوة ، وما الأرض المذكورة في القصة ، بقدر ما أودّ ان تعلم انّ القصة حقيقية لما مساس واقعي .

ادرس هذه الرسالة واطلع على غيباً ما مضى من قبلها وعلّل أو وجاهد على أن تسرع الي في الجواب ، كما فعلت جزاك الله أحسن جزاء المجاهدين ، ولست اليوم بحاجة الى شيء ، إلا ان أرجع رجوع النبوة الى ماهرها ومدربها فهل من قبول ؟ .

سبدي والطر لا يفي بقدره والشكر لا يؤدي مهمته ، فلعلني أطلت المكوث وسييت ما لا ترضاه ، وعلمي بوقتكم أحرص وأتمن من تلاوة رسالة من لم يعلّتب في علاج مضى ، ومع كل هلنا فاسمح لوليك أن يظنيء سراجة الضئيل قصد اخباته عند هبوط رسالتكم ، وقد أحتاج لهننا أبداً ، فشروق الشمس معناه اطفاء الأنوار ، لتبقى وحدها زاهية ومسيط الحياة والكرون والانسان

رسائلي ونحياني تدلکم علی تعلقي اللفیف بکم واستمتاع روحي بکیانکم
ویفتکم لاخلاص .

ولدکم

وصف حال • صحوة إيمانية • تعليق وتصديق • مخاوف
واعترافات • إشعاعات طيب • شكر وتقدير •

٤٦

البصرة .

ثم عقب بهذه الرسالة بتاريخ ١١ / ٧ / ٦٥ ،
وبعد ان وصلت اليه الرسالتان السابقتان .

سماحة

سلام عليكم طبتم .

سلام الربيع للحياة . . للازهار .

سلام الابن المطيع ، تبهرجه بفاعه الاخلاص ، وتكلمه براعة الصغر ،
وتبسم اليه شفقتا النور والحق ، وزمقه مقلتا الرأفة والرقّة ، فبُيتني على
تبيان وحكمة ، ويدراً من شبهات أو غلظة ، فحياً الله لي هذا الأب
العظيم ، وأجلّه وأكبره عندي طول حياتي ، وجزاه عني عظيم جزاء .
أبي في ذات الله والاسلام : في وقت المحنة ، وحنق الأزمة ، ووقوع
المشاكسات العقلية ، وانعكاسات الآلام على صفحة الفكر ومسرح الانسان ،
وتضرم مياهه واضطرام مجاريه ، وتبدل ألوانه وانعدم مراسيمه .

في وقت انعدام الطاقة والقابلية على احتمال الأذى ، الأذى الشديد
الذي يلهب الانسان من نيرانه ، والذي يغرفاه من هيجانه في

هذا الوقت العاصف بالترمال العاتية والرياح السافية ، وهجومها دفعة واحدة على العاطفة الشابة ، نائرة مكانها ومبددة أوصالها ومرعبة مناحيها ، حين تثور وحين تعصف بالفكر ، وتطيش بالعقل ، فيفعل الانسان فعلته متناسياً بعض انسانيته ، ومتنكراً بشعور أو بلا شعور لبعض مناجهه ، فيهفو . او يموت ! ! .

وبين الهفوة والموت طريق ملؤه عذاب ووبال وضيم .
والذي يتمنى الموت ثم يقع فيه ، أفضل عندي من الذي يقع في الهفوة . في الهاوية ثم لا يقوم ، او يقوم فلا يراى للآخرين أنه قائم ، ثم تبقى الهفوة عالقة على جبينه ، ومرتبسة على غرته ، جاثمة أشباحها في خيالاته ، عالقة اشتاتها في ذهنه . وهذا للمؤمن والمعتبر .

اما سواهما فلا مقارنة عنده بين الموت والنفوة ، ولا تفرقة ولا ميزة لديه بين لذة دنسة أو مكترمة ، ولا بين فضيلة ورذيلة

وعلى اي حال فلسنا بعون الله من هذا النمط اللانساني ، كما أرجوه تعالى دائماً بكل عزم ودأب : أن لا يجعلنا منهم يوماً من الأيام .

أقول في ذلك الوقت العاصف ، هبت ربيع باردة على فترتين تحمل نسيم الصبأ البارد مرة ، ومغلفة بندى الحياة مرة أخرى ، فأحنت على الفكر اللاهب بنداونها كما هبت بنسيمها الجميل ، فهدأته ببردها وأنعشتها بنداها ، وأبعدت عنه تلك الحماوة اللاهبة والهجير الهاجسي اللافح ، بعد طول سبات وقوة وطيس .

أجل . أقول هذا بفعل الرجّة العقلية والصّحوة الايمانية التي ذكرتها

في رسالتى السابقة ، وأقول هذا بفعل تأثير الرسالتين المطولتين المفصلتين اللتين ذقمتَ فيها آلام الشجى ، وتحملتَ من أجلهما شيئاً من الأذى .
وإذا كانت هناك مزية للانتعاب ونتيجة للإرداق ، فليكن هذا الثمر الذي بدأ يتكامل على وضوح الحياة الجديدة ، والنماء الشعوري المتكامل على وفق السرد المتتابع فيها .

وبعد هذا فالنتائج ستكون حتماً مشعةً بالنجاح ومكثلة بالفوز ، ما دام هناك إخلاص من باعث الألم وباعث الدواء ، وما دام هنا أيضاً استعداد لتقبل العلاج واستعداد لناء الوصف والعلاج .

وأخيراً ، وكلمني الأخيرة سأردّها دون فتور أو عجز : أن اسمح لابنك حين يستوفئك على آلامه لتألم ، فما أعزّك حين يعرض لك ويفصح اليك بكل شيء فلا ترشفه بكلمة ، ولا تضربه بحزمة من التأنيب والزجر ، ولا تنظره النظرة النافرة الشاذرة الغاضبة !! .

ما اكبرك فينا وما أعظمك علينا ! .

لم أدر - حقاً - انك تبسط عظمتك قبال حيران خجلان ، كما لم أدر كيف دخلت ، وكيف استوعبت ، وكيف عاجلت ؟ إلاّ اني - على ايج حال - رأيت افكارك تنثال وتنهال بشدة ورقّة ، بموضوعية وحكمة ، بعاطفة وحزم ، بقوة وعزم ، فأدركت أن عندك سمة تفوق ما عند الآخرين منها ، وهم اليك بفاقة ، كما أن كثيرين يفتقرون الى مثل هذا العلاج ، واليه بعوز وفاقة ، وإذا تمنيت شيئاً فأنما أرغب طرح ما جرى في كتابكم القيم الخاص بالرسائل ، ليطلع الشباب على مكانم العلاج ، فينقذ من

وهذات الضلال ، وهوات الهوى ووصفات الأطباء واختيارهم
للدواء يختلف من طبيب الى طبيب

وهذا عون شديد منه سبحانه لنا جاء في وقته وفي مناسبته ، مبتهلاً
اليه بان يوفقني للمران على العلاج وتطبيقه ، بحكم العقل وسداد الضمير ،
وانجاه الايمان دون نظرة ليمنة أو يسرة حيث لا حاجة اليها
ثم أشاركك وثوقك الآمن بكل حروفه ، وبكل تصرفاته : بعون
الله ومدده وحفاظه ورعايته انه ولي التوفيق

والشيء الذي وددت ان تطلع عليه ، لتزداد وثوقاً فيما ذكرت في
رسالتي من حيث افراطي في الناحية المادية : ان ذلك لا يتعدى حدود
المأكل والملبس ، فلم أتعده قط الى ما حرّم مطلقاً ولم أتجاوز حدوده
المخططة على لوح الإيمان إلا اللّحم ، وإن النفس لأمارة بالسوء الا مارحم
ربي ، فلتستمد سيدي ثقتك اكثر وليكن اعتزازك بولئك أشدّ ، أما اللّحم
الذي ذكرته فهو هذا التفكير العارض والهواجس الممضّة .

أما المعركة الحامية الوطيس ، البعيدة المناكب الطويلة الشجار ، بين
الرغبات المحرومة والغرائز المقموعة وبين العقل والإيمان ، فاتها ملازمة
ومتواصلة وقائمة على قدم وأصابع وساق ، مادام الفراغ لم يسدّ والشاغر
لم يتلاف !! .

وليس الا الصبر مفزحاً ، ومن يدري فقد استلهم من الصبر لذة
تفوق كلّ لذة ، وأجد من المראה حلوة تكون بهجتها أعظم من كل
بهجة ، وأهنا من كل هناء .

ايها الاستاذ العظيم : وقصور الإدراك ثلثة في الفكر الانساني ،
وأعني قصور الادراك للأشياء التي تنتاب الانسان ، بلا فرق بين كبير
وصغير ، وبطوء معرفتها وضعف آلات فحصها له وعرفان ماهيتها ونتائجها
مرة واحدة ، وخصوصاً للعاطفة الشابة .

فإذا كوفحت وأدمغ مفعولها الأسود القاتم ، وأشير الى مواضع الضعف
ومراكز الفشل والخيبة بإشارات حمراء ، أمست ذليلة حاسرة لا تملك اي
قوة ، ولا يخاف منها مهما كان عتادها الذي تمتلكه ، ومفعولها السحري
الذي يترآى له ولغيره أنه . وأنه ، وهكذا تذوب الشحوم لأقل تيار
حراري أو ناري يتعرض لها .

والذي يخاف منه أن تكون الحرارة طفيفة لا تنتج مفعولها ، والذات
ضئيلة لا تتجاوز بصيصاً ، فعندها تبرز الشحوم غير حافلة بذلك الأثر
الضئيل من ذوب واسخان لا يتعدى حدود السطح .

هذه واحدة . وثانية الأثافي الماهلة الطويلة . وللماهلة الطويلة نتائجها
غير المرضية عبر مدة من الزمن ، في موضع ينبغي فيه الحزم وال ضبط
والإرادة القوية .

وليست بتاكر بعد طول نصريح وإبانة : اني اردت امهال المواجس
القانية الحمرة مدة من الزمن كما أرى مفعولها ومؤدأها ونتائجها ، وفي
مدة الماهلة المذكورة لم أعمل أي عمل يثير العجب ، بقدر ما ازدادت كل
لون بعشرة ، وكل ضرر يكثر ، فازدحم فكري ازدحاماً ، ثم فكّرت
أن أث اليك شكواي وشجوي ، فما أسرع ما نمت كلامي مثبتاً بعض

الطوارئ ، وما اسرع ما انهاء الجواب وبان العلاج .

لست انكر هذا ، ولكني بحمد الله املك قوة من الايمان رادة لكل سوء ، مبنية على سعة التفكير وحصافة الرأي ، خاصة ومدلولي عليكم بفيض عليّ الرأي السديد والتفكير الناصع السليم .

وأعرف كل المعرفة ، وقد كنت اقول لنفسي يومذاك : ان امهال هذه الأفكار المعتمنة السوداء معناه اسبال ذراعيها لتسيطر بكلّ عنف ، برغبة أو بدونها على أفق الفكر ، وتغطي على شمس العقل وتحجبها بركام غمامها الكثيف ، فتقوم وتنهض وتعمل وتنشط .

لقد كنت أعلم بخطورة الامهال ، ولكني أردت ذلك للحيلولة دون الايمان وحاسته اللاهية ، وقوته الغضة اليافعة البكر ، وبقصد معرفتها ونتائجها شاركتكموني الرأي في ذلك في رسالتكم الأولى ، فقد قلم : (ولكنّ علاجها الحكيم هو أن يستقبل للمؤمن هذه الافكار بصورة ايجابية بقظة واعية ، حتى يتعرف للفكر أو المحاجس ، ويستبطن علته ودوافعه ، ثم ينعطف عليه بعد ذلك فينقض أسسه بالمنطق العقلي المتين ، ويبيد بذوره وجذوره بالملاحظة الفكرية الصحيحة) ، وذكرتم ايضاً والعبارة لكم : (واستعرضها واحدة واحدة وفش عن جذورها وعللها وناقشها مناقشة حرّة) ، وحين تطلق الحرية للسجناء ، وينطلق الظلام الى النور ، تظهر القوى الخفية وتنتهز فرصة انطلاقها ، وخوفاً من أن تعود الى حالتها ترجع هاجمة على سجنائها ، وتغير عليه فازات ، شانة اياها بكل ما لديها من وسائل عنف وتهديم وتكبل ، وبمثل ما فعل أصحاب الباستيل بفرنسا تريد الافكار المعتقلة بعقال

الايمان والهدى والصالح أن تفعل ، لا لأجل أن تنطلق فحسب ، بل لأن
تعشش هي بلدنا وتهدم ما سواها وتبني أخيلتها في عروش دماغ الانسان .
وبمثل هذا الاعتراف الصريح ، أعترف بهجوم قويّ قصف الفكر ،
وخلخل ضوابطه وأشاح ببعض سنائره ، وأراد الفعلة التي خططها ، وحال
الله بينهما فكان من المفارقين بسيلكم العرم ، والقوة الواقعية التي ضمتموها
رسالتكم ، فأفصحتم عن دور السبات والحياة والمات والنهاية للهواجس ،
لجميع الهواجس والأفكار المعتمة التي تراود أخيلة ابن آدم .
والآن لو تقلّبتني في السّاجدين ، لرأيتني من الشاكرين لله العظيم
الكبير المتعال ممزوجاً بشكري اليك .

واسمح لي أن أقول شكري . . . فليس هذا سوى لفظ يحمل
أربعة أحرف ، ذات مدلول واحد ، وكلمة واحدة ، أما معناها فلست
بمسرف إذا أعطيتك شكر العمر وعرفان الجميل ، وفيه أيضاً بعض التقصير .
سيدي المبجل المكرم : الآن تغذيت من لديكم ، وتعطرت من عابق
أنفاسكم ، فازددت عمراً . . ويالهفي أي عمر تتجلى فيه الخطورة بمثل ما
يشب فيه الايمان ، ويصمد منبره خير الأفكار ومنير الآراء ، ثم أخذت
الستارة تنسدل تدريجاً على طائفة الأفكار المريبة والوساوس الخبيثة .

وفي اثناء الانسدال ، وقبل أن يلتحم طريق الستارة ثم تبقى الأفكار
وحدها تموج وتضطرم ، لتموت وحدها بلا حائل : لازلت أرى هيجان
العاصفة عتياً ومرور التيار قوياً ، وهزات النقص واضطرابها ودوارها
العريض . لازلت أكابد شقاءه وأعيش مضضيه ، رغم أن تأثيره أضعف

مما مضى وأوهن مما سلف ، كما لست أدري عما اذا كانت هذه ضجعة الموت على سرير الفكر ، أم أن لها مطمحا آخر وعملاً آخر وطريقاً آخر ؟! .
نعم ان تأثيره يضعف تارة ، ويشتد ، اذا هاجت أمواج الفكر الماضي ، واضطربت مياهه الفائرة .

ورغم بعدي عن المفاتن المثيرة ، فلا زالت هناك صباية في كأس أفكاري ، ستهرق في وقتها المناسب ، ان لم تهرق الآن . لا اكتمك هذا أبداً ، طالما قد دخلت أفكاري وحللت منها محلاً علياً ، وجلست منها جالوس الطيب على رأس المريض وبجانبه ، فاذا عسر الألم وازدادت الحمى ، كانت اشعاعات الطيب تبعث التفاؤل وتجدد الحياة ، واذا تكرم بابتسامة اثناء تطيبه فعناه أنه قد أعطى لمريضه الحياة ، ووهب اليه الخلود وأعطاه غاية الأمل !! .

وأحمد الله انك استطعت أن تفهم المغبرات العانية ، والأسباب الكمنية في درجاتها ، وأنها (من النوع الذي يهاجم الايمان في آفاقه العملية) وإنها لقدرة فائقة انبعثت من قوة الايمان وصميم الاخلاص ، ثم من شيمة التواضع الرفيع ، ولولا هذا التواضع لما استطعنا ان نراسل ، ولم استطع أن أنبس ببنت شفة تخص هذا الموضوع الشائك

وكانت نصائحك هي الراشدة الصالحة ، وعبارتك كلها دواء ، فقد قلّمت أظافر الشر وأضعفت من الحدة العاطفية ، بيد القوة والشجاعة والاقدام .

وأيام الواقع وكما أنني لم أشهد من قبل سورة الجراءة تبعث في التحليل ،

إلاّ أني رأيت بدءاً تلحلم أوصال رسائلني وتضعها قبالتها ثم تقدّم التحليل فكان غايته ، وللفحص فكان في تمامه ، مستوعبة جميع الأعراض والطوارئ ، حتى كان علاجها شاملاً شافياً قالعاً الآثار بلا عودة إليها .

وفي الوقت الذي ابتدء فيه بجرع صباوباتها المخزونة في كؤوس الأمل والتجدد والرجاء والحياة ، استوثقت مرة أخرى على لزوم العلاج حتى أبرأ بعونه تعالى ، مبتهلاً الى ذي الرعاية امداد العون والنصرة على النفس وهوaha الجامح ميداننا الأول في مرحلة الكفاح اللاهب ، الذي يرتفع فيه قوم وينتكس في حماته آخرون .

والرفعة والتسامي والطهارة من الدنس وصفاء الإيمان والقلب والضمير ، كل اولئك هو غاية ما افكر لأجله وأعمل لتحقيقه ، وانها العظمة الروحية الهائلة والنقاوة الغضة التي لا يشوبها اثم أو تفكير ، أو سخط ضمير أو تناقض دعوى مع عمل ، حين أراها فأدنو ممن هو أقرب الي من جبل الوريد لأكلمه . نعم أكلمته بما أملك من قوة الكلام وسلاسة البيان ، ليكون دعائي غير مقرون بدنس أو اثم وهو طهر متطهر ، ودعائي خفيف بالطهارة ومبرأ من الأعمال اللاأخلاقية . عندها عظمة التدين وعظمة الإيمان ، حين ما يقف المؤمن بين يدي ربه ليدعوه ولا حائل بينهما ، ولا شيء يصدّ أحدهما عن الآخر !! . وليتحقق رضا الله وهو أعظم من رضا الناس .

وأقول ذلك لا لأرضيك أو أعجبك . بل ان دفقات قلبي تزداد تدفقاً ، لتوقع هي على هذه المشاعر التي آمنت بها فيه ، واضطجعت على أوردته

وشرايينه وقبعت في وسطه اثرقم بدل يدي رغم الاستحالة
وانها لرغبة ساورتني منذ أمد يزيد على نصف سنة ، أن اكتب
قصة أو رواية ، كانت هذه تسرح في عالم الخيال والفكر لدن مخيلتي ،
أما وقد نالت رغبتكم فسا كون طبعاً كما تأملون ، وسأقوم بترتيب أدوارها ،
وموادها وفصولها وشخصياتها الخيالية ، كما ستكون ناجحة المطلب ، سلسلة
التعبير بعيدة الغور حكيمة المنهج ، حين تكتسب مطالعتكم لها ، ويثبت فيها
شيء من تعلياتكم الفنية الحيوية الرفيعة ، وتغسل بعض الزوائد منها وغير
الصالح للكتابة فيها ، ثم تنسيقها بامدادكم المنهجي الرسالي الباعث المحدد ،
الذي يخرج بين العلوم الدينية والآراء القرآنية ، فيبعثها بالروح المتجددة ،
يتذوقها كل أحد ويطلبها كل ذي لب وأدب ثم اسمح لولدك
ما بدا منه من سوء ، وما راود فكره مما بثه اليك فحملك أسى وشجي ،
فقايسيت ما لا حاجة لك به ، في وقت أقدر ان احتياجك فيه للراحة
اكثر منه للتعب .

ثم اسمح له ثانياً ليقبل أنامل الإيمان التابعة على هذا الكلم ، والكتابة
علاج الشفاء وقوة السداد ، واذا بقي هناك شيء ينتظر فليس هو الا صفحك
الذي أناله محتاج ، واحسانكم الذي انا لشكره مفتقر . .
لتبقى تكلأك رعاية السماء وتكلك براقع الاخلاص .
مع فاتق تقديري للجهود الكبيرة والاعتاب المشكورة تسلم تحيات .
ولدكم المخلص

الرسالتان تثبتان صدق النتائج . فوارق بين مرض الجسد
ومرض النفس . اهتلك النجاة والنجاح . انتفاضة الضمير .
ما هو الضمير . الاسلام بمد رقابة الضمير برقابة الله .
قصة ضميرك من قصة حياتك . ضميرك ينتصر في كل
معركة تكون انت في جانبه . الانتفاضة التي ارجعتك الى
الصواب . وصايا .

٤٧

النجف : ٩٦٥ / ٧ / ٣٠ .

ولدي الزكي النجيب ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ كان الله في عونك ، وحقق
لك جميل ظنك .

سلام الله عليك ورحمته الدائمة ، ونظرفته العاصمة ، وتسديده الشامل ،
في كل خطوة من خطواتك ، وفي كل خطرة من خطراتك ، وأشواق الأب
الحاني الذي يتطلع أنباء ولده العزيز ويرقب بشائر شفاة الكامل ونجاحه
الظافر ، ونحية الإيمان المكين الذي عاد لنا قلباً بقلب وكافأنا حباً بحب .
وصلتني رسالتك الأولى المؤرخة ١٩٦٥/٦/١٦ ، ثم وصلتني رسالتك
الثانية المؤرخة ١٩٦٥/٧/١١ ، بعدها بأمدٍ قليل ، حتى كادت الرسالتان
تتلاحقان ، وكأنّ تلاحقهما على هذا الشكل كان أمراً مقصوداً ، لنتمّ
الرسالة الثانية في ذهن أبليك ما بدأت به الرسالة الأولى .

والرسالتان تفتقران الى دراسة مسهبة لست أراك الآن بحمد الله في حاجة اليها ، على أن دراستها تؤكد لي صحة النتائج الأولى التي قررتها في رسالتي السابقتين .

أجل . إن التأمل الطويل فيها يثبت لي صدق ما تبينته من تحليل ، وما وصفته لك من علاج ، وليس عليك إلا المواظبة الكاملة المتصلة على تناوله ، وتطبيق مناهجه ، دون ابطاء ودون تفكير .

بني : وهذه إحدى الظاهرات في الطب النفسي ، وعلى الأخص ما كان منه على ضوء تعاليم الدين ، يفرق بها عن طب الأجسام . فريض النفس لا يحسن منه أبداً أن يترىث أو يفر في تناول العلاج ، فإن كل فترة تتخلل تطبيق المنهج تُضيع عليه فرصة بعيدة الأثر في تعجيل الشفاء ، بل وقد تكون الفترة بعيدة الأثر كذلك في تمكين الداء ، وعلى الأخص اذا كان الداء الذي يشكوه من نوع الهواجس والوسوس التي تهاجم الفكر دون انقطاع .

ويسوء الأثر جداً ويتعقد كثيراً اذا تعددت الفترات . ومريض الجسد كثيراً ما ينصح له الطب أن يكون تناوله الدواء على فترات . وسبب هذا الاختلاف أن امراض الجسد إنما يعالجها الطب بعقاقير ومستحضرات ، وهي غريبة عن الجسد مؤثرة على قواه ، فاذا أدمن المريض تناولها برهة طويلة ، أو شك أن يتكاثف ذلك التأثير ، فيضعف مناعة الجسد من بعض النواحي ، أو أن يعتاد الجسد على ذلك التأثير ، فيعسر عليه بعد ذلك أن يقوم بعمله الطبيعي مستقلاً ، وأدنى الفروض المحتملة أن

يصبح ذلك الدواء معتاداً للجسم ، فلا يؤثر الأثر الكامل الذي توخّاه الطيب .
أما طب النفس فهو إنما يعالج بعض نواحي النفس ببعض نواحيها ،
فلا يخشى منه ضعف مناعة ولا تأثير على قوة ، والمران على تغطي العلاج
النفسي ، إنما يعني تغليب جهة قوية من النفس على جهة ضعيفة مضطربة
منها ، لتفويض عليها مدداً من الثبات والقوة ، وطول المران إنما يعني
اتساع ذلك المدد وتمكّن ذلك الأثر ، واعتياد النفس على ذلك إنما يعني
اعتياد النفس على أن تجبر نواحي الضعف منها بنواحي القوة ، وأن يملك
الانسان أن يبني شخصيته بنفسه بناءً جديداً لا ضعف فيه ولا اضطراب .
ولدي : لقد أراد الله بك خيراً ، وهو ما يزال يريد بك الخير ،

وهي عادته كذلك بكل مؤمن أسلم اليه وجهه ، وأخلص له دينه :
لقد أراد الله بك خيراً فأبدلك من الكبوة التي رمت أن تكبوها
انتباهاً ، ومن الهوة السحيقة التي كدت أن تتردى فيها تعالياً وارتفاعاً .
لقد أراد الله بك خيراً ، وأنت في أخرج المواقف وأشدّها خطراً
على إيمانك ، وانها لتجربة خطيرة بالغة الخطر ، هذه التي مرت عليك ،
وان أصبحت بفضل الله سبحانه وبقوته العاصمة مفتاح خير لك وسبب
نجاة ! .

ويبدو أن سرعة نجاحك في العلاج من أزمتك الأولى ، كانت موقوفة
على أن تمرّ بمثل هذه التجربة ، فهيأتها لك المقادير ، ثم أعانتك على
الإفلات من حبالها ومن سوائها ، وقد كنت بها مخاطراً بل ومعامراً .
وأكرر كلمة الخطر كلّما ذكرتُ هذه التجربة لأحذّر الآخرين أن

يقتربوا منها ، نعم ، وانها لتجربة سوداء ، ليس من الرشد ولا من
الايمان أن يختار المؤمن المرور بها ، أو يفكر في الهبوط اليها ، فقد لا
تسعه - وهو يهوي اليها - انتفاضة في ضمير ، أو إغاثة من المقادير .
وانا أهنتك النجاة من التجربة أولاً .

وأزف اليك البشرى بالنجاح المحقق القريب من أزمته الأولى ثانياً .
أما القوة التي أحسست بها تهز كيانتك ، وترج نفسك رجاً عندما
أوشكت أن تعلق في الحبال ، أن تصبح في عداد المهلكين غير المأسوف
عليهم من مرتكبة الآثام وضحايا الطيش .

أما هذه القوة التي شعرت بها تقف في وجهك قبل أن تضلّ ،
وتأخذ بيدك قبل أن تكبو ، فليست رجّة عقلية كما قلت في رسالتك ،
وانما هي انتفاضة الضمير .

نعم هي انتفاضة الضمير . الضمير . الوجدان كما يرغب أن يسميه
بعض علماء الاخلاق ، أو (الأنا الأعلى) على ما يسميه بعض العلماء
النفسيين .

والضمير قوة فطرية أودعها الخالق سبحانه في نفس هذا الانسان ،
ومهمة هذه القوة : أنها تدعو الانسان الى فعل الخير وتحرضه عليه ،
وتشعره بالرضا والطمأنينة والراحة الكاملة بعد أن يفعله ، وتحذره من
عمل الشر وتلومه عليه ، وتشعره بالألم والتقريع والتوبيخ والقلق النفسي
الشديد اذا هو ارتكبه ، فهي رقيب يقظ على سلوك الانسان ، ومرشد
أمين ، وحاكم عدل في وقت واحد ، وجدواها في توجيه الانسان واعلاء

شخصيته وانماها وحراستها كبيرة جداً .

وتمتد رقابة الضمير حتى الى افعال الناس الآخرين ، ولذلك نجده يسّر ويفتبط بفعل الخير من أي فاعل كان ، ونراه يتألم ويتقزز لفعل الشر من أي فاعل كذلك ، وقد تحدثت عن الضمير حديثاً وافيّاً في كتاب الأخلاق عند الامام الصادق (ع) ، وفي الحلقة الأولى من كتاب الاسلام، فارجع اليها اذا طلبت المزيد .

والضمير ذاته ليس بمدرك ولا معصوم ، فلا يملك بذاته أن يتعرف على مقياس صحيح ثابت لمعرفة الخير والشر ، وهو يعتمد في تفرقه في الحكم بين ما هو خير وما هو شر على ما يزوده به الفكر ، وما يقبسه من تقاليد المجتمع ومواضعات العرف ، وواضح جداً أن هذه السبل غير مضمونة الصواب ، ومن أجل اعتماد الضمير على هذه السبل كانت احكامه على الأفعال بالخير أو الشر عرضة للخطأ والزيف ، اذ لقّل المقياس الذي استند اليه في الحكم كان مخطئاً زائفاً .

ومن أجل ذلك كله كان من الضروري لهذا الضمير الإنساني الموجه أن تكون له مقاييس صحيحة ثابتة لمعرفة الخير والشر ، بعيدة عن الخطأ والزيف ، مضمونة الصحة والثبوت : أن يكون للانسان دين إلهي معصوم يزوده بتلك المقاييس الصحيحة الثابتة .

وقد يخادع الانسان ضميره ، وقد يستغفله ، وقد بصطنع الحيل والتعليلات البعيدة المبررة لعمله ، ليكتفي بذلك تأنيب الضمير ويكتسب رضاه ، والضمير يتقبل كل اولئك لأنه كما قلت لك غير مدرك ولا معصوم.

ومن حكمة الاسلام في علاج ذلك ، أنه أمد رقابة الضمير برقابة
الله العظيم خالق الانسان وخالق الضمير ، بهذه الرقابة العليمة المحيطة ،
التي لا تخادع ، ولا تستغفل ، ولا تكفي منها حيلة ، ولا تخفى عليها
خافية ، ولا يفلت من قبضتها شيء . (وأستروا قولكم أو اجهروا به
انه عليم بذات الصدور . ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) ،
(١٣ - ١٤ : الملك) ، (ولقد خلقنا الانسان ولعلم ما توسوس به نفسه ،
ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) ، (١٦ : ق) .

وبزكو الضمير ويرهف احسسه ، ونشد مراقبة وعلميته للشخص
على أعماله ، بمقدار التزام ذلك الشخص بالموازين الخلقية ، وإيمانه بها
وانقياده في العمل على وفقها ، ويضعف الضمير ويهن ، ويخفت صوته
ويهدأ تأنيبه ، كلما وهنت الروح الخلقية في الشخص ، وضعف تمسكه
بها ، وكثرت مخالفته إياها ، وقد ينتهي الأمر ببعض الناس الى أن يخذل
في نفوسهم صوت الضمير خوذاً كاملاً ، فلا يشعرون له بدعوة الى خير ،
ولا بتأنيب على شر ، وهذه الحالة يسميها علماء الأخلاق بموت الضمير .
ولدي وعززي : لقد أسهبت لك في وصف الضمير وذكر أحواله
وأوصافه وجلواه ، لأثبت لك في ما بعد أن الضمير المؤمن بين جوانحك
هو الذي قال فيك قوله ، وهو الذي أوقفك حتى لا تنطلق ، وأخذ
بيدك كي لا تنزلق .

ولقد كان إيمانك الفطري الباكر ، ونشأتك المؤمنة المحافظة ، والتزاماتك
العملية باتتباع مقاييس الإسلام جهد استطاعتك ، لقد كانت هذه الأمور

كفيلة بأن تصوغ لك ضميراً مؤمناً ملتزماً ، شديد الرقابة مرهف الحسّ قوياً على مواجهة الحوادث .

ولا اطلب باعادة استنتاجاتي السابقة ، وبمكنتك أن ترجع اليها - اذا شئت - في الرسالتين المتقدمتين .

لا أعيد ذكر ما تقدم ، ولكنني أشير اليه اشارة عامة لنستحضر - انا وأنت - في وعينا هذا الصف الطويل من المزامحات والأحداث التي واجهها ضميرك طوال حياته .

نشأ ضميرك نشأة ملتزمة ، مكنت له أن يكتسب صفات الضمير الحي الملتزم ، ومّرت بك الكوارث والصدمات ، فلم تنل من ضميرك شيئاً كما أنها لم تنل من إيمانك ، وحين انحرفت العاطفة المحرومة بإيمانك الى ناحية الروح ، وأفهمتك ان الروح وحدها هي مجال الإيمان ، انحرف ضميرك بتبع ذلك الى هذه الناحية وحدها ، ونحت تأثير حكمه كنت تعيب على نفسك وعلى الناس أن تقوموا بأي نشاط لا يختص بالروح ، ونحت تأثير حكمه كنت تشعر بالتأنيب لنفسك والحكم عليها بالاستمقذار لما زاولت الأعمال الدنيوية خشية من سوء المصير .

وانتهت للخطأ الذي وقعت فيه ، وأدركت ان الإيمان لا يختص بناحية الروح ولا يختص بناحية الجسد ، بل يعطي كلاهما حقه دون ميل أو تحيز ، وعرفت انك بانصرافك الى الروح وحدها وإهمالك مطالب الجسد كلها قد ارتكبت خطأ مزدوجاً في مقاييس الاسلام ، وأنه لا بد لك من تدارك ذلك ليحصل التوازن الذي يأمر به الاسلام .

وخادعتك العاطفة والرغائب المقموعة مرة ثانية ، وأفهمتك أن الطريقة السريعة للعلاج هي ان تفرط في جانب المادة كما أفرطت من قبل في جانب الروح ، لترجع من مجموع الإفراطين الى نقطة الاعتدال . وانحرفت مع العاطفة والرغائب المقموعة مرة ثانية ، وانحرف ضميرك فقد أقنعتك ان تلك هي طريقة العلاج ، فلم يثر ولم يؤنب ولم يحكم بالاستقذار كما كان يصنع من قبل .

ثم انهالت الوسوس والمواجس والأفكار المختلفة التي تزاحم الإيمان في شتى انطلاقاته ، ولا بدّ وأن تكون هذه الوسوس في بداية أمرها مبعثرة غير منتظمة في الشكل ولا في الوقت ولا في القوة ، وربما كانت هذه صفتها الى النهاية ، وقد تتخذ على طول المران والمدة نوعاً من التنظيم ، ومهاجمتها للفكر يكون على فترات متلاحقة أو متفاوتة على شكل حرب عصابات ، وهي ترتد مدحورة في كتل متّرة ، وللضمير اسهام كبير في صدّ هذه الهجمات وتبديد بعض هذه القوى .

أقول : ثم انهالت الوسوس والمواجس والأفكار المختلفة التي تزاحم الإيمان ، وتوالي الضغوط والتهتافات الغريزية التي ترعب أن تنطلق من قياده ، والضمير يكافح ويناضل ويهزم .. وقد ينهزم . وانهزامه يعني خفاء صوته في شدة هتاف الغريزة . وانهزامه لا يكون الاّ اذا شعر بأنك لست الى جانبه .

وهو ما دمت أنت في جانبه لا ينهزم ولا يخفى صوته مهما اشتدت المزاحمات ، وهذه هي قاعدته المتّبعة طول الحياة ، واذا انهزم فانه يكثر ،

وصوته أقوى وعزمته أمضى .

واستمرت الحال ولعلها طالت ، فالوساوس والغرائز تهاجم والضمير يكافح ، وهو دائم الانتصار على الفريق الأول ، وهو مع الفريق الثاني في حرب سجال .

وأعجب القوى المناوئة أمر هذا الحارس المربط ، فوحّدت قواها وجمعت قلوبها ، وقرّرت أن تشنّها هجمة فاصلة تنهي بها المعركة ، وارتبك الضمير لهذا التجمع وهذا الهجوم ، ورأى أنه سيخسر المعركة دون ريب ، فقد كنت أنت الى جانب القوى المناوئة ، نعم ، وقادك من لم يقدك بالأمس ، كما قلت في رسالتك الأولى .

لقد علم بأنك لست الى جانبه ، وهذه أولى بوادر الانهزام .
وأنتبعك النظر ، وأنتبعك السعي ، وانت تسير بقدميك الى موضع ،...
لعلك تلتفت نحوه قليلاً فيفعل ما يجب أن يكون !! .
وفي فترة من فترات تردّدك وأنت على شفير الهوة نظرت الى ما وراء .
نظرت الى الايمان ، والى الضمير ، فابتدرك بالهزة التي ارتج لها كيائك ، وانتفضت منها جوارحك ، وانتبهت من رقدتك وصحوت من سكرتك ، وكلل جبينك عرق الحياء من الله ، وتدفق في قلبك نور الايمان به .

وفتحت بصرك لتعتذر الى الضمير ! .

الى الايمان ! .

الى الله الذي لم ينسك من نعمه حتى في هذه البؤرة ، ولم يفلتك من تسديده حتى في هذا المأزق ، وقت نقياً ممّا يدنس ويشين ، وأضافت لك

هذه التجربة بقطة في ضمير ، وقوة في ارادة ، وورعاً عن الوقوع في سقطه .
بني : أرأيت كيف أراد الله بك خبيراً وأنت في أخرج المواقف
وأشدّها خطراً على إيمانك ، وأجدرها بأن نحرم فيها من رعايته ؟ ! ثم
أرأيت كيف أصبحت هذه التجربة الخطرة مفتاح خبر لك وسبب نجاة ١٩ .
قلت : وأنت في أخرج المواقف وأشدّها خطراً على إيمانك ، ولا
أعني أن المؤمن حين يكتسب المعصية يخرج من إيمانه ، ولكني أقصد أنه
يكون متناقضاً ، بعيداً شديد البعد عن روح إيمانه ، بعيداً شديد البعد عن ربه .
وقد ينتبه الضمير بعد السقطه . فيستصلح منه ما فسد ، ويندم
والندم أولى مراحل التوبة ، وينيب الى الله اناة خالصة من سوء ما اقترف ،
ويقبل الله عليه إذا أقبل هو على الله ، وهذه بعض جدوى الضمير للانسان ،
تعم وهذا بعض نماذج الاسلام في ربط مناهجه بأعمق الأعماق من نفس
الانسان ! .

ولدي : ثق أن هذه الانتفاضة وحدها قد ألقت عن كاهلك نصف
الماء وخففت عنك نصف العلاج ، ولم يبق عليك الا ان تتناول العلاج
لنصف الباقي .

وعليك أن تكون دقيقاً في المراقبة ، دقيقاً في تناول العلاج .
وعليك أن تحترم ضميرك المؤمن ولا تعرّضه للأخطار ، وتساهلك
في أمره انما يعني تساهلك في أمر معادتك ، فان الضمير حارس شخصيتك
كما هو حارس إيمانك .

عليك أن تحترمه ، وان تحترز من التواءات الفكر ، والتواءات العاطفة

والتواءات للفرصة في خداعه ، فإن اي مخادعة منها للضمير إنما تتم على حساب سعادتك ، وعلى حساب شخصيتك وعلى حساب إيمانك .
وأؤكد وصيتي أن تكون الرسائلان السابقتان مع رسالتي هذه ، أن تكون رسائلي الثلاث نصب عينيك مدة العلاج ، فلقرائنها مدخل كبير في ذلك ، ولعلك تعرف سر ذلك في وقت قريب .
وختاماً اذف اليك جزيل تحياتي ، مع طيب أمانتي ومشرق آمالي ،
واسم .
لأبيك

وصية . الاسلام مصدر فياض بالقوة . بعض ضمانات
الله للمسلم . شبهة صليبية . لنقف عند النصين . فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم . من لطمك على خدك الأيمن
فحول له الآخر . نظرة في الآيات الكريمة . من تناقض
الأنجيل .

٤٨

بغداد - كلية الهندسة : ٢٥ رمضان سنة ١٣٨٧ .

حضرة الشاب الزكي المذهب ١٠٠٠ دمت في سعادة .

أهدي اليك والى من يعزّ عليك من الشّباب التجيب المؤمن وافر
تحقيق ، وزكي تسليمي ، ومشرق آمالي ، مع دعائي لكم في هذه الليالي
المباركة : ان يجعلكم الله من أهل هذا الشهر العظيم ، ومن حملة القرآن
الذي انزل فيه ، ومن أنصار الحق الذي تبلّج فيه نوره ، وأن يعيدكم عليه
في سلامة من دينكم ، واستنارة من قلوبكم وأعمالكم ، ووصيتي اليكم - ابها
الأعزاء - بنفوسكم الطاهرة ، أن لا تنحرف ولا تنحرف .

إن التيارات الكثيرة المختلفة ، بين أيديكم وعن إيمانكم وعن شمائلكم
تنحرف كل شيء ، ولا يأمن منها إلا من نسلح بالعقيدة الثابتة ، والمعرفة
الكاملة . وان عواصف المغريات والمرديات المحيطة بكم منحرف كل أحد ،
ولا ينجو منها الا من ادّرع بالإيمان الراسخ والخلق الرصين . وأنتم عدّة

الاسلام ليومه وذخيرته لغده ، فلا تفتطعكم هذه الصغائر عن غاياتكم التي أرادها لكم ربكم ، ومنازلكم التي أهلكم لها دينكم .

أجل ايها الأعزاء : انتم عدة الاسلام ليومه وذخيرته لغده ، فأنتم جيله الحاضر ، وأنتم حملة دعوته لأجياله المقبلة ، وأنتم قوته التي تصدكل تيار ، وترد كل عاصفة ، وحاجة الدين الى هذه القوة المخلصة العاملة ، تضاهي حاجته الى القوة المفكرة المناضلة .

أنتم عدة الاسلام ليومه ولغده ، وغايتكم التي أرادها الله لكم كبيرة خطيرة ، ومسؤوليتكم التي ناطها بكم توازنها في الكبر والخطر ، فاعرفوا انفسكم ، وقدروا غايتكم ومسؤوليتكم ، تدركوا بذلك عظم وزركم إن أنتم انحرقتم أو انجرفتم .

ومزالق الاخلاق ايها الاعزاء لانقل خطراً ولاسوء عاقبة عن مزالق الفكر ، وهي أقوى شراكاً منها واكثر فعلا في نفوس الشباب ! . وأرجو أن تكونوا أبعد الناس عن ذلك كله ، ولكنها وصية يقتضيها واجب الدعوة ، وتحذير يستلعيه كبر المسؤولية ! .

والاسلام مصدر فياض بالقوة التي لا تقاوم ، والعزة التي لا تنضارع ، والأخلاق الرفيعة والصفات الحميدة ، التي لن تهن ولن تستكين لشيء من المغريات والمثيرات ، هو مصدر فياض بكل أولئك لمن تمسك به من أبنائه ، فالمستمسك بالإسلام أبعد الناس جميعاً عن أي ريبة ، وأقوى الناس على أي مؤثر ، (ألم تركب الله مثلاً : كلمة طيبة كشجرة طيبة ، أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، ويضرب الله الأمثال

للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة ، اجنتت من فوق الأرض ما لها من قرار . يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء) . (٢٤ - ٢٧ إبراهيم) .

بني : هذا هو المثل الصادق القريب للإسلام ولما سواه من المبادئ والأديان : كلمة طيبة كشجرة طيبة ، أصلها ثابت وفرعها في السماء . وكلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجنتت من فوق الأرض ما لها من قرار . وهذا هو الحكم العادل المطابق في المؤمنين بالحق المستمسكين به ، وفي غيرهم من الناس : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت . ويضل الله الظالمين . يلزم كلاً منها موجب عقيدته ، ويؤتيه نتيجة سلوكه .

لقد تمسك المؤمنون بكلمة طيبة ، بشجرة طيبة ثابتة الأصل ، سامقة الفرع ، توفي أكلها كل حين ، فثبتهم الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وقد تعلق الظالمون بكلمة خبيثة . بشجرة خبيثة اجنتت من فوق الأرض ، فلا قرار لها ولا ثناء ، فأوكلهم الله إلى ما تمسكوا به ، فكانت عاقبتهم الضلال ونتيجتهم الوبال ، وصدق الله العظيم الذي يفعل ما يشاء .

هذه بعض ضمانات الله للمسلم حين يتمسك بدين الله حتى التمسك ، ويعتصم بنقوى الله حتى الاعتصام : منعة من أي زلزلة ، وعصمة من أي ريبة ، وثبات أمام أي قوة : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب) (٢٨ : الرعد) .

عزيزي . . . : قرأتك مرة ثانية بعد فاصلة عام من رسالتك الأولى
فرأيت الروح الحي الذي لا تزيده الأيام إلا ايماناً ، والقلب الواعي الذي
لا تنكسه الحوادث الا اطمئناناً ، ورأيت حرصك البالغ على دفاع الشبهات
عن دينك ، وسألت الله لك مزيداً من الهدى ، ومزيداً من التوفيق ، إنه
يجيب الدعاء .

ورويت عن بعض أصدقائك شبهة صليبية ، واجهه بها القسيسون
في الكنائس البريطانية ، عندما كان في بريطانيا للدراسة ، وقد طلبت
الجواب عنها .

يقول لك : كلما التقيت بقسّ أو غيره من رجال الكنيسة ، وجرى
حديث الأديان السماوية ، بدأ بالتهجم على الإسلام ووصفه بأنه دين العنف
والقسوة ، لأنه يقول : (فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم) وان المسيحية دين الساحة ، لأنها تقول : (من لطمك على خدك
الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً ، ومن أراد أن يخلصكم ويأخذ ثوبك فارك
له الرداء أيضاً) .

قرأت هذه الشبهة فضحكت ، ثم تساءلت : أهي شبهة يراد بها
الكيد للإسلام أم هي مبوط في الفكر البشري حين يدفع به الحقد الى أن
يقول ، فيخبط في القول ، حتى يعدّ المساوي محاسن ، والمحاسن مساوي ؟!
لست أدري ، ولكنهم قالوها ، وكتبوها دون تخرج أو تحرّز ،
وصديقك يتحدث أنه كلما التقى بواحد من رجال الكنيسة ذكرها له ،
فهي اذن في رأيهم رمية قويّة التسديد ، وهذا موضع العجب ، وأعجب

من ذلك أنهم يواجهون بها رجالاً جامعين !! .

بني : لنقف قليلاً عند النصين اللذين ذكرتهما الشبهة ، ولنقارن بينهما مقارنة موضوعية خالصة ، ولننظر أي الشعارين أحق أن تقوم عليه شريعة العدل الأعلى ، التي تضع حداً نهائياً لاعتداء المعتدين وغشم الغاشمين ؟ .
أيهما أجدر أن يكون شعار دين الله الذي يصون حقوق الانسان وحرماته عن أي تعد وتفريط ، من أي ظالم وأي متعد من الناس أجمعين ؟ .

والناس - كما يعلم كل أحد - متفاوتون في النفسيات ، متفاوتون في الدوافع والمؤثرات ، وأكثر الناس من يطمعهم اللين - لو عوملوا به - بالتعدي على الناس ، والتماذي في ظلمهم ، حتى تنتشر الفوضى ويعم الفساد .

لننظر أي النصين أحق أن يكون شعار العدل الكامل الذي لا جور فيه ، ولا ميل ولا محاباة ، ولا ظلم من حاكم ولا محكوم ؟ ولنترك الحكم في ذلك للفكر المجرد عن أي تعصب وأي تبعية .

إن العقل لا يشك أبداً في أن التعدي لا يتقطع أبداً ما لم نجعل له حداً ، وأن حقوق الانسان وحرماته وحرياته لا تحفظ ولا تصان ما لم نجعل لها ضماناً ، وعلى هذه القاعدة جرت قوانين الدنيا كلها من أقصاها الى أقصاها .

وإن العقل لا يشك أبداً في أن مكافأة المعتدي بنظير اعتدائه تقمع غبه وتقطع تماديه ، ولا حيف في تلك المكافأة عليه ولا على سواه ، فهي

أضمن لصيانة الحقوق ، وأمكن لقيام العدل .

ثم لننظر - بعد ذلك - أليس هذا هو المعنى الكامل لقوله تعالى :
(فمن اعتدى عليكم فاعندوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) (البقرة : ١٩٤) ،
وقوله تعالى : (وإن عاقبتم فاعقبوا بمثل ما عوقبتم به) (النحل : ١٢٦) ،
وقوله تعالى : (وجزاء سيئة سيئة مثلها) (٤٠ : الشورى) وما يوافق
ذلك من النصوص ؟ .

ثم لننظر من الجانب الآخر : أي مدى من العدل يستطيع أن يحققه
النص المسيحي : (من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً ،
ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فترك له الرداء أيضاً ، ومن سخرَكَ
ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين) (٣٩ - ٤١ : الاصحاح الخامس من
انجيل متى) .

أي مدى من العدل يستطيع أن يحققه هذا البّين ؟ ! .

ولماذا لا تعمل به حتى الكنيسة ذاتها ، وحتى رجالها هؤلاء الذين
يدعون الى هذا الشعار ، ويرونه أحد محاسن المسيحية ، وموجبات تفضيلها ،
لماذا لا يعملون به هم ، فانهم أحق الناس بتطبيقه ، فيحوّل أحدهم خده
الأيسر لمن لطمه على خده الأيمن ، ويترك الرداء لمن يخاصمه في الثوب ؟ !
انهم لا يعملون بذلك ، لأنهم يوقنون في قرارة نفوسهم : ان العدل
لا يتحقق من هذا السبيل ، وانما هي دعوة خلقية نبعث على السماح ،
ولكنها لا تصون الحقوق ، وهذا في متهى الوضوح .

ولدي العزيز : والآيات الكريمة الآتفة الذكر ، تشترك جميعاً في تقرير

الحق للمعتدى عليه ، : أن يرّد العدوان بمثله ، ولكننا نجد أن سياق الآيات وملايساتها تختلف في بعضها عن بعض .

فالآية الأولى تتحدث عن القتال في الشهر الحرام ، وهو محرم في الاسلام ، فاذا بدأ الباغي فقاتل المسلمين في الشهر الحرام ، جاز للمسلمين قتاله فيه ، ردّاً لبغيه ، ومقاصّة له بما استحلّ من حرمة الشهر ، : (الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرّمات قصاص ، فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) ، ان المجال مجال قتال ، وتأديب على بغي ، ومقارعة قوة بقوة ، ولا مكان هنا لعفو وصفح عن حق ، نعم ، يجب على المسلمين الاحتراز من الظلم ، فلا يعتدون على الباغي بأكثر مما يستحق ، : (واتقوا الله ، واعلموا أن الله مع المتقين) .

والآية الثانية واردة في سياق الدّعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، فاذا اعتدي على الداعية وهو يؤدّي مهمته ، فله أن يرّد العدوان عن نفسه ، : (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) ، وله أن يترفع عن المقابلة ، فيحلم عن جهل الجاهل ، ويُغضي عن سفه السفه ، ويصبر على ذلك العدوان ، فيُقرن له جزاء المجاهدين وجزاء الصابرين ، (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) ، وهذا إذا كان التعدي تعدياً على شخص الداعية ، لا على دعوته .

والآية الثالثة واردة في سياق تعداد محامد الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، والتعريف بخصائصهم وصفاتهم ، التي استوجبوا من أجلها الفوز بما عند الله من درجات وكرامات ، فهم (الذين إذا أصابهم البغي هم

ينتصرون) ، فهم لا يخضعون لمذلة أبداً ، ولا يستكينون لظلم ، ولكن
شدة إيمانهم تحجزهم عن ان ينتصروا بأكثر مما يسوغ لهم ، فيصبحوا بذلك
في عداد الظالمين ، : (وجزاء سيئة سيئة مثلها) لا أكثر منها ، وهي رد
للبغي ، ومكافأة للظلم ، فلا عقاب عليهم في دفع هذا الجزاء للباغي الظالم .
وهو حق شرعي ثابت لهم في شريعة الله ، ومعنى ذلك أن لهم اسقاط
هذا الحق ، والعفو عن الظلم ، وطلب الاصلاح إذا تطلعت نفوسهم الرفيعة
اليه ، : (فن عفا وأصلح فأجره على الله) .

وتقرير هذا الحق للشخص المعتدى عليه ، واعتباره نافذ الحكم والإرادة
في الشخص المعتدي ، فله أن يستوفي منه حقه كاملاً ، وله أن يسقطه عنه عفواً
وتكسراً ، هذا التشريع بذاته انتصاف للمظلوم ، وجبر لمعنويته ، وكسر
لمعنوية الظالم ، فإذا أسقط المظلوم حقه شاعراً بذلك ، مترفعاً عنه ، كان
ذلك ضربة معنوية على الظالم ، لا تقل عن الاستيفاء المآدي في التأديب :
عزيزي ٠٠٠ : وبعد هذه الوقفة القصيرة ، التي وقفناها معك على
الآيات الكريمة التي تعرضت لها الشبهة ، وقد تبيننا فيها بعض أسرار عظمة
القرآن ، وبعض مناحي العدل في تشريعه ، : أودّ أن تقف معي على
النصّ المسيحي الذي تعرضت له الشبهة أيضاً .

على الإصحاح الخامس من انجيل متى الذي يشتمل على النصّ المتقدم .
على الإصحاح الخامس فقط ، لتعرف بعض عجائب هذا الكتاب ، الذي
تقدّسه مئات من ملايين البشر !! .

ولأفصل ولكني أشير ، لتقتني أنت نسخة من الكتاب ، فتقرأها

إذا أردت مزيداً من العجب ومزيداً من الاطلاع ! .

تقول بعض نصوص هذا الإصحاح عن لسان السيد المسيح : (لا تنظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل . فإني الحق أقول لكم إلى أن يزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس . حتى يكون الكل) ، وهو يعني بالناموس : الشريعة والتعاليم التي جاء بها موسى في التوراة ، وبمعنى هذا القول فالناموس ثابت باقٍ لا ينسخ منه حكم أبداً ، ولا يزول منه حرف ولا نقطة .

ثم تقول بعض نصوص هذا الإصحاح أيضاً عن لسان السيد المسيح : (وقيل (يعني في الناموس وعلى ألسن الأنبياء) : من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق ، وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزني ، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني) ، ومعنى هذا النص أنه يبطل حكم الطلاق الثابت في الناموس ، وأي معنى للنسخ غير هذا ؟ ! .

وتقول بعض نصوصه عن لسان المسيح كذلك : (سمعتم أنه قيل : عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر . بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً ٠٠٠٠٠) ومعنى ذلك أنه يبطل حكم القصاص الثابت في الناموس .

وفي بعض نصوصه : (سمعتم أنه قيل : تحب قريبك وتبغض عدوك ، وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لا عنيكم ٠٠٠٠٠) .

تفكر في هذه النصوص وفي مناقضتها لأحكام الناموس ، ثم انظر

أي معنى لنقص الناموس غير نسخ تعاليمه ١٩ .
هذا نموذج صغير مما في الكتاب المسيحي المقدس من تناقض وتهافت
يجب أن يتنزه عنه وحي السماء ! فاقراه قراءة واعية تلق العجب العجائب :
واذا استطعت فلتكن قراءة الكتاب مشتركة بينك وبين صديقك
الذي روى لك الشبهة الصليبية عن رجال الكنيسة لتفيدا عبرة وتتمتعا بسلوة.
وسلامي الكثير لك ولبن يعز عليك .

المختار

الموضوع	الرسالة	المصحفة
تقديم .	٧	
ولدي ضياء الدين .	١٣	
١ الاسلام دين الثبات والصدق . ولكن المنتسبين اليه هم المنزلزلون . الاسلام لا ينتفع من أتباعه شيئاً . وللناس هم الذين ينتفعون به . ضعفاء العقيدة والنفوس .	١٨	
٢ فرية على الاسلام . جواب مريع عنها - هل قرأوا هذه الآيات . ليسوا من غراس الاسلام .	٢٢	
٣ يقولون : ان الاسلام لا يناقض المبادئ الوافدة . من ضعفنا أننا نصدق ما يوحى القوي البنا . مبادئ تقوم على انكار الإله . بعض واجبات المؤمن .	٢٨	
٤ الإيمان المشع . الإيمان المنطوي بعيد عن روح الاسلام .	٣٤	
٥ حديث القيامة . الحكم فيه للعقل وللدين الصحيح . العلم يقول بنهاية الكون الى الفناء .	٣٨	
٦ كتاب يبيعون العقول والضمائر . فقرات حول العلمانية . الجواب عنها .	٤١	
٧ سبيل دعوة الله . عدة الاسلام لمستقبله وحاضره . واجب كل داعية مسلم .	٤٥	
٨ صلة تقوم على الإيمان . المسلمون في واقعهم للراهن . الداعية المسلم متفائل . عدته لفتح القلوب : سهلنا الذي	٤٩	

- سنبلغ به الغاية .
- ٥٥ ٩ أمانة كبيرة . انحلال المجتمع . تفصيلنا نحن . بعض
الدعاة . بعض سمات السداعية المسلم . سترتفع راية
الاسلام بأيدي الأكفاء .
- ٦٣ ١٠ نظرة الاسلام الى الاستعمار والاستغلال . ونظرتها الى
الاسلام . هكذا تنشأ الدولة الاسلامية .
- ٦٩ ١١ الاسلام والقوميات . ركيزة الاجتماع في الاسلام .
التحيز للقبيلة . الدعوة للعروبة . الدعوة للشعبية .
كلامهما بعد عن شريعة الله .
- ٧٦ ١٢ الأخوة في الاسلام . سعة الاسلام وحراجه صدور
المسلمين . آن لنا أن ننظر ببصر يخرق الحجب . قضية
السنة والشيعة .
- ٨٠ ١٣ روح يهب الحياة وطب يشفي النفوس .
- ٨٣ ١٤ لا حرج على الناقذ البناء اذا قال حقاً . وعليه أن
يتسامى عن السقطات .
- ٨٥ ١٥ الحق للقوة . حكم العقل في هذه النظرية . قولة
الاسلام فيها . الحق الالهي . فارق كبير بين الحق
الالهي والحكم الالهي . ركائز الحكم الالهي ومقوماته :
- ٩٥ ١٦ نظرية العقد الاجتماعي عند (جان چاك روسو)

- ملخصها . شروطها . عند (توماس هويز) . عند
(جون لوك) . نقدها وقولة الاسلام فيها .
- ١٧ ١٠٦ ثمار ما غرسناه . حوار السائل مع زميل مسيحي .
الحوار المحترم . من تناقض الكتاب المسيحي المقدس .
البشارة بمحمد في الانجيل .
- ١٨ ١١٦ الجبر . التفويض . كلاهما انحراف عن النهج القويم .
الجواب عن بعض الآيات المتشابهة . حوار السائل
مع زميل صابئ . توجيهات في هذا الحوار :
- ١٩ ١٢٢ حديث حول القياس . تحديد موضوع القياس ،
خطوط وأساليب للبحث . مصادر . من المجدي أن
ينتقل البحث الى الامامة . مصادر .
- ٢٠ ١٢٨ وحدة المسلمين . تأملوا أيها الكتاب . نقد وعتاب .
- ٢١ ١٣١ العقيدة أساس الشخصية المسلمة . الدبلوماسية . لمحة
من تاريخها . نظرة الاسلام فيها .
- ٢٢ ١٣٧ النفوس القلقة . من شبهاتهم . جواب الشبهة .
- ٢٣ ١٤٣ واينصرون الله من ينصره . يد الله ممدودة للتائب .
الرواسب . الإرادة القوية .
- ٢٤ ١٤٩ عدة المؤمن في دعوته الى الله . البشارة باسلام تلميذين :
الوصية بها :

الموضوع	الرسالة	الصحيفة
لماذا تخصص الشيعة ميراث الزوجة بالفروع ؟ . لِمَ تلتزم الشيعة في موضع الجبهة في السجود أن يكون من الارض أو ما أنبتته ؟ . السجود على التربة الحسينية . سؤال الشيخ عبد الزهراء الصغير .	٢٥	١٥٢
مداعبة . جواب من القرآن الكريم . السؤال بلدانه اعتراف بخلق . كيف أوجدت ؟ . طريقان لاثالث لها . أزلية المادة وابتداء الحياة . المصادقة . بمنع أن تكون المادة ازلية . القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية . كل شيء منوط بحكمة . الموت كالحياة .	٢٦	١٧٢
حرب على الاسلام . الغايات العظمى غالبية الاثمان . ويطعمون الطعام على حبه . الأبرار وأوصافهم . من أنزلت فيهم الآيات . سبب النزول . زمن الحادثة . النتائج المترتبة عليها .	٢٧	١٨٧
محاولة في التربية . يتهمون المجتمع الاسلامي بالتأخر المادي . عصر نزول الآية . لم يطبق الاسلام كثيراً من نظمه . ضرورات قائمة : العلاج المستطاع في تلك الضرورات .	٢٨	١٩٦
مقطع من سورة ق٣ . تفسير المقطع : عبر وعظات . مقطع آخر من سورة ق٣ . كيف يتلو الأدب آيات	٢٩	٢٠٤
	٣٠	٢١٧

- القرآن . مقارنة بين المقطعين . تفسير المقطع .
موعظة وذكرى .
- ٢٢٤ ٣١ الاسلام مفتقر الى أقلام تكتب . حطة يموي اليها
الانسان . صرخة الاسلام انما هي صرخة للنذير .
إنذار البشر بالخطر ليدبروا .
- ٢٣١ ٣٢ تنبؤ صادق . كليات العلم الكوني معاهد تلقن الإيمان .
المغريات والمزالق . ماذا تدل عليه آية الحجاب .
تفسير الآيتين . بحث حول الحجاب .
- ٢٤٥ ٣٣ الشخصية . الشخصية الاسلامية المتكاملة . تنقيف الفتاة .
معاهد التنقيف . لا ينكر الاسلام قابلية المرأة . الثقافة
التي يريد لها للمرأة . علم الدين .
- ٢٥٨ ٣٤ الشخصية الاسلامية أيضاً . مقارنة بين المرأة المسلمة
والمرأة الأوروبية . نظرة الغرب في المرأة . حقائق
مؤسفة . نظرة الاسلام في المرأة . علاقتها بالرجل
أجدى السبل في ضمان حقها .
- ٢٧٥ ٣٥ ان الاسلام ليستنصر . رجال التنقيف ورواسب النفوس .
نصير الدين الطوسي في ركاب (هولاءكو) . مسخ
الحقائق . عين حارسة للاسلام . مصادر . الثقافة
الاسلامية والثقافة الرومانية والهيلينية . مصادر .

الموضوع	الرسالة	الصحيفة
صورة من التحليل النفسي على ضوء تعاليم الاسلام .		٢٨٣
شكوى ٣٦		٢٨٥
في ظل الايمان . ان الله مع الذين اتقوا . الأفكار الشاذة . علاجها . مناهج ونصائح .	٣٧	٢٨٨
نشأة الهواجس . صراع . أثر الرسالة . آمال .	٣٨	٢٩٤
الايحاء بالضعف . مساوئه . الثقة بالنفس . الخطرات المنحرفة قد تكون كسباً للمؤمن . كبح الخواطر ينميها . خير الايمان بالاسم المتفائل .	٣٩	٣٠٠
قصة حياة وقصة ايمان . ايمان في عالم الروح . تناقض . في المعترك .	٤٠	٣٠٦
عتاب ،	٤١	٣١٥
الصلة القائمة على الايمان لن تثر . الخطوب تصوغ الرجال . لاخير في رجل لم تنضجه نار الأحداث . بقي دور النتائج	٤٢	٣١٩
الثقة بالله اولاً . أفكار تهاجم الإيمان في نواحيه العملية . السجل المدهش . حول الله وقوته . ايمان فطرة . شذوذ عاطفي . الكبت والكبح . حرمان وتسامي . الهواجس الغريبة . استعراض واستنتاج .	٤٣	٣٢٣
استعراض وتركيز . العلاج . مراحل . شروطه .	٤٤	٣٣٦

- الحرمان . التسامي . غريزة الجنس يثيرها التفكير بها .
- ٣٤٦ ٤٥ قصة . اشراف على بؤرة . انتعاشة وتمائل لشفاء .
- ٣٥٢ ٤٦ وصف حال . صحوة ايمانية ، تعليق ونصديق . مخاوف واعترافات . إشعاعات طيب . شكر وتقدير .
- ٣٦٢ ٤٧ الرسالتان تثبتان صحة النتائج . طب الجسد وطب النفس . انتفاضة الضمير . الاسلام يمد رقابة الضمير برقابة الله . قصة ضميرك من قصة حياتك . ضميرك ينتصر في كل معركة تكون أنت في جانبه . الانتفاضة التي أرجعتك الى الصواب . وصايا .
- ٣٧٣ ٤٨ وصية . الاسلام مصدر للقوة . بعض ضمانات الله للمسلم . شبهة صليبية . فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم . من لطمك على خدك الايمن فحول له الآخر . نظرة في الآيات الكريمة . وقفة على الإصحاح الخامس من انجيل متى .